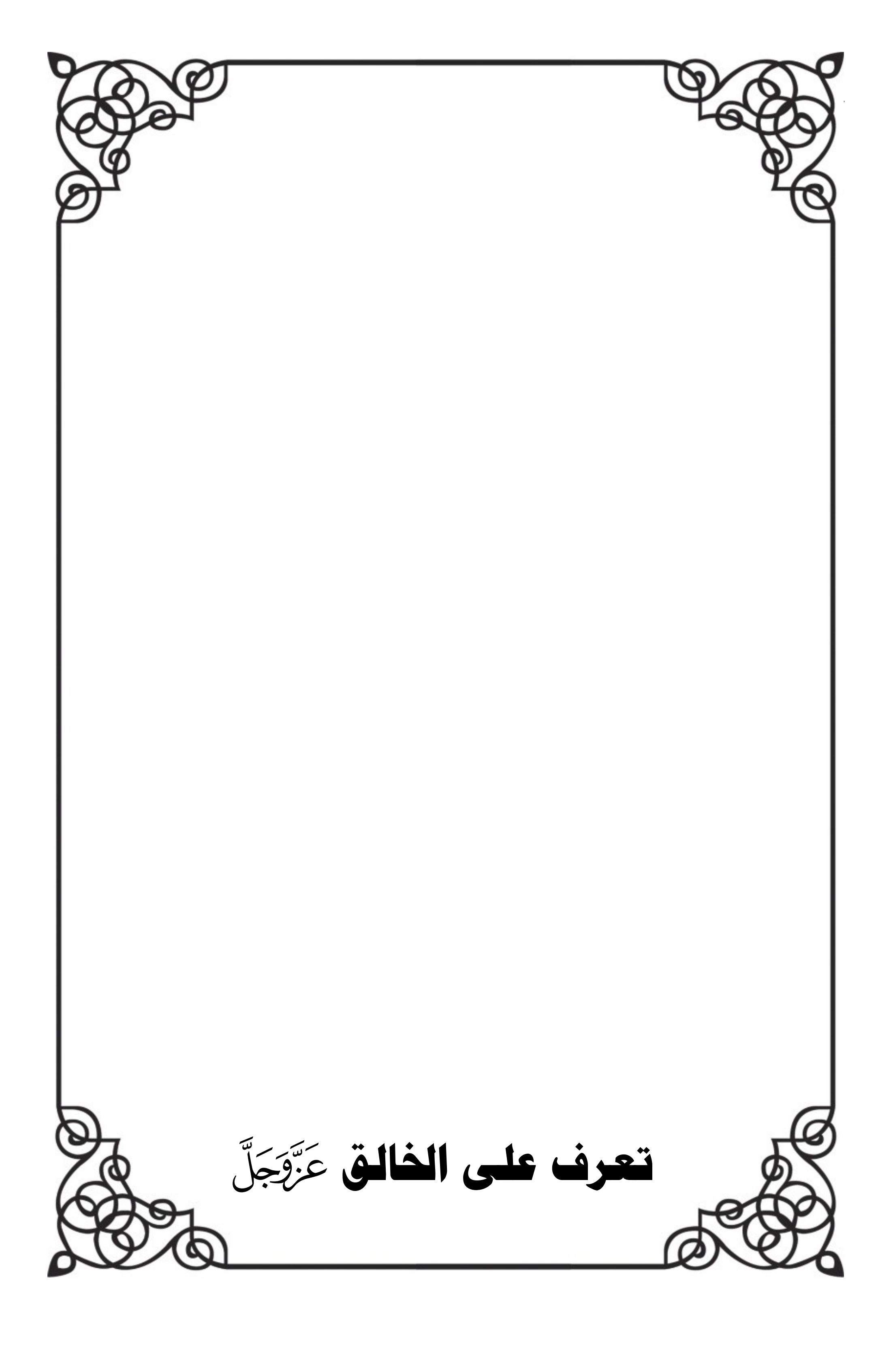
تعرف على الخالق جل وعلا

دراسة ميسرة
حول الأسماء الحسنى والصفات المثلى



تبصير
للنشر والتوزيع
تقريب التراث
والرد على الشبهات

تأليف
محمود بن حسين عوض



تعرف على الخالق عَزَّوَجَلَّ



1441هـ / 2020 م

اسم الكتاب: تعرف على الخالق عز وجل.

اسم المؤلف: محمود بن حسين آل عوض

الطبعة الثانية: 1441 هـ/ 2020 م

مقاس الكتاب: 17 × 24

رقم الإيداع: / 7840/ 2019م

الترقيم الدولي : 978-977-6713-03-1

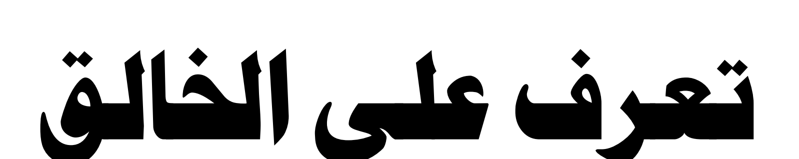


العنوان: ٣ شارع مسجد الفرقان – القناطر الخيرية – القليوبية جمهورية مصر العربية

التليفون: 01019757010 – 01102260020

website: http://tbseir.com twitter: @tabseir Fb: @tbseir

Email: tabseir@gmail.com



عَزَّ وَجَلَّ

تأليف

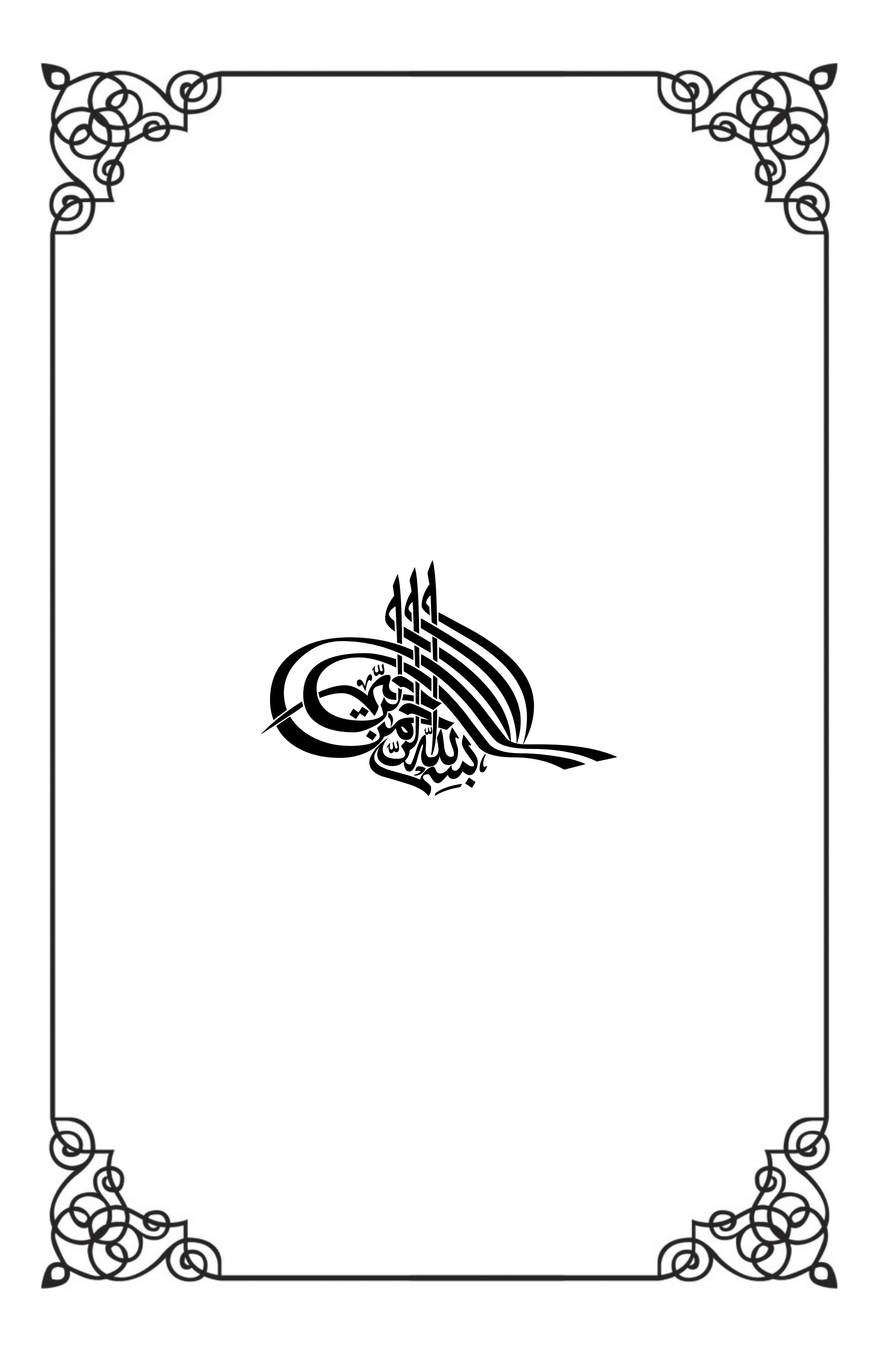
محمود بن حسين آل عوض

عفا الله عنه وعن والديه



تقريب التراث

والرد على الشبهات



مُقدِّمةٌ، وَتوطِئةٌ

إنَّ الحَمدَ للهِ، نَحمَدُهُ ونَستعِينُهُ ونَستَغفِرُه، ونَعُوذُ باللهِ مِن شُرورِ أنفُسِنا ومِن سيِّئَاتِ أَعمالِنا، مَن يَهدِه اللهُ فلَا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهَدُ أنَّ محمَّدًا عَبدُه ورَسُولُه، صلَّىٰ اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعدُ:

فإنَّ أصدقَ الحَديثِ كِتابُ اللهِ، وأَحسَنَ الهَدي هديُ محمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمورِ مُحدثَاتُها، وكلَّ مُحدَثَةٍ بِدعةٌ، وكلَّ بِدعةٍ ضَلالَةٌ، وكلَّ ضلالَةٍ في النَّارِ.

أَمَّا بَعدُ:

فمِن عظيمِ نعمةِ اللهِ عليك أَنْ يأخذَ بيدِكَ لمعرفتِهِ، وحينَها لن تجدَ إلَّا سبيلًا واحدًا؛ وهو السعيُ لمرضاتِهِ سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وهل هناكَ أسمَىٰ مِن أَنْ ينشغلَ

المخلوقُ بالخالقِ والموهوبُ بالواهبِ، والمصنوعُ بالصانعِ العظيمِ[١]، إنَّ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ صاحبَ رسولِ اللهِ ﷺ؛ أخبرَ أنه: «كَانَ جَالِسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَنَاقَتُهُ مَعْقُولَةٌ بِالْبَابِ؛ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ ﷺ نَفَرٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، جِئْنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ، وَنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ، مَا كَانَ؟ قَالَ ﷺ: «**كَانَ اللهُ وَلَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ، ثُمَّ كَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ**». قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا عِمْرَانُ، أَدْرِكْ نَاقَتَكَ، فَقَدِ انْفَلَتَتْ! فَإِذَا السَّرَابُ يَنْقَطِعُ دُونَهَا. قالَ عمرانُ بنُ حُصينٍ: وَايْمُ اللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ تَرَكْتُهَا»[٢].

وفي الحديثِ بيانٌ من رسولِ اللهِ ﷺ أنَّ الكلامَ عن اللهِ هو رأسُ التفقُّهِ في الدِّينِ؛ لأنَّ السائلَ إنَّما سألَهُ عن التفقُّهِ في الدِّينِ وعن أولِ ما خُلقَ في هذا الكونِ؛ فكانَ جوابُه ﷺ عن اللهِ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ واستوائِهِ علىٰ عرشِهِ؛ فكأنَّما يُبيِّنُ ﷺ أن معرفةَ اللهِ بأسمائِهِ وصفاتِهِ وأفعالِهِ هي أصلُ التفقُّهِ في الدينِ، ومَن تأمَّلَ في قولِ عمرانَ بْنِ حصينٍ متحسرًا علىٰ تركِهِ مجلسَ رسولِ اللهِ ﷺ، وأنه تمنَّىٰ لو ازدادَ من سماعِهِ عن اللهِ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من نبيِّهِ ﷺ؛ لعلِمَ ما في التعرُّفِ علىٰ اللهِ بأسمائِهِ وصفاتِهِ مِن فضلٍ.

فاللهُ الذي خلَقَ الخَلْقَ فهو موجِدُهم من عدمٍ، ومبدعُهم علىٰ غيرِ نسقٍ قبلَهُ، فأيُّ فضلٍ هذا أن كنتَ عدمًا بل لم تكُنْ شيئًا فأوجدَكَ؛ قالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَا

---

(١) وهذا مِنْ بابِ الإخبارِ عنه سُبحانَه.

(٢) «صحيحُ ابنِ حبَّانَ» (١٤/ ٧) (رقم: ٦١٤٠).

يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا﴾ [مريمُ: ٦٧]، وَقالَ سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ ردًّا علىٰ سؤالِ نبيِّهِ زكريَّا عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: ٨، ٩].

فإنَّ خالقَكَ وموجدَكَ مِن عدمٍ قد كرَّمَكَ وحبَاكَ ما لم يحْبُ غيرَكَ؛ فإنَّهُ سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ خلَقَ آدمَ بيدِهِ، فعنِ ابنِ عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قالَ:

«**خلقَ اللهُ أربعةَ أشياءَ بيدِهِ:**

العرشَ والقلمَ وجنَّةَ عدنٍ وآدمَ، ثُمَّ قالَ لسائرِ الخلقِ: كُنْ؛ فكَانَ»[1].

فخلَقَ العرشَ بيدِهِ واستوىٰ عليه، وخلَقَ جنةَ عدنٍ بيدِهِ لتكونَ سكنًا لآدمَ وذريتِهِ، وخَلقَ القلمَ بيدِهِ لِيكتبَ الأقدارَ قبلَ خلْقِ السمواتِ والأَراضِينَ، وخلقَ آدمَ فلَمْ يخلقْ ذا روحٍ بيدِهِ سِواه، وخلَقَ سائرَ الخلائقِ بكُنْ فكانَتْ، واختارَ صورةَ آدمَ فجعلَهَا أفضلَ الصورِ؛ كما قَالَ سُبحانَه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: ٦ – ٨].

وَقالَ سُبحانَه: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ [التين: ٤].

ونفَخَ سبحانَهُ في آدمَ عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ الروحَ ليعظمَ له النعمةَ؛ يعلِّمَه الأسماءَ كلَّها، ويسألَ الملائكةَ ليصمتُوا ويجيبَ آدمُ عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ ليرفعَ مقامَه بينَهُم، ويأمرَهُم أَنْ يسجدُوا له، ويقضي بطردِ مَن رفَضَ السجودَ له من رحمتِهِ، فأيُّ نعمةٍ وإكرامٍ!

(١) رواهُ الدارميُّ والآجريُّ واللالكائيُّ وغيرُهم، بإسنادٍ صحيحٍ.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٠ – ٣٤].

ثم يأمرُ الخلَّاقُ الكريمُ بأنْ يسكنَ آدمُ الجنةَ، ففضَّلَه في خلقتِهِ وفي صورتِهِ وفي عقلِهِ وعلمِهِ وفي مسكنِهِ، وما أخرجَهُ مِنَ الجنَّةِ بذنبِهِ إلا ليعيدَهُ فيها بعملِهِ وكسبِهِ؛ تفضُّلًا منه سُبحانَه عليه، ولَمْ يتركْهُ في الدنيا سُدًى ولا هملًا، بل سخَّرَ له كلَّ شيءٍ؛ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٢–٣٤].

فمَنْ تأمَّلَ فيما أكرمَهُ اللهُ به وفي إعراضِهِ عنه؛ استحَىٰ بل ماتَ من شدةِ الحياءِ منه سُبحانَه، فإن اللهَ يقولُ:

﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ

أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان: ٢٠ – ٢٢].

فإنزالُ القطرِ لكَ، وإنباتُ النباتِ لكَ، وتسخيرُ الفلكِ تجرِي بأَمْرِهِ سُبحانَه؛ كلُّ ذلك لكَ، وأجَلُّ من ذلك إنزالُ الكتبِ لكَ، وإرسالُ الرسلِ لك، وسنُّ الشرائعِ والأحكامِ؛ كلُّ ذلك لكَ؛ وهو سُبحانَه مع ذلك أغنىٰ الأغنياءِ عن عبادةِ العبدِ له، فكيفَ بإشراكِ العبدِ معه سواه!

وما أرسلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الرسلَ، ولا أنزلَ الكتبَ، ولا نزَّلَ الوحيَ؛ إلَّا لمعرفتِهِ سبحانَهُ وعبادتِهِ، قالَ تَعَالَىٰ:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢]، وهل غايةُ العقلِ إلا أنه يصلُ إلىٰ وجودِ اللهِ ومطلقِ كمالِهِ؛ فإنَّ العقولَ لا تهتدي لتفصيلِ ذلك إلا بالوحيِ المعصومِ؛ فأرسلَ رسلَهُ وأنزلَ كتُبَهُ يخبِرُنَا عن حلمِهِ وكرمِهِ، وجودِهِ ونعمِهِ، وقوَّتِهِ وبطشِهِ، ورحمتِهِ وعفوِهِ، وفضلِهِ وسترِهِ، وعلمِهِ وقدرتِهِ، وعظيمِ صفاتِهِ وكمالِ فعلِهِ.

إنَّ رجلًا ذهبَ لرسولِ اللهِ ﷺ فدعَاهُ النبيُّ ﷺ للإسلامِ فلَمْ يُسلِمْ، فسمِعَ قولَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]؛ فقالَ: «لَإلهٌ هذا علمُهُ جديرٌ بأنْ يُعبَدَ».

فمَنْ تأمَّلَ الأشجارَ وعددَ أوراقِهَا، ما تسقُطُ مِن ورقةٍ إلا ويعلمُ جَلَّوَعَلَا متىٰ تسقطُ وأين تسقطُ ولِمَ تسقطُ؛ علِمَ أنه سُبحانَه قد أحَاطَ بكلِّ شيءٍ عِلْمًا، فإنه سُبحانَه يعلمُ السرَّ وأخفىٰ، قالَ تَعالَىٰ: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]؛ فهو علَّامُ الغيوبِ سبْحانَهُ.

فلتنظرْ لِخلْقِ اللهِ لتتعرَّفَ علىٰ قدرتِهِ، قالَ تَعالَىٰ:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت: ١٩، ٢٠]. فتأمَّلْ في الكونِ كيفَ هو عظيمٌ لا نبلغُ منه شيئًا.

إنَّ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو ملكٌ من الملائكةِ؛ له ستُّمائةِ جناحٍ قد سدَّ الأفقَ؛ كما وصفَه النبيُّ ﷺ، وعن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ، عَنِ النبيِّ ﷺ أنَّهُ قَالَ: «**أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَىٰ عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمَائَةِ عَامٍ**»(١).

وإِذَا كانَ هذا هو وصفَ مَلَكٍ مِن حملةِ العرشِ، فكيفَ بالعرشِ الذي هو أعلىٰ المخلوقاتِ وأعظمُهَا، وسقفُهَا، وهو كالقبَّةِ علىٰ العالَمِ، وما تحتَه بالنسبةِ إليه كحلقةٍ في فلاةٍ؛ كمَا جاءَ في الحديثِ.

ويكفيكَ لتحيا محبًّا له سُبحانَه ومتعلِّمًا عنه، وعابدًا له؛ أنْ تعلمَ أنَّ علمَه وفضْلَه عليكَ فوقَ ما تعلَمُ، وإساءتَكَ ومعاصِيكَ ما تعلَمُ، وهو سُبحانَه يبسطُ

(١) أخرجَهُ أبو داودَ في «سننه»، كتاب السنَّة، باب في الجهمية: (٩٦/ ٥) (رقم: ٤٧٢٧).

يدَهُ بالنهارِ ليتوبَ مسيءُ الليلِ، وبالليلِ ليتوبَ مسيءُ النهارِ، ويفرحُ بالعائدِ إليه مِن بَعيدٍ، ويأخذُ بأيدي المخطئِينَ إليه، ويجبرُ خاطرَ المنكسرِينَ بين يدَيْهِ، وهو القائل لعبادِهِ وهُمْ في جنَّتِهِ ودارِ كرامتِهِ:

﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٢٢]، فأيُّ شكرٍ وهو الخالقُ المدبِّرُ، والهادي والمنعمُ، والموفِّقُ والمستعانُ.

إنَّ القلوبَ الغافلةَ عن ذكرِهِ هي أقسىٰ القلوبِ، وإنَّ الأبدانَ البعيدةَ عن طاعتِهِ هي الشاردةُ عن طريقِ الحقِّ، قالَ تعالَىٰ: ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد: ١٦، ١٧]؛ فذكَرَ سُبحانَه حياةَ الأرضِ بعدَ موتِهَا بعدَ أمرِهِ القلوبَ أَنْ تخشعَ للهِ بذكرِهِ، وأنْ تعودَ لِمَا نزلَ من الحقِّ؛ بيانًا منه سُبحانَه أنه كما يُحيي الأرضَ بعدَ موتِهَا بالماءِ النازلِ من السماءِ، يُحيي القلوبَ الغافلةَ عنه بذكرِهِ سُبحانَه والخضوعِ لما نزلَ من الحقِّ والوحيِ بأمرِهِ.

فمعرفةُ اللهِ هي أولُ ما يُدْعَىٰ إليه، ففي «الصحيحَينِ» أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ لمعاذٍ حينَ بعثَهُ إلىٰ اليمنِ: «**فَلْيَكُنْ أَوَّلُ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ، فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ؛ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا؛ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ**».

فَلْنُقبِلْ علىٰ معرفةِ مَن وصَفَه نبيُّه ﷺ بقولِهِ:

«لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ حَمَلَ زَادَهُ وَمَزَادَهُ عَلَىٰ بَعِيرٍ، ثُمَّ سَارَ حَتَّىٰ كَانَ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَأَدْرَكَتْهُ الْقَائِلَةُ فَنَزَلَ، فَقَالَ[١] تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ وَانْسَلَّ بَعِيرُهُ، فَاسْتَيْقَظَ فَسَعَىٰ شَرَفًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، ثُمَّ سَعَىٰ شَرَفًا ثَانِيًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، ثُمَّ سَعَىٰ شَرَفًا ثَالِثًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا؛ فَأَقْبَلَ حَتَّىٰ أَتَىٰ مَكَانَهُ الَّذِي قَالَ فِيهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ قَاعِدٌ إِذْ جَاءَهُ بَعِيرُهُ يَمْشِي حَتَّىٰ وَضَعَ خِطَامَهُ فِي يَدِهِ، فَلَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ مِنْ هَذَا حِينَ وَجَدَ بَعِيرَهُ عَلَىٰ حَالِهِ»[٢].

وَقَد قسَّمتُ الكِتابَ إلى مطالبَ:

المطلب الأول: أهميةُ معرفةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

المطلب الثاني: ثمراتُ معرفةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

المطلب الثالث: معرفةُ اللهِ لا تكونُ إلا بالوحيِ المعصومِ، والفطرةُ والحسُّ والكونُ العامرُ الدقيقُ يشهدونَ بحقيقةِ وجودِ اللهِ، ووجوبِ كمالِ ذاتِهِ وصفاتِهِ وأسمائِهِ.

المطلب الرابع: من أسماءِ اللهِ الحسنَىٰ، ومعها ذكرُ شَيءٍ أدلَّتِهَا ومعانيها.

المطلب الخامس: من صفاتِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وذكرُ أدِلَّتِها ومعانيها.

ثم: خاتمةٌ -أرجوا من الله حسنها-.

واللهَ أسألُ أنْ يوفِّقَنَا لمعرفتِهِ حقَّ المعرفةِ، وصلِّ اللهمَّ علىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلىٰ أبوَيْهِ إبراهيمَ وإسماعيلَ، وعلىٰ سائرِ الأنبياءِ والمرسلينَ... آمينَ.

المؤلف

---

(١) أي: استراحَ في الظهيرةِ.

(٢) متفقٌ عليهِ.



المطلب الأول:

أهميةُ معرفةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ

المطلب الأول:
أهميةُ معرفةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ

معلومٌ أنَّ العلمَ يشرفُ بشرفِ المعلومِ، ومعلومٌ أنَّ أشرفَ العلومِ ما يتعلَّقُ بنفعِ العبدِ في آخرتِهِ ودنيَاه، وأنَّ أعظمَ ذلك أمرُ دينِهِ، وقد بُنِيَ الدِّينُ علىٰ معرفةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ(١)؛ فصارَ رأسُ العلمِ هو معرفةَ اللهِ سُبحانَه؛ لذلك قالَ تَعالَىٰ - معلِّلًا خلْقَ السمواتِ والأرضِ وإنزالَ الكتبِ علىٰ الرسلِ -:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

وبيَّنَ سُبحانَه أنَّه أنزلَ الشرائعَ، وسَنَّ السننَ، وأرسىٰ قواعدَ الدينِ لأجلِ التعرُّفِ عليه والتقرُّبِ منه سُبحانَه؛ قَالَ تَعالَىٰ:

---

(١) **فائدةٌ**: فإنَّه ممَّا استظهرَهُ الإمامُ ابنُ قيِّمِ الجوزيَّةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنه متىٰ ذُكِرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فإنَّه يتعيَّنُ علىٰ الذاكرِ من الإجلالِ ما يدلُّ علىٰ التوقيرِ الواجبِ لصحَّةِ الإيمانِ وكمالِهِ؛ قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«إنه لَو وَجبتِ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ ﷺ [وهي واجبةٌ بلا شكٍّ] كلما ذُكِرَ؛ لوَجَبَ الثَّنَاءُ علىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ كلما ذُكِرَ اسْمُهُ؛ فَكَانَ يجبُ علىٰ من ذَكَرَ اسْمَ اللهِ أَن يقرنَهُ بقولِهِ: سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أَو عَزَّوَجَلَّ، أَو تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، أَو جلَّتْ عَظمتُهُ، أَو تَعَالَىٰ جدُّهُ، وَنَحْو ذَلِك.

بل كَانَ ذَلِك أولَىٰ وأحرَىٰ؛ فَإِن تَعْظِيمَ الرَّسُولِ وإجلالَه ومحبَّتَه وطاعته تَابعٌ لتعظيمِ مرسلِهِ سُبْحَانَهُ وإجلالِهِ ومحبَّتِهِ وطاعتِهِ؛ فمحالٌ أَن تثبُتَ الْمحبَّةُ وَالطَّاعَةُ والتعظيمُ والإجلالُ للرسولِ ﷺ دونَ مرسلِهِ، بل إِنَّمَا يثبتُ ذَلِك لَهُ تبعًا لمحبةِ اللهِ وتعظيمِهِ وإجلالِهِ». «جلاءُ الأفهامِ» (صحيفةُ: ٣٩٥).

﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٩٧].

قالَ الإمامُ الشَّنْقيطيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذَكَرَ فِي بَعْضِ الْآيَاتِ أَنَّ حِكْمَةَ خَلْقِهِ لِلسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ هِيَ إِعْلَامُ خَلْقِهِ بِأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِي آخِرِ سورةِ الطَّلَاقِ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾.

وَذَكَرَ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِهِ أَنَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ كَوْنَهُ هُوَ الْمَعْبُودَ وَحْدَهُ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣].

ثُمَّ أَقَامَ الْبُرْهَانَ عَلَىٰ أَنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ بِقَوْلِهِ بَعْدَهُ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

وَلَمَّا قَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾.

بَيَّنَ أَنَّ خَلْقَهُمْ بُرْهَانٌ عَلَىٰ أَنَّهُ الْمَعْبُودُ وَحْدَهُ بِقَوْلِهِ بَعْدَهُ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١] الْآيَةُ.

وَالِاسْتِدْلَالُ عَلَىٰ أَنَّ الْمَعْبُودَ وَاحِدٌ بِكَوْنِهِ هُوَ الْخَالِقَ؛ كَثِيرٌ جِدًّا فِي الْقُرْآنِ،

وَقَدْ أَوْضَحْنَا الْآيَاتِ الدَّالَّةَ عَلَيْهِ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْفُرْقَانِ فِي الْكَلَامِ عَلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا﴾ [الفرقان: ٢، ٣] الْآيَتَانِ.

وَفِي سُورَةِ الرَّعْدِ فِي الْكَلَامِ عَلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] الْآيَةُ.

وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَوَاضِعِ.

وَذَكَرَ فِي بَعْضِ الْآيَاتِ أَنَّهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَبْتَلِيَ النَّاسَ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧].

وَذَكَرَ فِي بَعْضِ الْآيَاتِ أَنَّهُ خَلَقَهُمْ لِيَجْزِيَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ﴾ [يونس: ٤] الْآيَةُ.

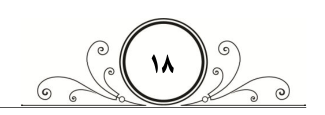
وَذَكَرَ فِي آيَةِ الذَّارِيَاتِ أَنَّهُ مَا خَلَقَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُوهُ.

فَقَدْ يَظُنُّ غَيْرُ الْعَالِمِ أَنَّ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَاتِ اخْتِلَافًا، مَعَ أَنَّهَا لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهَا؛ لِأَنَّ الْحُكْمَ الْمَذْكُورَ فِيهَا كُلِّهَا رَاجِعٌ إِلَىٰ شَيْءٍ وَاحِدٍ، **وَهُوَ: مَعْرِفَةُ اللهِ وَطَاعَتُهُ وَمَعْرِفَةُ وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ؛** فَقَوْلُهُ: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الطلاق: ١٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١].

رَاجِعٌ إِلَىٰ شَيْءٍ وَاحِدٍ هُوَ الْعِلْمُ بِاللهِ؛ لِأَنَّ مَنْ عَرَفَ اللهَ أَطَاعَهُ وَوَحَّدَهُ.

وَهَذَا الْعِلْمُ يُعَلِّمُهُمُ اللهُ إِيَّاهُ، وَيُرْسِلُ لَهُمُ الرُّسُلَ بِمُقْتَضَاهُ؛ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ



عَنْ بَيِّنَةٍ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ؛ فَالتَّكْلِيفُ بَعْدَ الْعِلْمِ، وَالْجَزَاءُ بَعْدَ التَّكْلِيفِ.

فَظَهَرَ بِهَذَا اتِّفَاقُ الْآيَاتِ؛ لِأَنَّ الْجَزَاءَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَكْلِيفٍ؛ وَهُوَ الِابْتِلَاءُ الْمَذْكُورُ فِي الْآيَاتِ، وَالتَّكْلِيفُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ عِلْمٍ؛ وَلِذَا دَلَّ بَعْضُ الْآيَاتِ عَلَىٰ أَنَّ حِكْمَةَ الْخَلْقِ لِلْمَخْلُوقَاتِ هِيَ الْعِلْمُ بِالْخَالِقِ، وَدَلَّ بَعْضُهَا عَلَىٰ أَنَّهَا الِابْتِلَاءُ، وَدَلَّ بَعْضُهَا عَلَىٰ أَنَّهَا الْجَزَاءُ، وَكُلُّ ذَلِكَ حَقٌّ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ، وَبَعْضُهُ مُرَتَّبٌ عَلَىٰ بَعْضٍ»[(١)].

وعليه؛ فإنَّ من أهمِّ المهماتِ أنْ يتعرفَ العبدُ علىٰ سيِّدِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقد قيلَ: مَن عرفَ ربَّهُ نجا، ومَن جهلَهُ هلكَ.

وقد كتَبَ العلماءُ في أهميةِ معرفةِ اللهِ تَعَالَىٰ المطوَّلاتِ والمختصراتِ، ومن أهمِّ ما يجبُ عليكَ أن تعلمَهُ - أخِي القارئَ - أنَّه مهما أثنىٰ العبدُ علىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ؛ فإنه لا يصلُ لكمالاتِهِ سُبحانَه، وقد كان مِن ذِكْرِ النبيِّ محمَّدٍ ﷺ في جوفِ الليلِ؛ ما حكَتْهُ أمُّ المؤمنِينَ عَائِشَةُ، قَالَتْ: «فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ، فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَىٰ بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ:

«اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ»»[(٢)].

---

(١) «أضواءُ البيانِ» (٧/ ٤٤٧).

(٢) أخرجَهُ مسلمٌ في «صحيحه» (برقمِ: ٤٨٦).

قَالَ الإمامُ النوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

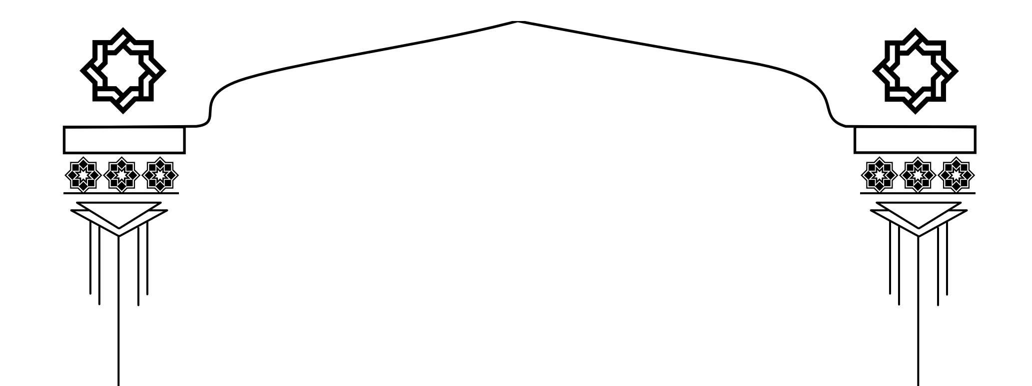
«كمَا أَنَّه لَا نِهَايَةَ لصفاتِهِ؛ لَا نِهَايَةَ للثناءِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الثَّنَاءَ تَابِعٌ للمُثنَىٰ عَلَيْهِ، وَكلمَا أثنَىٰ بِهِ عَلَيْهِ وَإِن كثرَ وَطَالَ وبولِغَ فِيهِ فَقدرُ اللهِ أعظمُ، مَعَ أَنه متعالٍ عَن الْقدرِ، وسلطانُهُ أعزُّ، وَصِفَاتُهُ أكبَرُ وَأَكْثرُ، وفضلُه وإحسانُه أوسعُ وأسبغُ»[١].

وَمَن تَأَمَّلَ هَذَا وَجَدَهُ غَايَة فِي الدِّقةِ، وَسَببًا لِأقبَالِ العَبدِ عَلَىٰ مَعرِفَةِ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

❊❊❊

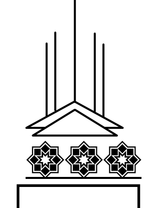
---

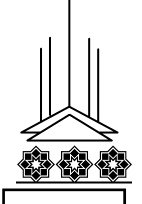
(١) «شرحُ صحيحِ مسلمٍ» (٤/ ٢٠٤) للنوويِّ.



المطلب الثاني:

من ثمراتِ معرفةِ العبدِ ربَّهُ عَزَّوَجَلَّ







المطلب الثاني: من ثمراتِ معرفةِ العبدِ ربَّهُ عَزَّوَجَلَّ

من ثمراتِ معرفةِ اللهِ: **أنها سببُ دخولِ العبدِ الجنَّةَ**، وقد وعَدَ اللهُ خلْقَهُ علىٰ لسانِ نبيِّهِ ﷺ الجنةَ إِنْ هُمْ أحصَوْا له تسعةً وتسعينَ اسمًا؛ فقال ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(١).

وقد تكلَّمَ العلماءُ في معنىٰ الإحصاءِ المذكورِ في حديثِ الرسولِ ﷺ، وتنازعوا فيه علىٰ أقوالٍ؛ أعدلُهَا ما قرَّرَهُ شيخُ الإسلامِ ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُوافقًا قولَ عامَّةِ السلفِ ومرجحًا له؛ حيثُ قَالَ:

«بيانُ مراتبِ إحصاءِ أسمائِهِ التي مَن أحصاها دخلَ الجنةَ - وهذا هو قطبُ السعادةِ ومدارُ النجاةِ والفلاحِ -:

المرتبةُ الأولىٰ: إحصاءُ ألفاظِهَا وعددِهَا.

المرتبةُ الثانيةُ: فَهْمُ معانيهَا ومدلولِهَا.

المرتبةُ الثالثةُ: دعاؤُهُ بها؛ كما قَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وهو مرتبتَانِ:

إحداهُمَا: دعاءُ ثناءٍ وعبادةٍ.

---

(١) متفقٌ عليه.

والثاني: دعاءُ طلبٍ ومسألةٍ»[١].

ولا يُفهمُ مِنَ الحديثِ أنَّ أسماءَهُ سُبحانَه محصورةٌ بعددٍ معينٍ، بل كما في الحديثِ: أنَّ له تسعةً وتسعينَ اسمًا، مَن أحصَاهَا دخلَ بإحصائِهَا الجنةَ، وليسَ أنَّ أسماءَهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ تسعةٌ وتسعونَ، ويوضِّحُه ويبيِّنُه قولُ النبيِّ ﷺ؛ كما في حديثِ عَبْدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، (أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ)؛ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي؛ إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا».

قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟

فَقَالَ: «بَلَىٰ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا»[٢].

ومَن تأملَ في هذا الحديثِ؛ علِمَ مِن عظمةِ الباري جَلَّوَعَلَا ما يوجبُ عليه أن يلوذَ بجنابِهِ سُبحانَه، وينعمَ بالتعرفِ عليه وعلىٰ كمالاتِهِ.

ومن عظيمِ أثرِ معرفةِ العبدِ ربَّهُ وثمراتِهِ: قربُهُ منه، وإجابةُ اللهِ دعاءَهُ وتضرعَهُ، ولذلك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

(١) «بدائعُ الفوائدِ» (١/ ١٦٤).

(٢) **حديثٌ صحيحٌ**: أخرجَهُ أحمدُ في «مسندِهِ» (برقمِ: ٣٧١٢).

وَقالَ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [سورة الإسراء، الآيتان: ١١٠، ١١١].

وتضرعاتُ النبيِّ ﷺ ودعاؤُهُ وَجُلُّ ذِكْرِهِ ربَّهُ يدورُ مدارَ عرفانِ العبدِ بكمالاتِ اللهِ في أسمائِهِ وصفاتِهِ وأفعالِهِ، فإنَّه متىٰ فقَدَ العبدُ في عبادتِهِ مناجاةَ ربِّهِ بكمالاتِهِ؛ فإنه قدْ فَقَدَ روحَ عبادتِهِ، فإنْ كان بالله جاهلًا فأيُّ شيءٍ عرفَ؟! وإنْ كان عنه غافلًا فبأيِّ شيء يأنسُ؟! يقولُ ابنُ القيمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وليسَتْ حاجةُ الأرواحِ قطُّ إلىٰ شيءٍ أعظمَ منها إلىٰ معرفةِ باريهَا وفاطِرِهَا، ولا سبيلَ إلىٰ هذا إلا بمعرفةِ أوصافِهِ وأسمائِهِ، فكلما كانَ العبدُ بها أعلَمَ؛ كانَ باللهِ أعرفَ، وله أطلبَ، وإليه أقربَ، وكلما كانَ لها أنكرَ؛ كان باللهِ أجهلَ، وإليه أكرهَ، ومنه أبعدَ، واللهُ يُنزلُ العبدَ من نفسِهِ حيث يُنزلُهُ العبدُ من نفسِهِ؛ فالسيرُ إلىٰ اللهِ من طريقِ الأسماءِ والصفاتِ شأنُهُ عَجبٌ، وفتحُهُ عجبٌ، صاحبُهُ قد سِبقَتْ له السعادةُ وهو مستلقٍ علىٰ فراشِهِ غَيرَ تَعِبٍ»[(١)].

فمعرفةُ اللهِ أصلُ الأصولِ، وعليها يبنىٰ كلُّ علمٍ وعبادةٍ للهِ وطاعةٍ؛ كما قَالَ نبيُّنَا ﷺ لمعاذٍ حينَ أوفدَهُ إلىٰ اليمنِ[(٢)].

---

(١) «الكافيةُ الشافيةُ» (١/ ٣).

(٢) في الحَدِيثِ المُتَّفَقِ عَلَىٰ صِحَّتِهِ من رواية ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِـمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَىٰ الْيَمَنِ: «**إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَىٰ أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا** =

قالَ ابنُ قيمِ الجوزيةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«إحصاءُ الأسماءِ الحسنىٰ والعلمُ بها أصلٌ للعلمِ بكلِّ معلومٍ، فإن المعلوماتِ سواه إما أنْ تكونَ خلقًا له تَعَالَىٰ أو أمرًا؛ إمَّا علمٌ بما كَوَّنَهُ، أو علمٌ بما شرَعَهُ، ومصدرُ الخلقِ والأمرِ عن أسمائِهِ الحسنىٰ، وهما مرتبطانِ بها ارتباطَ المقتضَىٰ بمقتضِيهِ.

فالأمرُ كلُّهُ مصدرُهُ عن أسمائِهِ الحسنىٰ، وهذا كلُّهُ حسنٌ لا يخرجُ عن مصالحِ العبادِ والرأفةِ والرحمةِ بهم، والإحسانِ إليهم بتكميلِهم بما أمرَهُم به ونهاهُم عنه؛ فأمرُه كلُّه مصلحةٌ وحكمةٌ ولطفٌ وإحسانٌ؛ إذْ مصدرُهُ أسماؤُهُ الحسنىٰ، وفعلُهُ كلُّهُ لا يخرجُ عن العدلِ والحكمةِ والمصلحةِ والرحمةِ؛ إذْ مصدرُه أسماؤُهُ الحسنىٰ؛ فلا تفاوتَ في خلْقِهِ ولا عبثَ، ولم يخلقْ خلقَهُ باطلًا ولا سدًىٰ ولا عبثًا.

وكما أنَّ كلَّ موجودٍ سواه فبإيجادِهِ؛ فوجودُ مَن سواه تابعٌ لوجودِهِ تبعَ المفعولِ المخلوقِ لخالقِهِ، فكذلك العلمُ بها أصلٌ للعلمِ بكلِّ ما سواه، فالعلمُ بأسمائِهِ وإحصاؤُهَا أصلٌ لسائرِ العلومِ؛ فمَن أحصَىٰ أسماءَهُ كما ينبغِي للمخلوقِ

=

اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ».

أحصىٰ جميعَ العلومِ؛ إذ إحصاءُ أسمائِهِ أصلٌ لإحصاءِ كلِّ معلومٍ؛ لأنَّ المعلوماتِ هي مِن مقتضاها ومرتبطةٌ بها.

وتأمَّلْ صدورَ الخلقِ والأمرِ عن علمِهِ وحكمتِهِ تَعَالَىٰ، ولهذا لا تجدُ فيها خللًا ولا تفاوتًا؛ لأنَّ الخللَ الواقعَ فيما يأمرُ به العبدُ أو يفعلُهُ إمَّا أنْ يكونَ لجهلِهِ به، أو لعدمِ حكمتِهِ؛ وأمَّا الربُّ تَعَالَىٰ فهو العليمُ الحكيمُ، فلا يلحقُ فعلَهُ ولا أمرَهُ خللٌ ولا تفاوتٌ ولا تناقضٌ»[1].

ومعرفةُ اللهِ توجبُ محبتَهُ، ومحبةُ العبدِ ربَّهُ توجبُ محبةَ الربِّ عبدَهُ، فأيُّ شرفٍ بعدَ هذا الشرفِ؛ فعن عائشةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «أن النبيَّ ﷺ بعثَ رجلًا علىٰ سريةٍ، وكان يقرأُ لأصحابِهِ في صلاتِهِم فيختمُ بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، فلما رجعوا ذكَروا ذلك للنبيِّ ﷺ، فقال: «**سلُوه لأيِّ شيءٍ يصنعُ ذلك؟**»، فسألوه، فقال: لأنها صفةُ الرحمنِ، وأنا أُحبُّ أنْ أقرأَ بها، فقال النبيُّ ﷺ: «**أخبِرُوه أن اللهَ يحبُّهُ**»».

وفي روايةٍ: «حبُّك إيَّاها أدخَلَكَ الجنَّةَ».

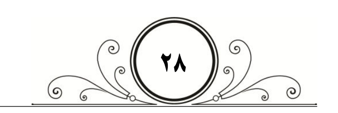
أتدري ما حبُّ اللهِ لعبدِهِ؟

إن النبيَّ ﷺ أخبرَ عن حالِ العبدِ إنْ أحبَّهُ اللهُ فقال ﷺ:

«إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ

---

(١) «بدائعُ الفوائدِ» (صحيفةُ: ١٦٣).



أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ، [وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ]»(١).

فأيُّ شرفٍ هذا! «**وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ [وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ]**».

قالَ السادةُ العلماءُ في معنَى هذا الحديثِ:

إنَّ محبةَ اللهِ لمحبوبِ عبدِهِ، وكرهَهُ لمَا يكرهُهُ العبدُ؛ جعلَتْهُ سُبحانَه يكرهُ الموتَ لعبدِهِ ويحبُّ له الحياةَ، وهو سُبحانَه قد قضىٰ بالموتِ علىٰ كلِّ مخلوقٍ؛ فيترددُ الفعلُ بين إنفاذِ المكتوبِ وبين إنفاذِ محبةِ المحبوبِ، والموتُ لابد منه كما قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ؛ فأيُّ محبَّةٍ وَأَيُّ إِكرَامٍ وَتفَضُّلٍ مِثلَ هَذِه المحَبةِ وَذَلِكَ الإِكرَامِ وَالتفضلِ مِنَ اللهِ لعبدِهِ ؟!

ومن ثمراتِ معرفةِ العبدِ ربَّهُ: أنه يطمئنُ قلبُهُ ويسكنُ؛ فإنه متىٰ عرفَ أنه سُبحانَه الرزاقُ ذو القوَّةِ المتينُ، وأنه قد تكفَّلَ له بالرزقِ؛ كما قَالَ: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: ٦]، وَقالَ تَعالَىٰ: ﴿وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ [النمل: ٦٤]. وَقالَ تَعالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦ -٥٨].

---

(١) أخرجَهُ البخاريُّ في «صحيحِهِ» (٨/ ١٠٥) (رقمَ: ٦٥٠٢).

متىٰ عرفَ ذلك فإنه يطمئنُ قلبُهُ ويهدأُ بالُهُ، **فقَدْ قِيلَ لِحَاتِمٍ الْأَصَمِّ**: «عَلَامَ بَنَيْتَ أَمْرَكَ هَذَا مِنَ التَّوَكُّلِ؟ قَالَ: «عَلَىٰ أَرْبَعِ خِلَالٍ: عَلِمْتُ أَنَّ رِزْقِي لَا يَأْكُلُهُ غَيْرِي؛ فَلَسْتُ أَهْتَمُّ لَهُ، وَعَلِمْتُ أَنَّ عَمَلِي لَا يَعْمَلُهُ غَيْرِي؛ فَأَنَا مَشْغُولٌ بِهِ، وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَوْتَ يَأْتِينِي بَغْتَةً؛ فَأَنَا أُبَادِرُهُ، وَعَلِمْتُ أَنِّي بِعَيْنِ اللهِ فِي كُلِّ حَالٍ؛ فَأَنَا مُسْتَحْيٍ مِنْهُ»»[(١)].

وَقالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ - **أيضًا** -: «لي أربعُ نسوةٍ، وتسعةُ أولادٍ، ما طمعَ شيطانٌ أن يُوسوسَ إليَّ في أرزاقِهِم»[(٢)].

لأنه قد صحَّتْ معرفتُهُ باللهِ الرزَّاقِ ذي القوَّةِ المتينِ؛ فيئسَ عدوُّهُ منه، ومتىٰ عرفَ العبدُ معرفةً صحيحةً أنَّ اللهَ خالقُ كلِّ شيءٍ ومالكُهُ والمهيمنُ عليه؛ عاشَ حرًّا مرفوعَ الهامةِ لا تسترقُّهُ الدنيا، ولا تفزعُهُ الصعابُ ولا الهمومُ؛ لذلك كانَ العلماءُ لا يهابونَ في الحقِّ أحدًا، ولا تأخذُهُم في اللهِ لومةُ لائمٍ؛ **قالَ العلامة الألوسيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«أخبرَ قاضِي القضاةِ أبو العبَّاسِ: أنهم لمَّا حضروا مجلسَ غازانَ قُدِّمَ لهم طعامٌ فأكلوا منه إلا ابنَ تيميَّةَ، فقِيلَ: لِمَ لَمْ تأكُلْ؟ فقالَ: كيفَ آكلُ من طعامِكَ وكلُّهُ ممَّا نهبتُمْ مِن أغنامِ الناسِ، طبختمُوهُ بما قطعتُمْ من أشجارِ الناسِ!

---

(١) أخرجَهُ البيهقيُّ في «الشُّعَبِ» (٢/ ٤٥٦) (رقمَ: ١٢١٦).

(٢) «تهذيبُ سيرِ أعلامِ النبلاءِ» (٢/ ٩٦٠).

ثمَّ إنَّ غازانَ طلبَ منه الدعاءَ!»[(١)].

وَقالَ القاضي المُفْتي شهابُ الدينِ أَبو العَبَّاس أَحمدُ بنُ فضلِ اللهِ:

«جلسَ الشَّيخُ [يعني شيخَ الإسلامِ] إِلىٰ السلطانِ محمودِ غازانَ حيثُ تُجِمُ الأُسْدُ في آجامِهَا، وتَسقُطُ القلوبُ دواخلَ أجسامِهَا، وتجِدُ النارُ فتورًا في ضَرَمِها، والسيوفُ فرقًا في قَرَمِها، خوفًا من ذلك السَّبُعِ المغتالِ، والنمروذِ المختالِ، والأجلِ الَّذي لا يُدفَعُ بحيلةِ مُحتالٍ؛ فجلسَ إِليهِ وأومَأَ بيدِهِ إِلىٰ صدرِهِ، وواجَهَه ودرأَ في نَحْرِهِ، وطَلَبَ منه الدُّعَاءَ؛ فرفعَ يدَيْهِ ودعَا دُعاءَ مُنصفٍ أكثرُهُ عليهِ، وغازانُ يؤمِّنُ علىٰ دعائِهِ»[(٢)].

فإذا صحَّتْ معرفتُكُ باللهِ؛ صحَّ يقينُكَ به، واضحملَّ الباطلُ أمامَ عينَيْكَ، وصِرْتَ مدافعًا عن الحقِّ لا تخافُ فيه أحدًا.

ومن ثمراتِ معرفةِ العبدِ ربَّهُ: أنه متىٰ علِمَ العبدُ من نفسِهِ العجزَ والجهلَ، ومن ربِّهِ الكمالَ والعلمَ؛ سلَّمَ لأمرِهِ سُبحانَه، واستقامَتْ دنياهُ علىٰ ما شرَعَ ربُّهُ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٢١٦﴾ [البقرة: ٢١٦].

فإذا علِمَ ذلك من نفسِهِ، وعلِمَ عن اللهِ أنَّه علَّامُ الغيوبِ، وأعلمُ بخلْقِهِ منهم، وأنه يحكمُ فيهم بعدلِهِ، بل بجميلِ فضلِهِ؛ فإنه حينها يُسلِّمُ له سُبحانَه؛ فيسلَمُ في الدنيا من الفتنِ والشرورِ، وفي الآخرةِ من العقابِ الأليمِ والعذابِ

---

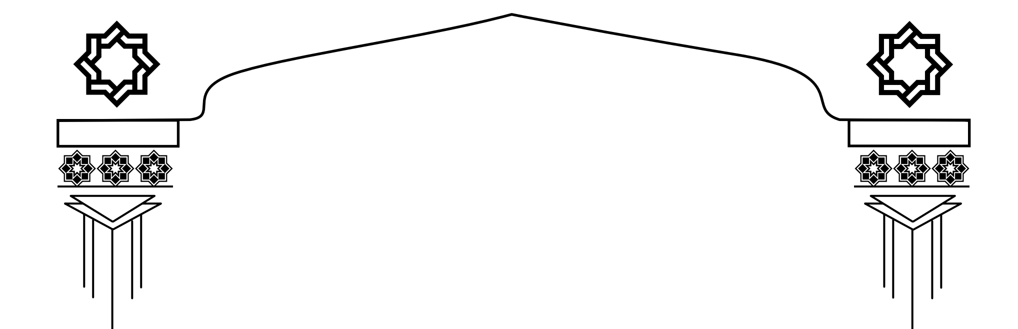
(١) «غايةُ الأمانِيِّ» (٢/ ٢١٥).

(٢) «تاريخُ ابنِ الورديِّ» (٢/ ٢٧٨).

الشديدِ؛ فإنَّ الإيمانَ لا يكونُ إلا بالتسليمِ للهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]، ولا يكونُ التسليمُ للهِ إلا بعْدَ معرفتِهِ حقَّ المعرفةِ.

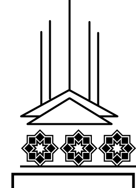
فمَنْ عرَفَ اللهَ بكمالاتِهِ؛ عرفَ نفسَهُ بعجزِهِ ونقصِهِ، وحينها يسلمُ العاجزُ الناقصُ لذي القوةِ المتينِ الذي ﴿أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢]، وحينها يخشاهُ حقَّ خشيتِهِ فـ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]؛ أيِ: العلماءُ به.

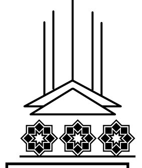
ولذلك صحَّ عن رسولِ اللهِ ﷺ قولُهُ: «أَنَا أعلَمُكُمْ بِاللهِ، وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً»؛ لأنَّه متىٰ كانَ العبدُ باللهِ أعلَمَ، كانَ له أكثرَ تسليمًا؛ فإنك إنْ أيقنْتَ أنكَ غدًا موقوفٌ بين يدَيْ ملِكٍ من ملوكِ الأرضِ وهو علىٰ إنفاذِ ما يريدُ قادرٌ، وإنه متىٰ بتَّ الليلَ في إنفاذِ مرادِهِ منك؛ أكرمَكَ غدًا أشدَّ الإكرامِ، وأغدَقَ عليكَ بعظيمِ النعمِ، ومتىٰ أهملتَ أمرَهُ عاقبَكَ أشدَّ العقوبةِ، فمتىٰ ذُكرَ بطشُ هذا الملِكِ بك؛ ارتعدَتْ فرائصُكَ واشتدَّ خوفُكَ، وأورثَكَ هذا عملَ المطلوبِ المرغوبِ، ونأىٰ بك عن المحظورِ، ومتىٰ ذُكرَ ثوابُهُ وإكرامُهُ لك؛ اشتدَّ منك ساعدُ العملِ، وبهذا صحَّتْ عبادةُ العابدِينَ وكملَتْ طاعةُ الطائعِينَ، وله سُبحانَه المثلُ الأعلَىٰ.



المطلب الثالث:

معرفةُ اللهِ لا تكونُ إلا بالوحيِ المعصومِ، والفطرةُ والحسُّ والكونُ العامرُ الدقيقُ يشهدونَ بحقيقةِ وجودِ اللهِ ووجوبِ كمالِ ذاتِهِ وصفاتِهِ وأسمائِهِ





معرفةُ اللهِ لا تكونُ إلا بالوحيِ المعصومِ، والفطرةُ والحسُّ والكونُ العامرُ الدقيقُ يشهدونَ بحقيقةِ وجودِ اللهِ ووجوبِ كمالِ ذاتِهِ وصفاتِهِ وأسمائِهِ

فإذا تقرَّرَ أنَّ أهمَّ المهمَّاتِ علىٰ العبدِ أنْ يتعرَّفَ علىٰ ربِّهِ، وأنه تَعَالَىٰ إنَّما بعَثَ الرسلَ وأنزلَ الكتبَ وشرعَ الشرائعَ لذلك؛ وجبَ أن يكونَ الوحيُ المعصومُ قد استوفىٰ هذا البابَ، ولم يجملْهُ فضلًا عن أن يهملَهُ؛ فـ«الكلامُ في هذا البابِ نفيًا وإثباتًا موقوفًا علىٰ الخبَرِ عن أسماءِ اللهِ وصفاتِهِ وأفعالِهِ وخلقِهِ وأمرِهِ، وأسعدُ الناسِ بالصوابِ فيه مَن تلقَّىٰ ذلك مِن مشكاةِ الوحيِ المبينِ، ورغبَ بعقلِهِ وفطرتِهِ وإيمانِهِ عن آراءِ المُتَهَوِّكِينَ وتشكيكاتِ المشكِّكينَ وتكلُّفاتِ المتنطِّعينَ، واستمطرَ ديمَ الهدايةِ من كلماتِ أعلمِ الخلقِ بربِّ العالمينَ؛ فإنَّ كلماتِهِ الجوامعَ النوافعَ في هذا البابِ وفي غيرِهِ كفَتْ وشفَتْ وجمعَتْ وفرَّقَتْ وأوضحَتْ وبيَّنَتْ، وحلَّتْ محلَّ التفسيرِ والبيانِ لما تضمَّنَهُ القرآنُ، ثم تلاهُ أصحابُهُ من بعدِهِ علىٰ نهجِهِ المستقيمِ وطريقِهِ القويمِ.

فجاءَتْ كلماتُهُم كافيةً شافيةً مختصرةً نافعةً؛ لقُرْبِ العهدِ ومباشرةِ التلقِّي من تلك المشكاةِ التي هي مظهرُ كلِّ نورٍ ومنبعُ كلِّ خيرٍ وأساسُ كلِّ هدًىٰ. ثم سلكَ آثارَهُم التابعونَ لهم بإحسانٍ، فاقتفوا طريقَهُم، وركبوا مناهجَهُم، واهتدوا

بهداهُم، ودعَوْا إلىٰ ما دعَوْا إليهِ، ومضُوا علىٰ ما كانُوا عليه»[١].

وقد اشتهرَ علىٰ ألسنةِ المحدِّثينَ خاصةً وأهلِ السنَّةِ عامةً أنهم يثبتونَ ما أثبتَهُ اللهُ لنفسِهِ في كتابِهِ أو علىٰ لسانِ نبيِّهِ ﷺ، «فمعلومٌ أنَّ أسماءَهُ [جَلَّوَعَلَا] لا تُعرفُ إلا بالسمعِ [يعني: الوحيِ]، فبالسمعِ عُرِفَتْ أسماءُ اللهِ وصفاتُهُ التي يُوصفُ بها من الكلامِ.

ولولا السمعُ لمَا سُمِّيَ ولا ذُكرَ ولا حُمدَ ولا مُدحَ ولا نعتَ ولا وصفَ»[٢]. فخابَ واعتدَىٰ مَن دعا اللهَ باسمٍ لم يسمِّ به نفسَهُ، أو وصفَهُ بصفةٍ لم يصِفْ بها نفسَهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وقد ضلَّتْ طوائفُ شتَّىٰ في هذا البابِ، منهم من يحكِّمُ العقولَ، ومنهم من يحكمُ الوجدَ، ومنهم من يحكمُ الذَّوْقَ، ولو حكَّموا العقلَ الصحيحَ لحكَمَ بأنه لا دخلَ له في معرفةِ الغيبِ، ولقررَ «أنَّ قيامَ دينِ اللهِ في الأرضِ إنما هو بواسطةِ المرسلينَ - صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهم أجمعينَ -؛ فلولا الرسلُ لما عُبدَ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، ولمَا علِمَ الناسُ أكثرَ ما يستحقُّهُ سُبحانَه من الأسماءِ الحسنىٰ والصفاتِ العلىٰ، ولا كانت له شريعةٌ في الأرضِ.

ولا تحسبَنَّ أنَّ العقولَ لو تُركَتْ وعلومَهَا التي تستفيدُهَا بمجردِ النظرِ؛ عرفَتِ اللهِ معرفةً مفصلةً بصفاتِهِ وأسمائِهِ علىٰ وجهِ اليقينِ؛ فإن عامةَ من تكلَّمَ في هذا البابِ بالعقلِ فإنما تكلمَ بعد أن بلغَهُ ما جاءَتْ به الرسلُ، واستصغىٰ

(١) «شفاءُ العليلِ في مسائلِ القضاءِ والقدَرِ والحكمةِ والتعليلِ» (صحيفةُ: ٣) للعلَّامَةِ ابنِ قيمِ الجوزيةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) «درءُ تعارضِ العقلِ والنقلِ» (٩/ ٩).

بذلك واستأنسَ به، سواءٌ أظهرَ الانقيادَ للرسلِ أو لم يُظْهِرْ، وقد اعترفَ عامةُ الرؤوسِ منهم أنه لا يُنَالُ بالعقلِ علمٌ جازمٌ في تفاصيلِ الأمورِ الإلهيةِ، وإنَّما يُنَالُ به الظنُّ والحسبانُ.

والقدْرُ الذي يمكنُ العقلُ إداركَهُ بنظرِهِ فإنَّ المرسلِينَ - صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهم - نبَّهوا الناسَ عليه وذكَّروهم به ودعَوْهم إلىٰ النظرِ فيه، حتىٰ فتحُوا أَعيُنًا عميًا وآذانًا صُمًّا وقلوبًا غُلْفًا.

والقدْرُ الذي يعجزُ العقلُ عن إدراكِهِ علَّمُوهم إياه وأنبئُوهم به، فالطعنُ فيهم طعنٌ في توحيدِ اللهِ وأسمائِهِ وصفاتِهِ وكلامِهِ ودينِهِ وشرائعِهِ وأنبيائِهِ وثوابِهِ وعقابِهِ، وعامَّةِ الأسبابِ التي بينَه وبين خلقِهِ؛ بل يقال: إنَّه ليسَ في الأرضِ مملكةٌ قائمةٌ إلَّا فِي بنبوَّةٍ أو أثرِ نبوَّةٍ، وإنَّ كلَّ خيرٍ في الأرضِ فمِنْ آثارِ النبوَّاتِ، ولا يَسْتَرِيبَنَّ العاقلُ في هذا البابِ»[١].

وقد قرَّر العلماءُ أنَّ هذا البابَ لم يَرِدْ فيه إجماعٌ إلا علىٰ شيءٍ صحَّتْ دلالاتُهُ في القرآنِ الكريمِ، أو صحَّ ثبوتُهُ وصحَّتْ دلالتُهُ في السُّنَّةِ، وهذا يدلُّكَ علىٰ تمسُّكِ أعيانِ العلماءِ بتوقِيفِيَّةِ الأسماءِ والصفاتِ.

قَالَ شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَجَبَ عَلَىٰ كُلِّ مُؤْمِنٍ الْإِيمَانُ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَفْهَمْ مَعْنَاهُ.

وَكَذَلِكَ مَا ثَبَتَ بِاتِّفَاقِ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا، **مَعَ أَنَّ هَذَا الْبَابَ يُوجَدُ عَامَّتُهُ**

---

(١) «الصارمُ المسلولُ» (صحيفةُ: ٢٤٩).

مَنْصُوصًا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ سَلَفِ الْأُمَّةِ»[١].

وأمَّا الفطرةُ السليمةُ فتقرُّ بوجودِ اللهِ تَعَالَىٰ خالقًا مدبِّرًا، له الكمالاتُ المطْلَقةُ؛ فإنَّها تقرُّ بأنَّ فاقدَ الشيءِ لا يُعطيهِ، وواهبَ الكمالِ لا يكونُ إلا كاملًا منزَّهًا عن كُلِّ نَقصٍ وعَيبٍ؛ وَلذلكَ تثبتُ الفطرةُ وجودَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وثبوتَ الكمالاتِ له، وتنزُّهُهُ عن النقائصِ إجمالًا، ثمَّ هي عاجزةٌ عن التفصيلِ فيما لا يُعلَمُ إلا بالوحيِ، فترَىٰ الفِطَرُ مقرَّةً بأنَّ صفةَ النومِ للمخلوقِ صفةُ كمالٍ؛ متىٰ تخلَّفت جاءَ الإعياءُ والخللُ، بينما هي صفةٌ منفيَّةٌ عن اللهِ سبحانَهُ؛ لأنها في حقِّهِ صفةُ نقصٍ، وكذلك نفيُ الولدِ عنهُ، إلىٰ غيرِ ذلك؛ فالفطرةُ تُثبتُ الكمالَ إجمالًا، وتنفي النقصَ والعجزَ إجمالًا، وتفصيلُ ذلك لا يكونُ إلا بالوحيِ المعصومِ.

وأمَّا هذا الكونُ العامرُ فهو دليلٌ شاهدٌ علىٰ كمالاتِ اللهِ ومطْلَقِ قُدرتِهِ، وعلىٰ صدْقِ رُسُلِ اللهِ – صلواتُ اللهِ عليهم أجمعِينَ –، وقدْ جعلَ اللهُ التدبُّرَ في الكونِ دليلًا لِصدقِ الأنبياءِ علىٰ ما أخبرُوا به، ومِنْ ذلِكَ ما اعترضَتْ به الدهريَّةُ علىٰ الرسلِ، واعتقدوا بأنَّه لا بَعْثَ بعد الموتِ؛ فأجابَهُمُ اللهُ بقولِهِ: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ﴾ [العنكبوت: ٢٠]؛ «يَقُولُ تَعَالَىٰ: انْظُرُوا كَيْفَ بَدَأْتُ الْخَلْقَ؛ فَاعْتَبِرُوا الْإِعَادَةَ بِالِابْتِدَاءِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٩].

---

(١) «مجموعُ الفتاوَىٰ» (٣/ ٤١).

وقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [الروم: ٥٠]»(١).

فمَنْ تأمَّلَ في هذا الكونِ العامرِ؛ أجابَهُ الكونُ عن كلِّ ما يُلقِيهِ الشيطانُ في قلبِهِ، ولكنْ يبقَىٰ مجيبًا بلسانِ الحالِ: «مخلوقٌ بديعٌ، منتظمٌ علىٰ قانونٍ وناموسٍ لا ينْخَرِمُ، فليسَ للصُّدفةِ مجالٌ، وليس للعقلِ إلا أنْ يسَلِّمَ بوجودِ خالقٍ قادرٍ مدبِّرٍ لا يلحقُهُ عجزٌ، وله سبحانَهُ كلُّ كمالٍ».

فلمْ يبقَ للعبدِ إنْ أرادَ معرفةَ المزيدِ عن صاحبِ الكمالِ المطْلَقِ إلا أنْ يسلِّمَ للوحيِ؛ فإنَّه متىٰ طالعَ القرآنَ وتدبَّرَهُ؛ عَلِمَ أنَّ اللهَ «قدْ تجلَّىٰ فِيهِ لِعِبَادِهِ:

فَتَارَةً يتجلَّىٰ فِي جِلْبَابِ الهَيْبَةِ وَالْعَظَمَةِ والجلالِ؛ فتخضَعُ الْأَعْنَاقُ، وتنكسِرُ النُّفُوسُ، وتخشَعُ الْأَصْوَاتُ، ويذوبُ الْكِبْرُ كَمَا يذوبُ الْملحُ فِي المَاءِ، وَتارَةً يتجلَّىٰ فِي صِفَاتِ الْجمالِ والكمالِ؛ وَهُوَ كَمَالُ الْأَسْمَاءِ، وجمالُ الصِّفَاتِ، وجمالُ الْأَفْعَالِ؛ الدَّالُ علىٰ كَمَالِ الذَّاتِ، فيستنفدُ حُبُّهُ من قلبِ العَبْدِ قُوَّةَ الْحبِّ كلَّهَا بحبِّ مَا عرفَهُ مِن صِفَاتِ جمالِهِ ونعوتِ كَمَالِهِ؛ فَيُصْبِحُ فؤادُ عَبدِهِ فَارغًا إِلَّا من محبَّتِهِ، فَإِذا أَرَادَ مِنْهُ الغيرُ أنْ يعلِّقَ تِلْكَ الْمحبَّةَ بِهِ؛ أَبىٰ قلبُهُ وأحشاؤُهُ ذَلِك كلَّ الإباءِ؛ كَمَا قيل:

يُــرَادُ مِـــنَ الْقلْـــبِ نِسْـــيَانُكُمْ ۞ وَتَـــأْبَىٰ الطِّبَـــاعُ عَلَـــىٰ النَّاقِـــلِ

---

(١) «إعلام الموقِّعين» (١/ ١١٤).

فَتبقىٰ الْمحبَّةُ لَهُ طبعًا لَا تكلُّفًا، وَإِذا تجلَّىٰ بِصِفَاتِ الرَّحْمَةِ وَالْبِرِّ واللُّطفِ وَالْإِحْسَانِ؛ انبعثَتْ قُوَّةُ الرَّجَاءِ منَ العَبْدِ، وانبسطَ أَمَلُهُ، وَقَويَ طَمَعُهُ، وَسَارَ إِلَىٰ ربِّهِ وحادِي الرَّجَاءِ يَحْدُو رِكَابَ سيرِهِ، وَكلَّما قويَ الرَّجَاءُ جدَّ فِي الْعَمَلِ، كَمَا أَن الباذِرَ كلما قويَ طمعُهُ فِي الْمَغْلِ غلَّقَ أرضَهُ بالبذرِ، وَإِذا ضَعُفَ رجاؤُه قصَّرَ فِي الْبذرِ.

وَإِذا تجلَّىٰ بِصِفَاتِ الْعدْلِ والانتقامِ وَالْغَضَبِ والسَّخَطِ والعقوبةِ؛ انقمعَتِ النَّفسُ الأمَّارةُ وَبَطلَتْ أَو ضَعُفَتْ قوَاهَا من الشَّهْوَة وَالْغَضَبِ وَاللَّهْوِ واللعبِ والحرصِ علىٰ الْمُحرمَاتِ، وانقبضَتْ أَعِنَّةُ رُعونَاتِهَا، فأحضرَتِ المطيَّةُ حظَّها من الْخَوْفِ والخشيةِ والحذرِ.

وَإِذا تجلىٰ بِصِفَاتِ الْأَمرِ وَالنَّهْي والعهدِ وَالْوَصِيَّةِ وإرسالِ الرُّسُلِ وإنزالِ الْكتبِ، وشرْعِ الشَّرَائِعِ؛ انبعثَتْ مِنْهَا قُوَّةُ الِامْتِثَالِ والتنفيذِ لأوامرِهِ، والتبليغِ لَهَا والتواصِي بِهَا، وَذكْرِهَا وتذكُّرِهَا، والتصديقِ بالْخبَرِ، والامتثالِ للطلبِ، والاجتنابِ للنَّهْي.

وَإِذا تجلَّىٰ بِصفةِ السَّمع وَالْبَصَرِ وَالْعلمِ؛ انْبَعَثَ من العَبْدِ قُوَّةُ الْحيَاءِ، فيستحِي [مِن] ربِّهِ أَن يرَاهُ علىٰ مَا يكرَهُ، أَو يسمعَ مِنْهُ مَا يكرَهُ، أَو يُخفي فِي سَرِيرَتِهِ مَا يمقُتُه عَلَيْهِ؛ فَتبقىٰ حركاتُهُ وأقوالُهُ وخواطِرُه موزونَةً بميزانِ الشَّرْعِ، غيرَ مُهْملَةٍ وَلَا مُرْسلَةٍ تَحت حُكمِ الطبيعَةِ والهوَىٰ.

وَإِذا تجلَّىٰ بِصِفَاتِ الْكِفَايَةِ والحسبِ وَالْقِيَامِ بمصالِحِ الْعبادِ وسوقِ أَرْزَاقِهِم إِلَيْهِم، وَدفْعِ المصائبِ عَنْهُم، وَنَصرِهِ لأوليائِهِ وحمايتِهِ لَهُم، ومعيَّتِهِ

الْخَاصَّةِ لَهُم؛ انبعثَتْ من العَبْدِ قُوَّةُ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، والتفويضِ إِلَيْهِ، وَالرِّضَا بِهِ، وَمَا فِي كلِّ مَا يجرِيهِ علىٰ عَبدِهِ ويقيمُهُ مِمَّا يرضىٰ بِهِ هُوَ سُبْحَانَهُ. والتوكلُ معنًىٰ يلتئِمُ من علمِ العَبْدِ بكفايةِ اللهِ، وَحُسْنِ اخْتِيَارِهِ لعَبْدِهِ وثقتِهِ بِهِ وَرضَاهُ بِمَا يَفْعَلُهُ بِهِ ويختارُهُ لَهُ.

وَإِذا تجلَّىٰ بِصِفَاتِ الْعِزِّ والكبرياءِ؛ أَعْطَتْ نَفسُهُ المطمئِنَّةُ مَا وصلَتْ إِلَيْهِ من الذلِّ لعظمتِهِ، والانكسارِ لعزَّتِهِ، والخضوعِ لكبريائِهِ، وخشوعِ الْقلبِ والجوارحِ لَهُ؛ فتعلُوه السكينَةُ وَالْوَقارُ فِي قلبِهِ، وَلسَانِهِ وجوارحِهِ وسَمْتِهِ، وَيذْهبُ طيشُهُ وقوَّتُهُ وحدَّتُهُ.

وجِماعُ ذَلِك: أَنه سُبْحَانَهُ يتعرَّفُ إِلَىٰ العَبْدِ بِصِفَاتِ إلهِيَّتِهِ تارةً، وبصفاتِ ربوبيَّتِهِ تَارَةً؛ فَيُوجبُ لَهُ شُهُودُ صِفَاتِ الإلهيَّةِ الْمحبَّةَ الْخَاصَّةَ، والشوقَ إِلَىٰ لِقَائِهِ، والأُنسَ والفرحَ بِهِ، وَالسُّرُورَ بخدمَتِهِ، والمنافَسَةَ فِي قُربِهِ، والتودُّدَ إِلَيْهِ بطَاعَتِهِ، واللَّهجَ بِذكرِهِ، والفرارَ مِنَ الْخَلْقِ إِلَيْهِ، وَيصيرُ هُوَ وَحدَهُ همَّهُ دونَ مَا سواهُ.

وَيُوجبُ لَهُ شُهُودُ صِفَاتِ الربوبيَّةِ التَّوَكُّلَ عَلَيْهِ، والافتقارَ إِلَيْهِ، والاستعانَةَ بِهِ، والذلَّ والخضوعَ والانكسارَ لَهُ.

وَكَمَالُ ذَلِك: أَن يشْهدَ ربوبيَّتَهُ فِي إلهيَّتِهِ، وإلهيَّتَهُ فِي ربوبيَّتِهِ، وحمدَهُ فِي مُلكِهِ، وعزَّهُ فِي عَفوِهِ، وحكمتَهُ فِي قَضَائِهِ وَقدَرِهِ، وَنعمَتَهُ فِي بلائِهِ، وعطاءَهُ فِي مَنعِهِ، وبرَّهُ ولطفَهُ وإحسانَهُ وَرَحمتَهُ فِي قيومِيَّتِهِ، وعدلَهُ فِي انتقامِهِ، وجودَهُ وَكَرمَهُ فِي مغفرَتِهِ وسترِهِ وتجاوزِهِ، وَيشْهدَ حكمتَهُ وَنعمتَهُ فِي أمرِهِ وَنَهْيِهِ، وعزَّهُ

فِي رِضَاهُ وغضبِهِ، وحلمَهُ فِي إمهالِهِ، وَكَرمَهُ فِي إقبالِهِ، وغناهُ فِي إعراضِهِ.

وَأَنت إِذا تدبَّرْتَ الْقُرْآنَ وأَجَرْتَهُ من التحريفِ، وَأَنْ تقضِيَ عَلَيْهِ بآراءِ الْمُتَكَلِّمِينَ وأفكارِ المتكلِّفِينَ؛ أَشهَدَكَ مَلِكًا قيُّومًا فَوقَ سمواتِهِ علىٰ عَرْشِهِ يدبِّر أَمْرَ عبادِهِ؛ يَأْمرُ وَيَنْهَىٰ، وَيُرْسِلُ الرُّسُلَ، وَينزلُ الْكتبَ، ويرضَىٰ ويغضبُ، ويثيبُ ويعاقِبُ، وَيُعْطِي وَيمْنَعُ، ويعزُّ ويذلُّ، ويخفضُ وَيرْفَعُ، يرىٰ من فَوقِ سبعِ [سمواتٍ] وَيسمعُ، وَيعلمُ السِّرَّ وَالْعَلَانِيَةَ، فعَّالًا لما يُرِيدُ، مَوْصُوفًا بِكُلِّ كَمَالٍ، منزَّهًا عَن كلِّ عيب.

لَا تتحرك ذرَّةٌ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا تسْقطُ ورقةٌ إِلَّا بِعِلْمِهِ، وَلَا يشفعُ أحدٌ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، لَيْسَ لِعِبَادِهِ مِن دونِهِ وليٌّ وَلَا شَفِيعٌ»[(١)].

***

(١) «الفوائدُ» (صحيفةُ: ٦٩) للإمامِ ابن قيِّمِ الجوزيَّةِ رَحِمَهُٱللَّهُ.



المطلب الرابع:

مِنَ الثَّابتِ في القرآنِ الكريمِ

مقدِّمةٌ بين يدَيْ هذا الفصلِ

ما مرَّ ذِكرُهُ إنَّما هو مقدِّمةٌ للغايةِ الساميةِ؛ وهي التعرُّفُ علىٰ أسماءِ اللهِ ومعانِيها، ومَن قرَأَ هذا الفصلَ بتأنٍّ وتدبُّرٍ، وطلبًا لمعرفةِ اللهِ والقرْبِ منه؛ علمَ أنه أهدَرَ عُمرًا - ربَّما - يعبدُ اللهَ فيه دونَ أن يعرفَهُ، أو يعرفَ معنَىٰ العبادَةِ في ضوءِ معرفتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقد جريتُ في هذا الفصلِ علىٰ نَسَقٍ أرجو أنْ يجعلَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ نافعًا لقارئِه:

١- فاكتفيتُ بذِكرِ الدليلِ من القرآنِ الكريمِ، ولم أُكثرْ؛ طلبًا للاختصارِ.

٢- ما وَرَدَ دليلُهُ من السنَّةِ دونَ القرآنِ أوردتُهُ - أيضًا - دونَ الإكثارِ بسَرْدِ الأحاديثِ؛ طلبًا للاختصارِ.

٣- ذكرْتُ الأدلَّةَ مرتَّبةً مناسبةً لما يُستدلُّ بها عليه من التقسيماتِ التي ذكرها الأئمَّةُ والعلماءُ - عليهم رحمةُ اللهِ تَعَالَىٰ -[1].

---

(١) فإنَّه يردُ الاسمُ مفردًا، ومثالُه في قولِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٧٠] ، ومقرونًا مع غيرِهِ من الأسماءِ؛ كقولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾، وربَّما جاءَ مضافًا إضافةً عامَّةً مطلقةً، كقولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، و﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وربَّما مضافًا إضافةً خاصّةً؛ كقولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢﴾ [الأعراف: ١٢٢]، وقولِهِ: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص: ٧١]، وربَّما علىٰ صيغةِ التفضيلِ؛ كقولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ١٤﴾ [المؤمنون: ١٤]، وبعضُها لم يَرِدْ إلا بهذه الصيغةِ؛ كما في قولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥]. فراعيتُ ذلك عند ذكرِ الأدلَّةِ
=

٤- لم أُكثر مِن ذِكر كلامِ الشُّرَّاحِ للأسماءِ، واكتَفَيْتُ بِذكْرِ ما يقومُ بِهِ المعنَىٰ ويَكْمُلُ دونَ إخلالٍ.

٥- تناوَلْتُ شَرْحَ الأسماءِ الحُسنىٰ مِنْ جِهَةِ المعانِي اللغويَّةِ، ومن جهةِ المعانِي الشرعيَّةِ، ومن جهةِ آثارِهَا علىٰ العابِدِ للهِ المتعبِّدِ بمعرفَتِهَا.

٦- لم أقصدِ الإحصاءَ التامَّ لأسماءِ اللهِ الواردَةِ في كتابِهِ وعلىٰ لسانِ نبيِّهِ ﷺ[1]، ولا قصدْتُ ذِكرَ تسعةٍ وتسعِينَ اسمًا لاعتقادِ البعضِ أنَّه عددُ أسماءِ اللهِ الحسنىٰ! وإنَّما توقَّفْتُ عند سَرْدِ هذا العددِ جَرَيَانًا منِّي علىٰ طريقة أهل العلمِ عند تناولِ الأسماءِ الحسنىٰ، وتيمُّنًا مني بحديثِ رسولِ اللهِ ﷺ الواردِ في ذلكَ.

٧- ذكرتُ بعضَ الأسماءِ مقرونةً معَ غيرِهَا، ولهذا فائدةٌ ذكرَهَا العلماءُ، وبسطُوا القولَ فيها، ويأتي بيانُها في توطِئَةٍ بين يدَيْ هذا الفصلِ.

ولم أدَّعِ أني حزتُ الكمالَ، ولا يدعِي ذلك عَاقِلٌ، وحسبِي ما أَفْرَغْتُ من وسعٍ، وما بذلْتُ من جُهْدٍ، وأني لكلِّ ناصحٍ سامعٌ، ولكل مصوِّبٍ شاكرٌ، وعسىٰ اللهُ أن يقبَلَ جَهْدَ الْمُقِلِّ.

=

مشيرًا للقارئ إشارةً لطيفةً، دون إسهابٍ في الشرحِ، وربما اكتفيتُ بهذا التنبيهِ!

(١) إحصاءُ الواردِ في نصوصِ الوحي شيءٌ، وحصرُ الأسماءِ الحسنَىٰ في عددٍ معيَّنٍ شيءٌ، وبيانُ ذلِكَ: أنَّ دليلَ علماءِ السنَّةِ وأئمةِ الملَّةِ علىٰ أنَّ أسماءَ اللهِ سُبحانَه لا حصْرَ لها؛ أنه استأثَرَ في علمِ الغيبِ عندَهُ ببعضِها، وعلَّمَ بعضَ خلقِه دونَ غيرِهم بعضَها - كما جاءَ في الحديثِ الشريفِ -؛ فعلُمَ أن إحصاءَها في الواردِ الصحيحِ شيءٌ ممكنٌ، وإحصاءَها مطلقًا من المُحالِ؛ لِمَا وردَ في الحديثِ، واستدلَّ به الأئمةُ، واستقرَّ عليه الاعتقادُ.



توطئةٌ حولَ: معنى الاسمِ، وفائدةِ اقترانِ أسماءِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ

الِاسْمُ لُغَةً: مَا دَلَّ عَلَىٰ مُسَمًّىٰ.

وَعُرْفًا: مَا دَلَّ مُفْرَدًا عَلَىٰ مَعْنًىٰ فِي نَفْسِهِ، وَلَمْ يَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ.

«وَالتَّسْمِيَةُ جَعْلُ اللَّفْظِ دَالًّا عَلَىٰ الْمَعْنَىٰ، وَهُوَ مُشْتَقٌّ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ مِنَ السُّمُوِّ، وَهُوَ الْعُلُوُّ؛ **لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَىٰ مُسَمَّاهُ فَيُعْلِيهِ وَيُظْهِرُهُ.**

وَعِنْدَ الْكُوفِيِّينَ مِنَ السِّمَةِ وَهِيَ الْعَلَامَةُ؛ لِأَنَّهُ عَلَامَةٌ عَلَىٰ مُسَمَّاهُ.

[والأخيرُ اختيارُ المعتزلَةِ، ويجابُ عن ذلك بأنَّ العربَ صغَّرتْ الاسمَ بِـ: (سَمِيٍّ)، ولوْ كانَ مِن السِّمَةِ؛ لكانَ تصغيرُهُ (وسيم)، كما صغَّروا: وَزْنَةً، فقالُوا: وُزَيْنَةً. فدلَّ أن المحذوفَ منه لامُ الفعلِ لا فاؤُهُ، وقدْ بيَّنَ شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأمرَ وجلَّاهُ، ولم يمنَعْ كونَ الاشتقاقِ من كِلَيْهِمَا، غيرَ أنَّه رجَّحَ الأوَّلَ، وهو قولُ طائفةِ أهلِ الحديثِ؛ فقال:

«الِاسْمُ مَقْصُودُهُ إظْهَارُ «الْمُسَمَّىٰ» وَبَيَانُهُ، وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ «السُّمُوِّ» وَهُوَ الْعُلُوُّ؛ كَمَا قَالَ النُّحَاةُ الْبَصْرِيُّونَ، وَقَالَ النُّحَاةُ الْكُوفِيُّونَ: هُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ «السِّمَةِ»؛ وَهِيَ الْعَلَامَةُ، وَهَذَا صَحِيحٌ فِي «الِاشْتِقَاقِ الْأَوْسَطِ»؛ وَهُوَ مَا يَتَّفِقُ فِيهِ حُرُوفُ اللَّفْظَيْنِ دُونَ تَرْتِيبِهِمَا؛ فَإِنَّهُ فِي كِلَيْهِمَا (السِّينُ وَالْمِيمُ وَالْوَاوُ)،

وَالْمَعْنَىٰ صَحِيحٌ؛ فَإِنَّ السِّمَةَ وَالسِّيما: الْعَلَامَةُ. وَمِنْهُ يُقَالُ: وَسَمْتُهُ أَسِمُهُ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ﴾ [القلم: ١٦]؛ وَمِنْهُ التَّوَسُّمُ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجرُ: ٧٥].

لَكِنَّ اشْتِقَاقَهُ مِنَ «السُّمُوِّ» هُوَ الِاشْتِقَاقُ الْخَاصُّ الَّذِي يَتَّفِقُ فِيهِ اللَّفْظَانِ فِي الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا، وَمَعْنَاهُ أَخَصُّ وَأَتَمُّ؛ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي تَصْرِيفِهِ: سَمَّيْتُ، وَلَا يَقُولُونَ: وَسَمْتُ، وَفِي جَمْعِهِ: أَسْمَاءٌ، لَا أوسامٌ، وَفِي تَصْغِيرِهِ: سَمَيٌّ لَا وسيمٌ. وَيُقَالُ لِصَاحِبِهِ: مُسَمًّىٰ، لَا يُقَالُ: مَوْسُومٌ؛ وَهَذَا الْمَعْنَىٰ أَخَصُّ؛ «فَإِنَّ الْعُلُوَّ مُقَارِنٌ لِلظُّهُورِ»، كُلَّمَا كَانَ الشَّيْءُ أَعْلَىٰ كَانَ أَظْهَرَ، وَكُلٌّ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلُوِّ وَالظُّهُورِ يَتَضَمَّنُ الْمَعْنَىٰ الْآخَرَ، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيءٌ**»، وَلَمْ يَقُلْ: فَلَيْس أَظْهَرَ مِنْك شَيْءٌ؛ لِأَنَّ الظُّهُورَ يَتَضَمَّنُ الْعُلُوَّ وَالْفَوْقِيَّةَ؛ فَقَالَ: «**فَلَيْس فَوْقَك شَيْءٌ**»[1]].

وَأَوْصَلَ بَعْضُهُمْ لُغَاتِ (الِاسْمِ) إِلَىٰ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ، وَنَظَمَهَا فِي قَوْلِهِ:

لَنَا فِي الِاسْمِ بِنَصِّ الْعَارِفِينَ بِنَقْلِهَا ... ثَمَانٍ وَعَشْرٌ مِنْ لُغَاتٍ أَتَتْ

سُمَاةٌ بِتَثْلِيثِ الْأَوَائِلِ كُلِّهَا ... سِمٌ سِمَةٌ اسْمٌ سَمَاءٌ كَذَا سُمَا

(**فَائِدَةٌ**): الِاسْمُ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ غَيْرُ الْمُسَمَّىٰ، وَفِي الْخَالِقِ تَعَالَىٰ لَا غَيْرَ وَلَا عَيْنَ.

قَالَ الْإِمَامُ الْمُحَقِّقُ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَيِّمِ فِي كِتَابِهِ «بَدَائِعِ

---

(١) «مجموعُ الفتاوَىٰ» (٦/ ٢٠٧).

الْفَوَائِدِ»: «أَسْمَاءُ اللهِ الْحُسْنَىٰ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ مِنْ كَلَامِهِ تَعَالَىٰ، وَكَلَامُهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَلَا يُقَالُ: هِيَ غَيْرُهُ، وَلَا هِيَ هُوَ. وَهَذَا الْمَذْهَبُ مُخَالِفٌ لِمَذْهَبِ الْمُعْتَزِلَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: أَسْمَاؤُهُ غَيْرُهُ، وَهِيَ مَخْلُوقَةٌ. وَلِمَذْهَبِ مَنْ رَدَّ عَلَيْهِمْ مِمَّنْ يَقُولُ: اسْمُهُ نَفْسُ ذَاتِهِ لَا غَيْرُهُ»[(١)].

فهذا معنَىٰ الاسمِ واشتقاقُهُ، وأَمَّا اقترانُ أسماءِ اللهِ في النصوصِ؛ فقدْ «أَمَرَ اللهُ سبحانَهُ بتدبُّرِ كلامِهِ والتفكُّرِ فيهِ، وفي أوامرِهِ ونواهِيهِ وزواجِرِهِ، ولولا ما تضمَّنه من الحِكَمِ والمصالحِ والغاياتِ المطلوبةِ والعواقبِ الحميدةِ، التي هي محلُّ الفكرِ؛ لَمَا كان للتفكُّرِ فيه معنًىٰ، وإنما دعاهم إلىٰ التفكُّرِ والتدبُّرِ ليُطْلِعَهم ذلك علىٰ حكمتِهِ البالغةِ، وما فيه من الغاياتِ والمصالحِ المحمودةِ التي توجبُ لمن عرفها إقرارَهُ بأنَّه تنزيلٌ مِنْ حكيمٍ حميدٍ.

فإن ما في خَلْقِ اللهِ وأمرِهِ من الحِكَمِ والمصالحِ المقصودَةِ بالخَلْقِ والأمرِ، والغاياتِ الحميدةِ؛ أمْرٌ تشهدُ به الفِطَرُ والعقولُ، ولا ينكِرُهُ سليمُ الفطرةِ.

ويذكرُ تَعَالَىٰ هذين الاسمينِ عند ذكْرِ مصدرِ خلقِهِ وشرعِهِ، تنبيهًا علىٰ أنهما إنما صدَرَا عن حكمةٍ مقصودةٍ مُقارِنَةٍ للعلمِ المحيطِ التامِّ؛ لقولِهِ: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦].

وقولِهِ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ [الزمر: ١].

---

(١) «لَوَامِعُ الأنوارِ» (١/ ٢٩).

فذكرُه العزَّةَ المتضمِّنَةَ لكمالِ القدرةِ والتصرفِ، والحكمةَ المتضمِّنةَ لكمالِ الحمدِ والعلمِ.

وقولُهُ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

وسمعَ بعضُ الأعرابِ قارئًا يقرؤُهَا: [واللهُ غفورٌ رحيمٌ]؛ فقالَ: ليس هذا كلامَ اللهِ! فقالَ: أتُكذِّبُ بالقرآنِ؟ فقال: لا، ولكنْ لا يَحْسُنُ هذا! فرجع القارئُ إلىٰ خطئِهِ؛ فقالَ: ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾؛ فقال: صدقتَ.

وإذا تأمَّلتَ ختمَ الآياتِ بالأسماءِ والصفاتِ؛ وجدْتَ كلامَهُ مُخْتَتَمًا بذكْرِ الصفةِ التي يقتضِيهَا ذلك المقامُ، حتىٰ كأنَّها ذُكِرَتْ دليلًا عليه وموجبةً له، وهذا كقولِهِ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]؛ أي: فإنَّ مغفرتَكَ لهم صادرةٌ عن عزَّةٍ وكمالِ قدرةٍ لا عن عجزٍ أو جهلٍ.

وقولِهِ: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨، وفصِّلتْ: ١٢، والزُّخرفُ: ٩] في عدَّة مواضعَ من القرآنِ، يذكرُ ذلكَ عَقِيبَ ذكرِهِ الأجرامَ العلويَّةَ، وما تضمَّنُه من فَلْقِ الإصباحِ، وجَعْلِ الليلِ سَكَنًا، وإجراءِ الشمسِ والقمرِ بحسابٍ لا يعْدُوانِهِ، وتزيينِ السماءِ الدنيا بالنجومِ، وحراستِهَا، وأخبرَ أنَّ هذا التقديرَ المُحْكَمَ المتقَنَ صادرٌ عن عزَّتِهِ وعلْمِهِ، ليس أمرًا اتفاقيًّا لا يُمدح به فاعلُه، ولا يُثنىٰ عليه به كسائرِ الأمورِ الاتفاقيَّةِ.

ومن هذا ختمُهُ سبحانَه قَصَصَ الأنبياءِ وأممِهم في سورةِ الشُّعراءِ عَقِيبَ كلِّ

قصَّةٍ بقولِهِ: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء: ٩، ٦٨، ١٠٤، ١٢٢، ١٤٠، ١٥٩، ١٧٥، ١٩١].

فإنَّ ما حكَمَ به لرسلِهِ وأتباعِهم ولأعدائِهمْ صادرٌ عن عزَّةٍ ورحمةٍ، فوَضَعَ الرحمةَ في محلِّها، وانتقمَ من أعدائِهِ بعزَّتِه، ونَجَّىٰ رُسُلَهُ وأتباعَهُم برحمتِهِ، والحكمةُ الحاصلةُ من ذلك أمرٌ مطلوبٌ مقصودٌ، وهي غايةُ الفعلِ، لا أنها أمرٌ اتفاقيٌّ.

وأخبرَ تَعَالَىٰ بأنَّ حكمَهُ أحسنُ الأحكامِ، وتقديرَهُ أحسنُ التقادِيرِ، ولولا مطابقَتُهُ للحكمَةِ والمصلحَةِ المقصودَةِ المرادَةِ لَمَا كانَ كذلك؛ إذ لو كان حُسنُه لكونِهِ مقدورًا معلومًا كما يقوله النُّفاةُ؛ لكان هو وضدُّه سواءً، فإنه بكلِّ شيءٍ عليمٌ، وعلىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، فكانَ كلُّ معلومٍ مقدورٍ أحسنَ الأحكامِ وأحسنَ التقاديرِ، وهذا ممتنعٌ؛ قالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، وَقالَ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء: ١٢٥]، فجعَلَ هذا أنْ يختارَ لهم دينًا سواه، ويرتضي دينًا غيره، كما يمتنعُ عليه العيبُ والظلمُ.

وَقالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصِّلت: ٣٣].

وَقالَ: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣].

وَقالَ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤].

فلا أحسنَ من تقديرِه وخلقِه؛ لوقوعِه علىٰ الوَجْهِ الذي اقتضتْهُ حكمتُهُ ورحمتُه وعلمُه.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ [الملك: ٣].

ولولا مجيئُه علىٰ أكملِ الوجوهِ وأحسنِها، ومطابقتُه للغاياتِ المحمودةِ والحِكَمِ المطلوبةِ؛ لكانَ كلُّه متفاوتًا، أو كانَ عدمُ تفاوتِهِ أمرًا اتفاقيًّا؛ لا يُحمدُ فاعلُهُ؛ لأنه لم يُرِدْهُ، ولم يقصدْهُ، وإنَّما اتَّفق أنْ صار كذلك.

وتأمَّلْ حكمةَ القرآنِ؛ كيفَ جاءَ في الاستعاذةِ من الشيطانِ الذي نعلمُ وجودَهُ ولا نراهُ بلفظِ: «السَّمِيعِ العَلِيمِ» في «الأعرافِ» و«حم السجدةِ».

وجاءتْ الِاستعاذةُ منْ شَرِّ الإنسِ الذين يُؤْنَسُون ويُرونَ بالأبصارِ بلفظِ: «السَّمِيعِ البَصِيرِ» في سورة «حم المؤمنِ»؛ فقالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦]؛ لأن أفعالَ هؤلاءِ مُعايَنَةٌ تُرَىٰ بالأبصارِ، وأمَّا نَزْغُ الشيطانِ فوَسَاوِسُ وخَطَرَاتٌ يُلقِيها في القلْبِ يتعلَّقُ بها العلمُ، فأمَرَ بالاستعاذةِ بالسميعِ العليمِ فيها، وأمرَ بالاستعاذةِ بالسميعِ البصيرِ في بابِ ما يُرىٰ بالبصرِ ويُدرك بالرؤيةِ.

كما جرتْ عادةُ القرآنِ بتهديدِ المخاطَبِينَ وتحذيرِهم بمَا يذكرُهُ من صفاتِهِ، التي تقتضِي الحذَرَ والاستقامةَ؛ كقولِهِ: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٠٩]، وقولِهِ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤].

والقرآنُ مملوءٌ مِن هذا، وعلىٰ هذا فيكونُ في معنىٰ ذلك: أني أسمعُ ما

يردُّون به عليك، وما يقابلُون به رسالاتِي، وأُبصرُ ما يفعلُونَ، ولا ريبَ أنَّ المخاطَبِين بالرسالةِ بالنسبةِ إلىٰ الإجابةِ والطاعةِ نوعان:

أحدهما: قابلُوها بقولِهم: صدقْتَ، ثمَّ عَمِلُوا بموجبِها.

والثاني: قابلُوها بالتكذيبِ، ثمَّ عملُوا بخلافِها.

فكانتْ مرتبةُ المَسمُوعِ مِنهمُ قبلَ مرتبةِ المُبصَرِ، فقدَّم ما يتعلَّق به علىٰ ما يتعلَّق بالمبصَرِ.

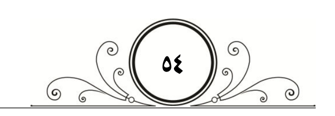
اقترانُ الواسعِ بالعليمِ:

قالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقد ختَمَ الآيةَ باسمَيْنِ من أسمائِهِ الحسنَىٰ مطابقَيْنِ لسياقِهَا؛ وهُما: الواسِعُ والعليمُ؛ فلا يستبعِدُ العبدُ هذه المضاعفَةَ، ولا يضيقُ عنها عَطَنُهُ؛ فإن المضاعِفَ واسعُ العطاءِ، واسعُ الغِنَىٰ، واسعُ الفضلِ، ومع ذلك فلا يُظَنُّ أنَّ سَعَةَ عطائِهِ تقتضي حصولَها لكلِّ منفِقٍ؛ فإنه عليمٌ بمَن تصلُحُ له هذه المضاعفةُ وهو أهلٌ لَهَا، ومَنْ لا يستحقُّها ولا هو أهلٌ لها؛ فإنَّ كرمَهُ وفضلَهُ لا يناقضُ حكمتَهُ، بل يضعُ فضلَهُ مواضعَهُ؛ لسعتِهِ ورحمتِهِ، ويمنعُهُ مَن ليس مِن أهلِهِ بحكمتِهِ وعلمِهِ.

اقترانُ الغنيِّ بالحليمِ:

قالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣].



وَختمَ الآيةَ بصفتينِ مناسبتَيْنِ لِمَا تضمَّنَتْهُ فقالَ: ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾؛ **وَفِيه معنيانِ:**

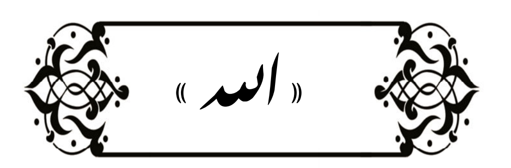
أحدُهما: أنَّ اللهَ غنيٌّ عنكم، لن ينالَهُ شيءٌ مِن صدقاتِكم، وإنَّما الحظُّ الأوفرُ لكم في الصدقةِ؛ فنفعُها عائدٌ عليكم، لا إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكيفَ يمنُّ بنفقتِهِ ويؤذِي مع غِنَىٰ اللهِ التامِّ عنها وعن كلِّ ما سواه؟! ومع هذا فهو حليمٌ؛ إذ لا يعاجِلُ المنَّانَ بالعقوبةِ، وفي ضِمْنِ هذا الوعيدُ والتحذيرُ.

والمعنىٰ الثاني: أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مع غِناه التامِّ من كلِّ وجهٍ فهو الموصوفُ بالحلمِ والتجاوزِ والصفحِ، مع عطائِهِ الواسعِ وصدقاتِهِ العميمةِ؛ فكيف يؤذِي أحدُكم بمنِّه وأذاه مع قلَّة ما يعطي ونزارتِهِ وفقرِهِ؟!

ولكمالِ غناهُ استحالَ إضافةُ الولدِ، والصاحبةِ، والشريكِ، والشفيعِ بدونِ إذنِهِ؛ إليه، ولكمالِ عظمتِهِ وعلوِّه وسِعَ كرسيُّهُ السمواتِ والأرضَ، ولم تسعْهُ أرضُهُ ولا سمواتُهُ، ولم تُحِطْ به مخلوقاتُهُ، بلْ هو العالِي علىٰ كلِّ شيءٍ، وهو بكلِّ شيءٍ محيطٌ، ولا تنفدُ كلماتُهُ ولا تُبدَّلُ، ولو أن البحرَ يمدُّه من بعده سبعةُ أبحُرٍ مِدادًا، وأشجارُ الأرضِ أقلامًا، فكُتب بذلك المداد وبتلك الأقلام؛ لنَفِدَ المدادُ وفَنِيتِ الأَقلامُ، ولم تنفدْ كلماتُهُ؛ إذ هي غيرُ مخلوقةٍ»[1].

❁❁❁

(١) «أسماءُ اللهِ الحسنَىٰ» (صحيفةُ: ٢٩٦ – ٣٠١) للإمامِ ابنِ القيمِ، جمعُ وترتيبُ: يوسفَ عليٍّ وأيمنَ عبدِ الرزَّاقِ، بواسطةِ «القواعدِ المُثْلَىٰ» (صحيفةُ: ٥٦) للعلَّامةِ العثيمِينِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



الدليلُ منَ القُرآنِ[(١)] :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١﴾ [الفاتحةُ: ١].

«**أصلُه:** الإلهُ[(٢)]، ثم حُذفتِ الهمزةُ تخفيفًا؛ فاجتمعت لامانِ؛ فأُدغمت الأولىٰ في الثانية[(٣)].

[وهذه مسألة]:

الألفُ واللامُ في «اللهِ» عوضٌ عن الهمزةِ المحذوفةِ، فلزمتا ولمْ تفارقَا الاسمَ، كأنهما بعضُ حروفِهِ؛ فلذلكَ دخل عليه حرفُ النداءِ فقيلَ: «يا اللهُ اغفرْ

---

(١) وقدْ ذُكِرَ لفظُ الجلالةِ «اللهِ» في كتابِ اللهِ ما يربُو علىٰ ألفٍ وخمسِمائة مرةٍ، واكتفيتُ بأولِ موضعٍ له في كتابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وهو الاسمُ العَلَمُ علىٰ إِلَهِنا العظيمِ سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

(٢) «**الإلهُ**»: اسمٌ من أسماءِ اللهِ تَعَالَىٰ، قَالَ شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «"**إلهٌ**": أكثرُ ما يقعُ مضافًا؛ كقولِهِ: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ﴾ [البقرة: ١٦٣]، ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٣]، ﴿إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، ﴿إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [القصص: ٣٨]، أو مذكورًا موصوفًا بالوحدانيَّةِ؛ كقولِهِ: ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [فصِّلَتْ: ٦]، كقولِهِ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٌۚ﴾ [الزخرف: ٨٤]». «المستدركُ علىٰ مجموعِ الفتاوَىٰ» (١/ ٤٤).

(٣) قالَهُ يونسُ بنُ حبيبٍ، والكسائِيُّ، والفرَّاءُ وقُطْرُبٌ، والأخفشُ. كما نسبَه الزجاجيُّ إليهم في كتابِهِ «اشتقاقِ أسماءِ اللهِ».

لنَا»، وحرفُ النداءِ لا يدخلُ علىٰ ما فِيه الألفُ واللَّامُ، لا يُقال: «يَا الرجلُ اقْبِلْ»، ولا يقالُ: «يا الغلامُ هَلُمَّ»؛ لأن النداءَ يعرِّفُ الاسمَ بالإشارةِ والخطابِ، والألفُ واللامُ يعرِّفان الاسمَ، فلا يجتمعُ علىٰ اسمٍ تعريفانِ مختلفانِ.

فلمَّا كانتِ الألفُ واللامُ في «اللهِ» كأنهما من نفسِ الكلمةِ؛ دخلَ عليهِ حرفُ النداءِ. وليستِ الألفُ واللامُ في «اللهِ» كالألفِ واللامِ في «الذِي»، وإنْ كانتِ الألفُ واللامُ لا تفارقانِ «الذِي»؛ لأنَّ «الذِي» لم يُحذَفْ مِنْهُ شيءٌ؛ فتكونُ الألفُ واللامُ عوضًا منْه؛ فلذلكَ لم يدخلْ حرفُ النداءِ علىٰ «الذِي»، ولأنَّ «الذِي» نعتٌ واقِعٌ علىٰ كلِّ منعوتٍ. تقولُ: «رأيتُ الرجلَ الذِي في الدارِ، والثوبَ الذي عندَكَ، والمالَ الذي عندَكَ»، «ورأيتُ الحائطَ الذي بنيتَهُ».

وأمَّا قولُ الشاعرِ:

مِـنْ أَجْلِـكِ يَـا الَّتِـي تَيَّمْـتِ قَلْبِـي وَأَنْـــتِ بَخِيلَـــةٌ بِـــالوُدِّ عَنِّـــي

فذكرَ أَبُو العبَّاس المبرِّدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنَّه غلطٌ من قائِلهِ، ولا يقبلَ لغتَهُ الجماعةُ والقياسُ. وكذلك كان يقولُ في قولِهِ:

فَيَـــا الغُلامَـــانِ اللَّـــذانِ فَـــرَّا إِيَّاكُمَـــا أَنْ تُكْسِـــبَانَا شَـــرَّا

وكانَ يقولُ: لوْ رويَ «فَيَا غُلامَانِ» لاستقامَ وزنُ البيتِ.

وليستِ الألفُ واللامُ في «اللهِ» كالألفِ واللامِ في [كلمةِ] «النجمِ» إذا أردتَ الثُّريَّا؛ لأنَّ الألفَ واللامَ تخرجانِ منه فيصيرُ نجمًا مِنَ النجومِ نكرةً، وهذا اسمٌ ليس كمثلِهِ اسمٌ، ولا معرفةَ أعرفُ منه.

وأُلزمَ هذا البناءَ ليدلَّ علىٰ أنه الإلهُ المستحقُّ للألوهيةِ دون ما سواه، ألا ترىٰ أنه قد استعملَ «إلهٌ» في غيرِهِ عَزَّوَجَلَّ حكايةً ومجازًا، فلم يُستَعملْ «الله» في غيرِه، كقولِ السامريِّ: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٨]، ولم يقُلْ لهم: «هذا اللهُ». ومثلِ قولِهم: ﴿ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ﴾ [الزخرف: ٥٨]، ومثلِ قولِهِ: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، ومثلِ قولِه: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]، وقدِ ادعَىٰ فرعونُ أنَّه ربٌّ وإلهٌ؛ فقالَ: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وَقالَ: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨] ، ولم يدَّعِ معَ هذا أنهُ اللهُ، جَلَّ اللهُ عمَّا يقولُ الظالمُونَ [وَتَعَالىٰ] علوًّا كبيرًا.

فهذا يدلُّ علىٰ أنَّ إدخالَ الألفِ واللامِ في «اللهِ»، وحذفَ الهمزةِ منه، وإلزامَهُ هذا البناءَ؛ إنَّما هو ليدلَّ علىٰ أنه لا يستحقُّ الألوهيةَ في الحقيقةِ غيرُهُ، وخُصَّ ببناءٍ لا يشركُ فيه سواهُ، ولا يدَّعيه أحدٌ»(١).

وَفي ذلك يقولُ الإمامُ ابنُ قيِّمِ الجوزيةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**وأمَّا الإلهُ:** فهو الجامعُ لجميعِ صفاتِ الكمالِ ونعوتِ الجلالِ؛ فيدخلُ في هذا الاسمِ جميعُ الأسماءِ الحُسنَىٰ؛ ولهذا كان القولُ الصحيحُ: أنَّ «اللهَ» أصلُه(٢) «الإلَهُ»؛ كما هو قولُ سيبويه وجمهورِ أصحابِهِ، إلَّا مَن شذَّ منهم، وأنَّ

---

(١) «اشتقاقُ أسماءِ اللهِ» (صحيفةُ: ٢٣، وما بعدَها) للزجاجِيِّ - بتصرُّفٍ -.

(٢) **فائدةٌ عزيزةٌ:** قد عبَّرَ بعضُ العلماءِ عن ذلك بلفظَةِ «الاشتقاقِ»؛ فيقولُونَ: اسمُ اللهِ كذا مشتقٌّ من كذا. وقد تعقَّبَ ذلك بعضُ المتقدِّمينَ تعقُّبًا لا يصلحُ علىٰ اصطلاحِ أهلِ السنَّةِ علىٰ الاشتقاقِ مثلُهُ؛ قَالَ =

اسمَ «اللهِ» تَعَالَىٰ: هو الجامعُ لجميعِ معانِي الأسماءِ الحُسنىٰ والصفاتِ العُلَىٰ، فقد تضمَّنتْ هذه الأسماءُ الثلاثةُ جميعَ معاني أسمائِهِ الحسنىٰ؛ فكانَ المستعيذُ بِهَا جَدِيرًا بأنْ يُعاذَ ويُحفظَ ويُمنعَ مِن الوسواسِ الخَنَّاسِ، ولا يُسلَّطَ عليه. وأسرارُ كلامِ اللهِ أجلُّ وأعظمُ مِن أنْ تدركَها عقولُ البشرِ، وإنَّما غايةُ أولي العلمِ الاستدلالُ بما ظهرَ منها علىٰ ما وراءُ، وإنَّ بادِيه إلىٰ الخافي يسيرٌ»[١].

=

الإمامُ ابنُ قيمِ الجوزيَّةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «زَعَمَ أبو القاسِمِ السهيلِيُّ وشيخُهُ ابنُ العربيِّ: أنَّ اسمَ اللهِ غيرُ مشتقٍّ؛ لأنَّ الاشتقاقَ يستلزمُ مادةً يُشتقُّ منها، واسمُهُ تَعَالَىٰ قديمٌ، والقديمُ لا مادةَ له؛ فيستحيلُ الاشتقاقُ!

ولا ريبَ أنه إن أريدَ بالاشتقاقِ هذا المعنَىٰ، وأنه مستمَدٌّ من أصلٍ آخرَ؛ فهو باطلٌ، ولكنَّ الذين قالوا بالاشتقاقِ لم يريدُوا هذا المعنَىٰ، ولا أَلَمَّ بقلوبِهم، وإنما أرادُوا أنَّه دالٌّ علىٰ صفةٍ له تَعَالَىٰ؛ وهي الإلهيَّةُ؛ كسائرِ أسمائِهِ الحسنَىٰ؛ كالعليمِ والقديرِ والغفورِ والرحيمِ والسميعِ والبصيرِ؛ فإن هذه الأسماءَ مشتقَّةٌ من مصادرِها بلا ريبٍ، وهي قديمةٌ والقديمُ لا مادةَ له.

فما كان جوابَكم عن هذه الأسماءِ فهو جوابُ القائلِينَ باشتقاقِ اسمِ اللهِ، ثم الجوابُ عن الجميعِ أنَّنا لا نعنِي بالاشتقاقِ إلا أنَّها ملاقِيةٌ لمصادرِها في اللفظِ والمعنَىٰ، لا أنها متولِّدَةٌ منها توَلُّدَ الفرعِ من أصلِهِ، وتسميةُ النُّحاةِ للمصدَرِ والمشتقِّ منه أصلًا وفرعًا ليس معناهُ أن أحدَهما تولَّدَ من الآخرِ، وإنما هو باعتبارِ أن أحدَهما يتضمَّنُ الآخرَ وزيادةً.

وقولُ سيبويه: إنَّ الفعلَ أمثلةٌ أُخذَتْ من لفظِ أحداثِ الأسماءِ؛ هو بهذا الاعتبارِ، لا أنَّ العربَ تكلَّمُوا بالأسماءِ أولًا ثم اشتقُّوا منها الأفعالَ؛ فإن التخاطُبَ بالأفعالِ ضروريٌّ كالتخاطُبِ بالأسماءِ لا فرقَ بينهما، فالاشتقاقُ هنا ليس هو اشتقاقًا ماديًّا، وإنما هو اشتقاقُ تلازُمٍ؛ سُمِّي المتضمِّنُ – بالكسرِ – مشتقًّا، والمتضمَّنُ – بالفتحِ – مشتقًّا منه، ولا محذورَ في اشتقاقِ أسماءِ اللهِ تَعَالَىٰ بهذا المعنَىٰ».

انظرْ: «بدائعَ الفوائدِ» (١/ ٢٣).

(١) «بدائعُ الفوائدِ» (٢/ ٢٤٩).

«اللهُ: هو المألوهُ المعبودُ، ذو الألوهيَّةِ والعبوديةِ علىٰ خلقِه أجمعِينَ؛ لمَا اتصفَ به من صفاتِ الألوهيَّةِ التي هي صفاتُ الكمالِ»(١).

وهو «أَشْهَرُ أَسْمَاءِ الرَّبِّ [تَعَالَىٰ]، وأَعْلَاهَا مَحَلًّا في الذكْرِ، والدُّعَاءِ؛ وكذَلِكَ جُعِلَ أمامَ سَائِرِ الأَسْماءِ، وَخُصَّتْ بِهِ كَلِمَةُ الإِخْلَاصِ، وَوَقَعَتْ بِهِ الشهادةُ؛ فَصَارَ شِعَارَ الإيمَانِ، وَهُوَ اسمٌ مَمنوعٌ، لَمْ يَتَسَمَّ بِهِ أَحَدٌ، قَدْ قَبَضَ اللهُ عَنْهُ الأَلْسُنَ؛ فلم يُدْعَ بِهِ شَيْءٌ سِوَاهُ، وَقَد كادَ يَتَعَاطَاهُ المُشْرِكُونَ اسْمًا لِبَعْضِ أَصْنَامِهِمُ التي كانُوا يَعْبُدُونَهَا، فَصَرَفَهُ اللهُ [تَعَالىٰ] إِلَىٰ «اللَّاتِ»؛ صِيَانَةً لِهذا الاسمِ، وَذَبًّا عَنْهُ»(٢).

واستِشعارُ معانِي لفْظِ الجلالةِ (اللهِ) مِنْ ثمراتِ صحَّةِ الإيمانِ:

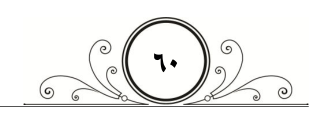
فإنه متىٰ صحَّ في قلبِ العبدِ إيمانٌ؛ استشعرَ من لفظِ الجلالةِ (اللهِ) كلَّ جلالٍ وكمالٍ وجمالٍ، وهذا مستقرٌّ في الفِطَرِ، ظاهرٌ لمن له بصيرةٌ ومعرفةٌ؛ قالَ ابنُ قيِّمِ الجوزيَّةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في معرِضِ شرحِهِ للصلاةِ، وما يستحضِرُهُ المصلِّي -:

«ثم يكونُ لقلبِهِ مجالٌ من شهودِ هذه الأسماءِ الثلاثةِ التي هي أصولُ الأسماءِ الحُسنىٰ؛ وهي: اللهُ والربُّ والرحمنُ، فشاهَدَ قلبُهُ من ذكر اسمِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلهًا معبودًا موجودًا مَخُوفًا، لا يستحقُّ العبادةَ غيرُه، ولا تنبَغِي إلَّا لَهُ، قد عنَتْ له الوجوهُ، وخضعَتْ له الموجوداتُ، وخشعَتْ له الأصواتُ، ﴿تُسَبِّحُ لَهُ

---

(١) «تفسيرُ السعديِّ» (صحيفةُ: ٩٤٥).

(٢) «شأْنُ الدعاءِ» (صحيفةُ: ٣٠).



ﭐلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الإسراءُ: ٤٤] ، ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [الرُّوم: ٢٦].

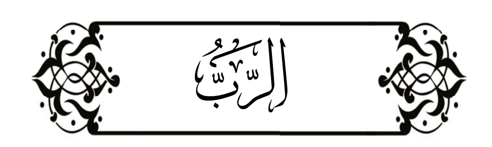
وكذلكَ خلَقَ السمواتِ والأرضَ وما بينهما، وخلَقَ الجنَّ والإنسَ والطيرَ والوحشَ والجنَّةَ والنارَ، وكذلك أرسلَ الرسلَ، وأنزلَ الكُتبَ، وشرعَ الشرائعَ، وألزمَ العبادَ الأمرَ والنهيَ.

وشاهَدَ من ذكر اسمِه «ربِّ العالمِينَ» قيُّومًا قام بنفسه، وقامَ به كلُّ شيءٍ؛ فهو قائِمٌ علىٰ كلِّ نفسٍ بخيرِهَا وشرِّهَا، قدِ استوَىٰ علىٰ عرشِهِ، وتفرَّدَ بتدبِيرِ ملكِهِ.

فالتدبيرُ كلُّه بيدَيْهِ، ومصيرُ الأمورِ كلِّها إليه؛ فمَرَاسِيمُ التدبيراتِ نازلةٌ من عندِهِ علىٰ أيدِي ملائكتِهِ بالعطاءِ والمنعِ، والخفضِ والرفعِ، والإحياءِ والإماتةِ، والتوبةِ والعَزْلِ، والقبضِ والبَسْطِ، وكشفِ الكروبِ وإغاثةِ الملهوفِينَ، وإجابةِ المضطرِّينَ، ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمن: ٢٩]، لا مانعَ لمَا أعطىٰ، ولا مُعطيَ لما مَنَعَ، ولا معقِّبَ لحُكْمِهِ، ولا رادَّ لأمرِهِ، ولا مبدِّلَ لكلماتِهِ، تعرُجُ الملائكةُ والروحُ إليه، وتُعْرَضُ الأعمالُ أوَّلَ النهارِ وآخرَهُ عليه، فيُقدِّرُ المقاديرَ ويُوَقِّتُ المواقيتَ، ثم يَسُوقُ المقاديرَ إلىٰ مواقِيتِها، قائمًا بتدبيرِ ذلك كلِّه، وحفظِهِ ومصالِحِهِ»[1].

❊❊❊

(١) «الصلاةُ وأحكامُ تاركِها» (صحيفةُ: ١٤٢).



الرَّبُّ

الدليل من القرآن:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ [يس: ٥٨].

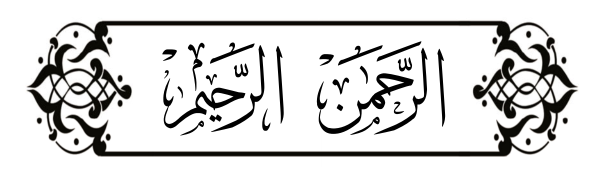
وَقالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ۝٥﴾ [الصافات: ٤، ٥].

وَقالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝١٢٢﴾ [الأعراف: ١٢٢].

اسمُ اللهِ «الربُّ» وردَ مفرَدًا ومضافًا إضافةً عامَّةً وإضافةً خاصَّةً، ورتَّبْتُ الآياتِ علىٰ وجهِ الدلالةِ علىٰ إثباتِ ما مرَّ ذكْرُهُ، وقد أشارَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لذلكَ في «مجموع الفتاوىٰ»، و«الربُّ: المصلِحُ للشيءِ، يقالُ: «رَبَبْتُ الشَّيءَ أَرُبُّهُ رَبًّا وَرَبَابَةً»: إذا أصلحتُهُ وقُمْتُ عليه، وربُّ الشيءِ: مالِكُهُ؛ فاللهُ عَزَّوَجَلَّ مَالكُ العبادِ ومُصْلِحُهُمْ، ومُصلِحُ شُؤونِهم. ومصدرُ «الربِّ»: الربوبيَّةُ، وكلُّ من ملكَ شيئًا فهو ربُّهُ، يقال: «هذا ربُّ الدارِ، وربُّ الضَّيْعَةِ». ولا يقالُ: «الربُّ» معرَّفًا بالألفِ واللامِ مطلقًا إلا للهِ عَزَّوَجَلَّ؛ لأنَّه مالكُ كلِّ شيءٍ»[1].

(١) «اشتقاقُ أسماءِ اللهِ» (صحيفةُ: ٣٢) للزجاجيِّ.





الدليلُ منَ القرآنِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ[1] الرَّحِيمِ ۝١﴾ [الفاتحةُ: ١].

---

(١) **فائدةٌ عزيزةٌ:** «استبعَدَ قومٌ أنْ يكونَ «الرحمنُ» نعتًا للهِ تَعَالَىٰ في قولِه تبارك وتعالىٰ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

وَقالُوا: «الرحمنُ» علَمٌ، والأعلامُ لا يُنْعَتُ بها. ثم قالُوا: هو بدلٌ من اسمِ اللهِ. قالُوا: ويدلُّ علىٰ هذا أنَّ «الرحمنَ» علَمٌ مختصٌّ باللهِ تَعَالَىٰ لا يشارِكه فيه غيرُه، فليس هو كالصفاتِ التي هي «العليمُ، والقديرُ، والسميعُ والبصيرُ»؛ ولهذا تجرِي علىٰ غيرِه تَعَالَىٰ.

قالُوا: ويدلُّ عليه - أيضًا - ورودُهُ في القرآنِ غيرَ تابعٍ لما قبلَهُ؛ كقولِهِ: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، و﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢﴾ [الرحمن: ١، ٢]، و﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ﴾ [الملك: ٢٠]، وهذا شأنُ الأسماءِ المحضَةِ؛ لأنَّ الصفاتِ لا يُقتصَرُ علىٰ ذكرِهَا دونَ الموصوفِ.

قَالَ السُّهَيْلِيُّ: «والبدلُ عندِي فيه ممتنعٌ، وكذلك عطفُ البيانِ؛ لأن الاسمَ الأولَ لا يفتقِرُ إلىٰ تبيينٍ؛ فإنه أعرفُ المعارفِ كلِّها وأبينُها، ولهذَا قالُوا: ﴿وَمَا الرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠]، ولم يقولوا: (وما الله)، ولكنَّه وإنْ جرَىٰ مجرَىٰ الأعلامِ فهو وصفٌ يرادُ به الثناءُ.

وكذلك «الرحيمُ»، إلا أن الرحمنَ من أبنيةِ المبالَغَةِ؛ كغضبانَ ونحوِه، وإنما دخلَهُ معنىٰ المبالغَةِ من حيثُ كان في آخرِهِ ألفٌ ونونٌ، كالتثنيةِ؛ فإن التثنيةَ في الحقيقةِ تَضْعِيفٌ، وكذلك هذه الصفةُ، فكأنَّ غضبانَ وسكرانَ كاملٌ لضعفينِ من الغضبِ والسُّكْرِ، فكان اللفظُ مضارعًا للفظِ التثنيةِ؛ لأنَّ التثنيةَ ضَعْفَانِ في الحقيقةِ، ألا ترىٰ أنَّهم أيضًا قد شبَّهوا التثنيةَ بهذا البناءِ إذا كانت لشيئَيْنِ متلازمَيْنِ؛ فقالُوا: الحكمانِ والعلمانِ، وأعربُوا النونَ كأنَّه اسمٌ لشيءٍ واحدٍ؛ فقالُوا: اشتركَ بابُ فعلانَ وبابُ التثنيةِ، ومنه قولُ فاطمةَ: يا حَسَنَانُ يا حُسينَانُ - برفعِ النونِ - لابْنَيْهَا، ولمضارعةِ التثنيةِ امتنعَ جمعُه فلا يقالُ: غضابِينَ، وامتنعَ تأنيثُه؛ فلا يقالُ: غضبانةٌ، وامتنعَ تنوينُهُ كما لا تنوَّنُ نونُ المثنَّىٰ؛ فَجَرَتْ عليه كثيرٌ =

«رويَ عنِ ابنِ عبَّاسٍ: أنَّه قالَ: «**الرحمنُ**»: ذُو الرحمةِ، و«**الرَّحيمُ**»: الراحِمُ. **وقيلَ**: إنَّه قالَ: رحمنُ الدُّنيا، ورحيمُ الآخرةِ، و«الرحمنُ» اسمٌ خاصٌّ، و«الرحيمُ» اسمٌ عامٌّ؛ فلذلك قُدِّم «الرحمنُ» علىٰ «الرحيمِ» فقيلَ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»؛ ولذلك أيضًا قيلَ: رجلٌ رحيمٌ، ولم يُقَلْ: رحمنُ.

=

من أحكامِ التثنيةِ لمضارعَتِهِ إيَّاها لفظًا ومعنًىٰ.

وفائدةُ الجمعِ بين الصفتَيْنِ «الرحمنِ» و«الرحيمِ» الإنباءُ عن رحمةٍ عاجلَةٍ وآجلةٍ، وخاصَّةٍ وعامَّةٍ»، تمَّ كلامُهُ.

قلتُ: **أسماءُ الربِّ تَعَالَىٰ هي أسماءٌ ونعوتٌ**؛ فإنها دالَّةٌ علىٰ صفاتِ كمالِهِ، فلا تَنَافِيَ فيها بين العَلَمِيَّةِ والوصفيَّةِ؛ فـ«الرحمنُ» اسمُهُ تَعَالَىٰ ووصفُهُ، لا تُنَافِي اسميَّتُهُ وصفيَّتَهُ؛ فمِنْ حيثُ هو صفةٌ جرىٰ تابعًا علىٰ اسمِ «اللهِ»، ومِن حيثُ هو اسمٌ وَرَدَ في القرآنِ غيرَ تابعٍ، بل وُرُودُ الاسمِ العَلَمِ، ولمَّا كانَ هذا الاسمُ مختصًّا به تَعَالَىٰ حَسُنَ مجيئُهُ مفردًا غيرَ تابعٍ؛ كمجِيءِ اسم «اللهِ» كذلك.

وهذا لا يُنافِي دلالتَهُ علىٰ صفةِ «الرحمنِ»، كاسمِ «اللهِ» تَعَالَىٰ؛ فإنَّه دالٌّ علىٰ صفةِ الألوهيَّةِ، ولم يجِئْ قطُّ تابعًا لغيرِهِ، بل متبوعًا، وهذا بخلافِ «العليمِ، والقديرِ، والسميعِ، والبصيرِ»، ونحوِها؛ ولهذا لا تَجِيءُ هذه مفردَةً، بل تابعةً، فتأمَّلْ هذه النُّكْتَةَ البديعَةَ يظهرْ لك بها أنَّ «الرحمنَ» اسمٌ وصفةٌ لا يُنافِي أحدُهما الآخرَ، وجاءَ استعمالُ القرآنِ بالأمرَيْنِ جميعًا.

وأمَّا الجمعُ بيْنَ «الرحمنِ الرحيمِ» ففِيهِ معنًىٰ هو أحسنُ من المعْنَيَيْنِ اللذَيْن ذكرَهُما؛ وهو أنَّ «الرحمنَ» دالٌّ علىٰ الصفةِ القائمةِ به سُبحانَه، و«الرحيمَ» دالٌّ علىٰ تعلُّقِهَا بالمرحومِ؛ فكان الأولُ للوصفِ، والثانِي للفعلِ، فالأولُ دالٌّ أن الرحمةَ صفتُهُ، والثاني دالٌّ علىٰ أنه يرحَمُ خلقَهُ برحمتِهِ.

وإذَا أردْتَ فهمَ هذا فتأمَّلْ قولَهُ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]، ولم يجئْ قطُّ (رحمنُ بِهِمْ)؛ فعُلمَ أنَّ «الرحمنُ» هو الموصوفُ بالرحمةِ، و«رحيمٌ» هو الراحمُ برحمتِهِ، **وهذه نكتةٌ لا تكادُ تجدُهَا في كتابٍ**، وإن تنفسَتْ عندها مرآةُ قلْبِكَ لم تنجَلِ لك صورَتُها»، «بدائعُ الفوائدِ» (١/ ٢٤).

وذكَرَ بعضُهُم أنَّه لا يجوزُ أنْ يُجمَعَ الرحمنُ بالرحيمِ إلَّا للهِ عَزَّوَجَلَّ، وإنه جائزٌ أن يُقالَ: «رجلٌ رحمنٌ»، كما قيلَ: «رجلٌ رحيمٌ»، وأكثرُ العلماءِ علىٰ القولِ الأولِ، وهُوَ الصوابُ؛ لأنَّ «فَعْلَانَ» أشدُّ مبالغةٍ من «فَعِيلٍ»، كما يقالُ: «غَضْبَانُ» لِلْمُمْتَلِئِ غضبًا، و«عطشانُ» لِلْمُمْتَلِئِ عطشًا، وكذلكَ «الرَّحْمَنُ»: ذُو النهايةِ فِي الرحمةِ، الذي وسعَتْ رحمتُهُ كلَّ شيءٍ»[1].

وَقرَّرَ ذلك العلاَّمةُ العُثَيْمِينُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعبارةٍ مختصرةٍ؛ فقالَ:

«﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣] **يعني**: ذُو الرحمةِ الواسعةِ الواصلةِ، الرحمةُ الواسعةُ: من «الرحمنِ»، والواصلةُ: من «الرحيمِ»، وكلاهما يدلُّ علىٰ الرحمةِ، وفي ذِكْرِ هذين الاسمَينِ الكريمَينِ بعدَ قولِهِ: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] إشارةٌ إلىٰ أنَّ هذه الربوبيَّةَ مبنيةٌ علىٰ الرحمةِ؛ ولهذا قالَ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ثمَّ قالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ [الفاتحة: ٤]»[2].

فإذا عَلِمَ العبدُ من ربِّه الرحمةَ، وأنَّه متصفٌ بها، وأنها صفةُ ذاتٍ، وأن غضَبَهُ ليس مِن صفاتِ الذاتِ، وإنَّما صفةٌ من صفاتِ الأفعالِ، وتأمَّلَ كيفَ سَمَّىٰ نفسَهُ بـ«الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»؛ سَكَنَ فؤادُه، وعَظُمَتْ محبَّتُه لخالِقِهِ وراحِمِهِ ومولاهُ.

قالَ الإمامُ ابنُ قيِّمِ الجوزيَّةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يشهدُ [العبدُ] عندَ ذكْرِ اسمِ: (الرَّحمنِ جَلَّجَلَالُهُ) ربًّا محسِنًا إلىٰ خلقِهِ بأنواعِ الإحسانِ، مُتَحَبِّبًا إليهم بصنُوفِ النِّعَمِ،

---

(١) «اشتقاقُ أسماءِ اللهِ» (صحيفةُ: ٣٩) للزجاجيِّ.

(٢) «فتحُ ذِي الجلالِ والإكرامِ بشرحِ بلوغِ المَرامِ» (٢/ ٤٤٠).

وَسِعَ كلَّ شيءٍ رحمةً وعلمًا، وَأَوْسَعَ كلَّ مخلوقٍ نعمةً وفضلًا، فوسِعَتْ رحمتُه كلَّ شيءٍ، ووسعَتْ نعمتُهُ كلَّ حيٍّ، فبلَغَتْ رحمتُه حيثُ بلغَ علمُهُ، فاستَوَىٰ علىٰ عرشِهِ برحمتِهِ، وخلَقَ خلقَه برحمتِه، وأنزلَ كُتبَه برحمتِه، وأرسلَ رُسلَه برحمتِه، وشرعَ شرائِعَهُ برحمتِه، وخلَقَ الجنَّةَ برحمتِهِ، والنَّارَ أيضًا برحمتِهِ؛ فإنها سَوْطُهُ الذي يَسُوقُ بِهِ عبادَهُ المؤمنِينَ إلىٰ جنَّتِهِ، ويطهِّرُ بها أَدْرَانَ الموحِّدين مِنْ أَهْلِ معصِيَتِهِ، وسجنُهُ الذي يَسْجُنُ فيه أَعْدَاءَهُ من خليقتِهِ.

فتأمَّلْ ما في أمرِهِ ونهيِهِ ووصاياهُ ومواعِيظِهِ مِنَ الرحمةِ البالغةِ والنعمةِ السابغةِ، وما في حشْوِها من الرحمةِ والنعمةِ؛ فالرحمةُ هي السببُ المتَّصِلُ منه بعبادِهِ، كما أن العبوديةَ هي السببُ المتصلُ منهم بِهِ؛ فمنهم إليه العبوديةُ، ومنه إليهم الرحمةُ.

ومِنْ أخصِّ مشاهِدِ هذا الاسمِ شهودُ المصلِّي نصيبَهُ من الرحمةِ الذي أقامَه بها بيْنَ يدَيْ ربِّه، وأهَّلَهُ لعبوديتِهِ ومناجاتِهِ، وأعطاهُ ومنَعَ غيرَه، وأقبلَ بقلبِهِ، وأعرضَ بقلبِ غيرِهِ، وذلك من رحمتِهِ به»[1].

❀❀❀

---

(١) «الصلاةُ وأحكامُ تاركِها» (صحيفةُ: ١٤٣).



الرَّءُوفُ

الدَّليلُ من القرآنِ الكريمِ:

قولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة: ١١٧].

وقولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور: ٢٠].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

وَ«**الرَّءُوفُ**» **بمعنىٰ**: شديدِ الرحمةِ سبحانَهُ؛ ولذلكَ اقترنَ الاسمانِ في كثيرٍ من المواضعِ، فَـ«الرَّأفةُ: أعلىٰ مَعاني الرحمةِ، وهي عَامَّةٌ لجميع الخلْقِ في الدنيا، ولبعضِهم في الآخرةِ.

وأمَّا «**الرحيمُ**»: فإنَّه ذو الرحمةِ للمؤمنينَ في الدنيا والآخرةِ، علىٰ ما قدْ بيَّنا فيما مضَىٰ قبلُ.

وإنَّما أرادَ – جَلَّ ثَنَاؤُهُ – بذلك أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أرْحمُ بعبادِهِ منْ أن يُضيعَ لهم طاعةً أطاعُوه بها فلا يُثيبَهم عليها، وأرأفُ بهم من أن يُؤاخذَهم بتركِ ما لم يفرضْهُ عليهم – أيْ: وَلَا تأْسَوْا عَلىٰ مَوْتاكُم الذين ماتُوا وهم يصلُّون إلىٰ بيتِ المقدسِ –، فإني لهم علىٰ طاعتِهم إيَّايَ بصَلاتِهم التي صلَّوْها كذلك مثيبٌ؛

لأني أرحمُ بهم من أن أُضيعَ لهم عملًا عملُوه لِي ولا تحزَنُوا عليهم؛ فإني غيرُ مؤاخِذهم بتركِهِمُ الصلاةَ إلىٰ الكعبةِ؛ لأني لمْ أكنْ فرضْتُ ذلك عليهم، وأنَا أرْأَفُ بخَلْقِي من أن أعاقِبَهم علىٰ تركِهم ما لم آمرْهم بعملِهِ.

وفي «الرَّءُوفِ» لغاتٌ:

إحدَاهَا: «رَؤُفٌ» علىٰ مثال «فَعُلٍ»، كما قَالَ الوليدُ بنُ عقبةَ:

وَشَـــرُّ الطَّـــالِبِينَ - وَلا تَكُنْـــهُ - بقَاتِـــلِ عَمِّـــهِ الـــرَّؤُفُ الـــرَّحِيمُ

والأخرَىٰ: «رَؤوفٌ» علىٰ مثالِ «فَعُولٍ»»[1].

---

(١) «تفسيرُ الطبريِّ» (٣/ ١٧١).

الملك، المالك، المليك

الدليلُ من القرآنِ الكريمِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، وقُرأَتْ: ﴿مَلِكِ﴾ - أيضًا -، وهي قراءةٌ متواترةٌ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّ﴾ [طه: ١١٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾ [القمر: ٥٥].

قَالَ الزجاجيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**المالكُ**: اسمُ الفاعِلِ من مَلَكَ يَمْلِكُ فهو مالِكٌ، فاللهُ عَزَّوَجَلَّ مالكُ الأشياءِ كلِّها، ومصرِّفُها علىٰ إرادَتِهِ، لا يمتنِعُ عليه منها شيءٌ؛ لأن المالِكَ - في كلامِ العربِ - للشيءِ؛ هو المتصرِّفُ فيه، القادرُ عليهِ.

... **وقدْ قَرَأَتِ القرَّاءُ:** ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] وَ﴿مَلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، وقد رُويَتِ القراءَتَانِ عن النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

فأمَّا «**الملِكُ**»، فتأويلُهُ: ذُو المُلْكِ في يومِ الدِّينِ، ويومُ الدِّينِ: هو يومُ الجزاءِ والحسابِ؛ فوصَفَ نفسَهُ - جَلَّ وَعَزَّ - بأنَّه المَلِكُ يومَ لا مَلِكَ سواهُ،

ولا يدَّعِي المُلْكَ معَهُ أحدٌ، كما يُدَّعىٰ ذلك في الدُّنيا، وشاهدُ ذلك قولُهُ: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦﴾ [غافر: ١٦].

ومَن قرَأَ ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾؛ فتأويلُهُ على وجْهَيْنِ:

أحدُهما: أنْ يكونَ تأويلُهُ: يملِكُ يومَ الدِّينِ؛ فيكونَ الفعلُ واقعًا علىٰ اليومِ نفسِهِ.

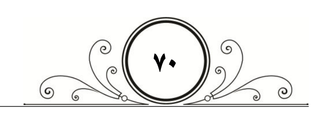
والآخرُ: أنْ يكونَ تأويلُهُ: يملِكُ في يومِ الدِّينِ: أي يملِكُ سائِرَ الأشياءِ في يومِ الدِّينِ، وخَصَّ به يومَ الدينِ؛ لأنَّه اليومُ الذي لا يملكُ أحدٌ فيه شيئًا ممَّا كان اللهُ ملَّكَهُم في الدنيا؛ كما ذَكَرْنَا.

فإنْ قالَ قائِلٌ: فكيفَ قالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، ويومُ الدينِ لمْ يوجدْ بعدُ؟ فكيفَ وصَفَ نفسَهُ بمُلْكِ ما لم يوجدْ بعدُ؟

قيلَ لهُ: ذلك جائزٌ في كلامِ العربِ؛ لأنَّ اسمَ الفاعلِ قد يُضافُ إلىٰ ما بعدَهُ وهو بمعنَىٰ الفعلِ المستقبلِ؛ فيكونُ ذلك عندَهُم كلامًا سَدِيدًا معْقُولًا صحيحًا، كقولِكَ: «هذا ضاربٌ زيدًا غدًا»؛ أي سيضربُ. وكذلكَ: «هذا حاجُّ بيتَ اللهِ في العامِ المقبلِ»؛ تأويلُه: سيحُجُّ في العامِ المقبلِ.

أَفَلَا تَرَىٰ الفعلَ قد نُسِبَ إليه وهو لم يفعلْهُ بعدُ أَو أُرِيدَ بِهِ الاستقبالُ؟! فكذلك قولُهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] علىٰ تأويلِ الاستقبالِ؛ أي: سيملِكُ يومَ الدِّينِ؛ أي في يومِ الدينِ إذا حضرَ.

والوجهُ الآخرُ: أنْ يكونَ تأويلُ المالِكِ راجعًا - كما ذكرْنَا - إلىٰ أنَّه قادرٌ في



يومِ الدينِ[١]، أو على يومِ الدينِ وإِحْدَاثِهِ؛ لأنَّ المالكَ للشيءِ قادرٌ عليهِ، ومصرِّفٌ له؛ كما ذكرتُ، والوجهُ الأَوَّلُ أَمَسُّ بالعربيةِ وأَنْفَذُ في طُرُقِهَا»[٢].

قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**قالَ تعالَىٰ وتقدَّس:** ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩].

والأكثرُونَ يقرؤُونَ الآخْرَتَيْنِ: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾، كما اتفقُوا علىٰ أنَّ جوابَ الأولِ: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾؛ وهو جوابٌ مطابقٌ لمعنَىٰ اللفظِ؛ لأنَّ معنَىٰ قولِهِ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ﴾ [المؤمنون: ٨٦]، و﴿مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [المؤمنون: ٨٨]؛ أي: لِمَنْ ذلك؟ فكانَ الجوابُ بقولِهِ: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾.

هذا بيانٌ لِأنَّ المشركِينَ يقرُّونَ بأنَّ مَلَكُوتَ كلِّ شيءٍ للهِ، وذلكَ مبالغةٌ فِي المُلْكِ؛ فإنَّ «الملكوتَ» أبلغُ مِنْ لفظِ «المُلْكِ»، وما ذكرُوه مِن ذلك يتضمَّنُ

---

(١) واسمُ «المالِكِ» يتضمَّنُ هذا الاسمَ - أعني «القادرَ» - ولا حاجةَ لصرفِ معنَىٰ اسمِ «المالكِ» علىٰ «القادرِ»، وهذا ما رجَّحَهُ العلماءُ، ومنهم الزجاجيُّ نفسُهُ؛ كما ستَرَاهُ في هذا النقْلِ عنه، وقد وضَّحَ ذلك شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما نقلْتُه عنه فتأمَّلْهُ.

(٢) «اشتقاقُ أسماءِ اللهِ» (صحيفةُ: ٤٣).

غِنَاهُ عنْ كُلِّ شيءٍ، وفقرَ كلِّ شيءٍ إليه، فهو حقٌّ؛ لكنه يتضمَّنُ أكملَ من ذلك؛ من العلمِ والقدرةِ والتدبيرِ علىٰ وفْقِ المشيئةِ والإرادةِ، وغيرِ ذلك من المعانِي التي تُبيِّنُ أن هؤلاءِ الفلاسفةَ لا يجعلونه مَلِكًا حقًّا، وكيفَ يكونُ ملكًا عندهم من لا يقدِرُ علىٰ إحداثِ شيءٍ، ولا دفعِ شيءٍ، ولا له تصرُّفٌ بنفسِهِ، ولا في غيرِهِ بوجهٍ من الوجوهِ؛ بل هو بمنزلةِ المقيَّدِ بحبْلٍ معلَّقٍ به مَن لا يقدرُ علىٰ دفعِهِ عن نفسِهِ. وما يثبتُونَهُ من غناهُ وافتقارِ ما سواه إليه يتناقضُون فيها؛ فإنهم يصفُونَهُ بما يمتنعُ معه أن يكونَ غنيًّا، وأن يكونَ إليه شيءٌ ما فقيرٌ ...

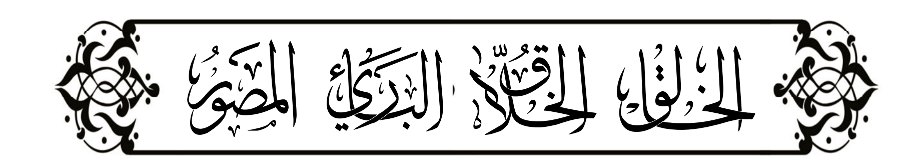
فيقالُ: إنْ كانَ المقصودُ أنَّ اللهَ يستحقُّ أن يسمَّىٰ ملكًا حقًّا؛ لِثبوتِ هذا المعْنَىٰ؛ فلا ريبَ أنَّه قد سمَّىٰ نفسه ملكًا حقًّا، ولا ريبَ أنَّ هذه المعاني داخلةٌ في ضمْنِ هذا الاسمِ، وأكثرَ منها في صفاتِ الكمالِ الثبوتيَّةِ، وتنزيهِهِ عن النقائصِ، لكنْ في هذا ما يدلُّ علىٰ أنَّه ليس له إرادةٌ وقصدٌ؛ إلَّا أن يُحتجَّ علىٰ ذلك بأنَّ لفظ «الغَنِيِّ» ينفي ذلك، أو أنَّ ذلك يقتضِي فَقْرًا إلىٰ الْغَيْرِ، وقد تقدَّم الكلامُ علىٰ ذلك، وتبيَّنَ أن ذلك معَ أنَّه لا فقرَ فيه إلىٰ غيرِهِ، فالذي يذكرُونَهُ يستلزمُ من المحاذيرِ أعظمَ ممَّا فرُّوا منه من وجوهٍ؛ بل سَلْبُ ذلك هو الذي يقتضي أن يكون فقيرًا؛ بل مَعْدُومًا؛ بل ممتنعًا لذاتِهِ، كما هو مقرَّرٌ في موضعِهِ»[(١)].

وَ«**المَلِكُ، المَالِكُ**: الذي له الملكُ؛ فهو الموصوفُ بصفةِ المُلكِ، وهي

(١) «بيانُ تلبيسِ الجهميةِ» (١/ ٥١٣ ومَا بعدَهَا) لشيخِ الإسلامِ.

صفات العظمةِ والكبرياءِ، والقهرِ والتدبيرِ، الذي له التصرُّفُ المطلَقُ في الخلقِ والأمرِ والجزاءِ، وله جميعُ العالَمِ العلويِّ والسفليِّ، كلُّهم عبيدٌ ومماليكُ، ومضطرُّون إليهِ»[١].

(١) «تفسيرُ السعديِّ» (صحيفةُ: ٩٤٥).



الدليلُ من القرآنِ الكريمِ:

قالَ تَعالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الحشْرُ: ٢٤].

وقالَ تَعالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الحجْرُ: ٨٦].

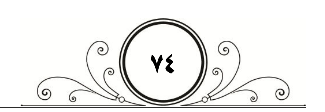
وقدْ قرَّرَ العلماءُ «أنَّ أسماءَهُ [سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ] كلَّها حُسنىٰ، ليس فيها اسمٌ غير ذلك أصلًا، وأنَّ من أسمائِهِ [جَلَّوَعَلَا] **ما يطلَقُ عليه باعتبارِ الفعلِ؛ نحوَ:** الخالِقِ والرازقِ والمحْيِي والمميتِ، وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ أفعالَه كلَّها خيراتٌ محضةٌ، لا شرَّ فِيها»(١).

وَاللهُ - سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ - «هُوَ أَصْلُ كُلِّ حَقِيقَةٍ، فَجَمِيعُ الْحَقَائِقِ تَنْتَهِي إِلَىٰ **خَلْقِهِ** وَإِيجَادِهِ، فَهُوَ الَّذِي خلَقَ وَهُوَ الَّذِي عَلَّمَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي **خَلَقَ** ١ **خَلَقَ** ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾ [العلق: ١ - ٥] **فَجَمِيعُ الْمَوْجُودَاتِ انْتَهَتْ إِلَىٰ خَلْقِهِ وَتَعْلِيمِهِ**»(٢)، فلَا خالقَ للكونِ سواه، وقد اتفقَتِ المللُ علىٰ إثباتِ الخلقِ والملكِ له وحدَهُ(٣)

(١) «فائدةٌ جليلةٌ في الأسماءِ الحُسْنَىٰ» (صحيفةُ: ٢٩) للإمامِ ابنِ قيمِ الجوزيَّةِ رَحِمَهُٱللَّهُ.

(٢) «مختصرُ الصواعِقِ المرْسَلَةِ» (١/ ٣٤٦) للإمامِ ابنِ قيِّمِ الجوزيَّةِ رَحِمَهُٱللَّهُ.

(٣) **وهنا مسألةٌ وجوابُها، وهي:** قَالَ اللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، فمَا =



فهو البارئُ للبريَّةِ، وهو المصوِّر وحدَهُ سُبحانَه؛ قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ٦] .

وقد جمعْتُ بين أسماءِ اللهِ: الخالقِ البارئِ المصوِّرِ؛ موافقةً لنصِّ التنزيلِ،

=

معنَىٰ التفضيلِ في الآيةِ؟

وقدْ أجابَ الإمامُ ابنُ قيمِ الجوزيَّةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ذلك؛ فقالَ:

«هاهُنا ألفاظٌ؛ وهي «فاعلٌ، وعاملٌ، ومكتسِبٌ، وكاسبٌ، وصانعٌ، ومحدِثٌ، وجاعلٌ، ومؤثِّرٌ، ومنشئٌ، وموجِدٌ، وخالِقٌ، وبارِئٌ، ومصوِّرٌ، وقادِرٌ، ومُرِيدٌ»، وهذه الألفاظُ ثلاثةُ أقسامٍ: قسمٌ لم يطلَقْ إلا علىٰ الربِّ سُبحانَه؛ كـ«البارئِ، والبديعِ، والمبدِعِ»، وقسمٌ لا يطلقُ إلا علىٰ العبدِ كـ«الكاسبِ، والمكتسِبِ»، وقسمٌ وقعَ إطلاقُه علىٰ الربِّ والعبدِ؛ كاسم «صانعٍ، وفاعلٍ، وعاملٍ، ومنشئٍ، ومريدٍ، وقادرٍ»، وأمَّا «الخالِقُ، والمصوِّرُ» فإنِ استُعْمِلَا مطلقَيْن غيرَ مقيَّدَيْنِ لم يُطلقَا إلا علىٰ الربِّ؛ كقولِه: ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]، وإنِ استُعْمِلَا مقيَّدَينِ أُطلقَا علىٰ العبدِ؛ كما يقالُ لمَنْ قدَّرَ شيئًا في نفيهِ أنَّه خلقَهُ؛ قَالَ:

وَلَأَنْتَ تَفْرِي ما خَلَقْتَ ... وبعضُ القومِ يخْلُقُ ثُمَّ لا يَفْرِي

أيْ: لكَ قدرةٌ تُمْضِي وتنفِّذُ بها ما قدَّرْتَه في نفسِكَ، وغيرُك يقدِّرُ أشياءَ وهو عاجزٌ عن إنفاذِها وإمضائِها، وبهذا الاعتبارُ صحَّ إطلاقُ «خالقٍ» علىٰ العبدِ في قولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]؛ أيْ: أحسنُ المصوِّرِينَ والمقدِّرينَ. والعرَبُ تقولُ: قدَّرْتَ الأدِيمَ وخلقْتَهُ؛ إذا قستَهُ لتقطَعَ منه مزادةً أو قربةً، ونحوَها.

قَالَ مجاهدٌ: «يصنعُونَ ويصنَعُ اللهُ، واللهُ خيرُ الصانِعينَ»، وَقالَ الليثُ: «رجلٌ خالِقٌ؛ أي صانعٌ، وهُنَّ الخالقاتُ للنساءِ»، وَقالَ مُقاتِلٌ: «يقولُ تَعَالَىٰ: هو أحسنُ خَلْقًا مِن الذين يخلقُونَ التماثيلَ وغيرَها، التي لا يتحرَّكُ منها شيءٌ، وأما «البارئُ» فلا يصحُّ إطلاقُه إلا عليه سُبحانَه، فإنه الذي بَرَأَ الخليقةَ وأوجدَها بعد عَدَمِها». «شفاءُ العليلِ» (١/ ١٣١).

وهي أسماءٌ يجتمعُ فيها من المعاني اللازمة للخلقِ ما يقضي به العقلُ والنقلُ[(١)]، وأَلحقْتُ بهم اسمَ اللهِ «الخلَّاقَ؛ المقتضي لوجود الخلْقِ»[(٢)]، وفي اجتماعِ أسماءِ اللهِ تَعالَىٰ (الخالقِ البارئِ المصوِّرِ) **يقولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الْخَلْقُ يَجْمَعُ مَعْنَيَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: الْإِبْدَاعُ وَالْبَرْءُ.

وَالثَّانِي: التَّقْدِيرُ وَالتَّصْوِيرُ.

فَإِذَا قِيلَ: خَلَقَ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ أَبْدَعَ إِبْدَاعًا مُقَدَّرًا، وَلَمَّا كَانَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَبْدَعَ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ مِنَ الْعَدَمِ، وَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرًا؛ صَحَّ إِضَافَةُ الْخَلْقِ إِلَيْهِ بِالْقَوْلِ الْمُطْلَقِ»[(٣)].

فالذي خلَقَ وبَرَأَ وصوَّرَ؛ فالبارئُ هو الذي «برأَ الخليقةَ وأوجدَها بعْدَ عدَمِها»[(٤)]؛ ولذلك جاءَ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَامَ عَلَىٰ البَابِ، فَلَمْ يَدْخُلْهُ، قالت: فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الكَرَاهِيَةَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتُوبُ إِلَىٰ اللهِ، وَإِلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ، مَاذَا أَذْنَبْتُ؟

---

(١) قَالَ الإمامُ ابنُ قيمِ الجوزيَّةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ««البارئُ المصوِّرُ» تفصيلٌ لمعنىٰ اسمِ اللهِ «الخالقِ»». «شفاءُ العليلِ» (١/ ١٢١).

(٢) «مختصرُ الصواعِقِ المرسلَةِ» (٤/ ١٥٦٤) للإمامِ ابنِ قيِّمِ الجوزيَّةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) «مجموعُ الفتاوَىٰ» (٨/ ٤٠٣، ٤٠٤).

(٤) «شفاءُ العليلِ» (١/ ١٣١).

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟».

قُلْتُ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يَوْمَ القِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»، وَقَالَ: **«إِنَّ البَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ لَا تَدْخُلُهُ المَلَائِكَةُ»**[(١)].

وفي هذا بيانُ ارتباطِ اسمِ اللهِ المصوِّرِ باسمِهِ الخالقِ والخلَّاقِ، وفيه نهيٌ صريحٌ عن التصاويرِ، وأن أصحابَهَا أشدُّ الناسِ عذابًا يومَ القيامةِ.

وَقالَ العلَّامةُ السعدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

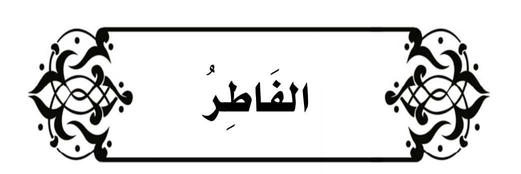
«**«الخالقُ، البارئُ، المصوِّرُ»** الذي خلَقَ جميعَ الموجوداتِ وبرَأَها وسوَّاها بحكمتِهِ، وصوَّرَها بحمدِه وحكمتِه، وهو لم يزلْ ولا يزالُ علىٰ هذا الوصفِ العظيمِ»[(٢)].

❁❁❁

---

(١) **متَّفقٌ عليه** من حديثِ عائشةَ، وعندَ مسلمٍ في روايةٍ - بلفظ -: فَلَمَّا رَآهُ هَتَكَهُ، وَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ، وَقَالَ: **«يَا عَائِشَةُ، أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ»**، قَالَتْ عَائِشَةُ: «فَقَطَعْنَاهُ فَجَعَلْنَا مِنْهُ وِسَادَةً أَوْ وِسَادَتَيْنِ».

(٢) «تفسيرُ السعديِّ» (صحيفةُ: ٩٤٦).



الفَاطِرُ

الدليلُ من القرآنِ الكريمِ:

قولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ **فَاطِرَ** ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [الزُّمَر: ٤٦].

وقولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**فَاطِرُ** ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشُّورىٰ: ١١].

معناه: «فَاتِقُ الْمُرْتَتَقِ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

فَقَدْ يَكُونُ الْمَعْنَىٰ: كَانَتِ السَّمَاءُ دُخَانًا فَسَوَّاهَا، ﴿وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٢٩]، وَكَانَتِ الْأَرْضُ غَيْرَ مَدْحُوَّةٍ فَدَحَاهَا؛ ﴿أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا﴾ [النازعات: ٣١]، وَمَنْ قَالَ هَذَا قَالَ: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾، مَعْنَاهُ: أَوَلَمْ يَعْلَمُوا.

وَقَدْ يَكُونُ الْمَعْنَىٰ مَا رُوِيَ فِي بَعْضِ الْآثَارِ: فَتَقْنَا السَّمَاءَ بِالْمَطَرِ، وَالْأَرْضَ بِالنَّبَاتِ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا **فَفَتَقۡنَٰهُمَا**﴾، قَالَ: فُتِقَتِ السَّمَاءُ بِالْغَيْثِ، وَفُتِقَتِ الْأَرْضُ بِالنَّبَاتِ. قَالَ الْحَلِيمِيُّ: وَالْإِقْرَارُ بِالْإِبْدَاعِ يَأْتِي عَلَىٰ هَذَا الْمَعْنَىٰ وَيَقْتَضِيهِ. وَقَالَ

أَبُو سُلَيْمَانَ: الْفَاطِرُ: هُوَ الَّذِي فَطَرَ الْخَلْقَ؛ أَيِ ابْتَدَأَ خَلْقَهُمْ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ﴾ [الإسراء: ٥١]، وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُمْ: فَطَرَ نَابُ الْبَعِيرِ؛ وَهُوَ أَوَّلُ مَا يَطْلُعُ.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ مَعْنَىٰ ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤] حَتَّىٰ اخْتَصَمَ أَعْرَابِيَّانِ فِي بِئْرٍ؛ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فَطَرْتُهَا؛ يُرِيدُ: اسْتَحْدَثْتُ حَفْرَهَا»[(١)].

فمعنَىٰ «﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: مبتدعُهُمَا ومبتدئُهما وخالقُهما.

وعنِ السُّدِّيِّ: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، قالَ: خالقُ السمواتِ والأرضِ.

وعنْ قتادةَ في قولِهِ: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، قالَ: خالقُ السمواتِ والأرضِ.

ومنْهُ قولُهُ: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملكُ: ٣]، يعنِي: شقوقًا وصدوعًا. يقالُ: «سيفٌ فُطارٌ»؛ إذا كثُرَ فيه التشقُّقُ، وهو عيبٌ فيه، ومنه قولُ عنترةَ:

وَسَـيْفِي كَالْعَقِيقَـةِ فَهْـوَ كِمْعِـي ... سِـلاحِي لا أَفَـلَّ وَلا فُطَـارَا[(٢)]

---

(١) «الأسماءُ والصفاتُ» (١/ ٧٨) للبيهقيِّ، وبدايةُ النقلِ عن الحَلِيميِّ - عَفَا اللهُ عنه -.

(٢) «ديوانُهُ»؛ في «أشعارِ الستَّةِ الجاهلينَ»: (٣٨٤)، و«أمالِي ابنِ الشجريِّ» (١: ١٩)، و«اللسانُ»: (فطر) (عقق) (كمع) (فلل)، مِنْ أبياتِهِ التي قالَها وتهدَّدَ بها عمارةَ بنَ زيادٍ العبسيَّ، وكانَ يحسُدُ عنترةَ علىٰ شجاعتِهِ، ويُظهِرُ تحقيرَهُ، ويقولُ لقومِهِ بني عبسٍ: «إنَّكم قد أكثرْتُم من ذكرِهِ، ولوددْتُ أني لقيتُهُ خاليًا حتَّىٰ أريحَكُم منه، وحتَّىٰ أعلِمَكم أنه عبدٌ»! فقال عنترة:

أحَـوْلِي تَـنْفُضُ اسْـتُكَ مِـذْرَوَيهَا ... لِتَقْتُلَنِـي؟ فَهَـا أَنَـا ذَا، عُمَـارَا!

=

ومنهُ يقالُ: «فَطَر نابُ الجملِ»؛ إذا تشقَّقَ اللحمُ فخرجَ، ومنه قوله: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ﴾ [سورة الشورى: ٥]؛ أي: يتشقَّقْنَ، ويتصدَّعْنَ»[1].

=

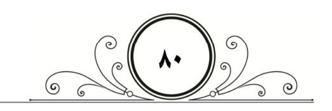
مَتَى مَا تَلْقَنِي خِلْوَينَ، تَرْجُفْ ... رَوَانِفُ أَلْيَتَيْكَ وتُسْتَطَارَا

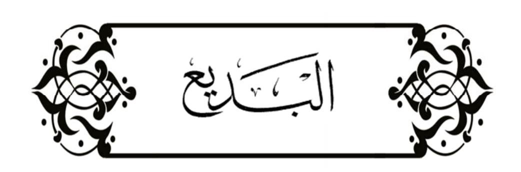
وَسَيْفِي صَارِمٌ قَبَضَتْ عَلَيْهِ ... أَشَاجِعُ لا تَرَى فِيهَا انْتِشَارَا

وسَيْفِي كالعَقِيقَةِ........

و«**العقيقةُ**»: شقةُ البرقِ، وهو ما انعقَّ منهُ، أي: تشقَّقَ. و«الكِمْعُ» و«الكَمِيعُ»: الضَّجِيعُ. و«الأَفَلُّ»: الذي قد أصابَهُ الفَلُّ، وهو الثلمُ في حدِّه. (شاكرُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ).

(١) «تفسيرُ الطبريِّ» (١١/ ٢٨٣) بتحقيقِ العلَّامةِ: أحمدَ شاكرٍ. ونقلتُهُ بحاشيتِهِ.





الدليلُ منَ القرآنِ الكريمِ:

قولُه تَعَالَىٰ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [الأنعام: ١٠١].

وقد وقعَ هذا الاسمُ مضافًا في موضعَيْنِ في القرآنِ الكريمِ، ولم يَرِدْ مفردًا، والإضافةُ في الآيتَيْنِ تدلُّ علىٰ أن الاسمَ متعلِّقٌ بخلقِ اللهِ السمواتِ والأرضَ، وإيجادِهِ لهم علىٰ غيرِ نَسَقٍ سابِقٍ، وقد غَلِطَ من قالَ: أنَّ معنىٰ بديعٍ في الآيتَيْن يعودُ علىٰ السمواتِ والأرضِ بمعنىٰ: بديعةٌ السمواتُ والأرضُ في صورتَيْهِما(١)، وقُرِئَتْ بالخفضِ والنصبِ(٢)؛ **فالأوَّلُ:** مجرورٌ علىٰ البدَلِ من الضميرِ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿لَهُۥ﴾.

وأما الثاني: فتوجيهُه أنَّه سِيقَ مساقَ المَدْحِ.

قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**فَأَمَّا قَوْلُهُ:** ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ

---

(١) «المستدركُ علىٰ مجموعِ الفتاوىٰ» (١/ ٤٦) لشيخِ الإسلامِ.

(٢) في بعضِ القراءاتِ الشاذَّةِ! وليست متواترةً.

سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٠١﴾﴾؛ فَإِنَّ قَوْلَهُ: ﴿**بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ**﴾ أَيْ: **مُبْدِعُهُمَا**؛ كَمَا ذَكَرَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي «الْبَقَرَةِ»؛ وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُمَا بَدِيعَةٌ سَمَوَاتُهُ وَأَرْضُهُ؛ كَمَا تَحْتَمِلُهُ الْعَرَبِيَّةُ لَوْلَا السِّيَاقُ؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ نَفْيُ مَا زَعَمُوهُ مِنْ خَرْقِ الْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ لَهُ، وَمِنْ كَوْنِهِ اتَّخَذَ وَلَدًا»[١].

قالَ الإمامُ الطبريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعنىٰ «المبدعِ»: المنشئُ والمحدِثُ ما لم يسبقْهُ إلىٰ إنشاءِ مثلِهِ وإحداثِهِ أحدٌ؛ ولذلك سمِّيَ المبتدعُ في الدينِ «مبتدعًا»؛ لإحداثِهِ فيه ما لم يسبقْهُ إليه غيرُهُ»[٢].

ومنه تعلَمُ أنه لم تكُنْ سمواتٌ ولا أرضٌ قبلَ هذه، وإنَّما خلقَ اللهُ السمواتِ والأرضَ علىٰ غير مثالٍ سبقَ ولا نظيرٍ ولا مثيلٍ.

❁❁❁

(١) «مجموعُ الفتاوَىٰ» (٢/ ٤٤٤).

(٢) «جامعُ البيانِ في تأويلِ القرآنِ» (٢/ ٥٤٠).

الحيُّ القيُّومُ

الدليلُ مِنَ القرآنِ الكريمِ:

قولُه تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥، آل عمران: ٢].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ﴾ [طه: ١١١].

«**الحيُّ القيومُ**: كاملُ الحياةِ والقائمُ بنفسِهِ، القيومُ لأهلِ السمواتِ والأرضِ، القائمُ بتدبيرِهِمْ وأرزاقِهِمْ، وجميعِ أحوالِهِمْ، فـ«الحيُّ»: الجامعُ لصفاتِ الذاتِ، وَ«القيومُ» الجامعُ لصفاتِ الأفعالِ»(١).

وقد أطلقَ اللهُ اسمَ الحيِّ علىٰ بعضِ مخلوقاتِهِ(٢) ووهبَهَا الحياةَ؛ وهو

---

(١) «تفسيرُ السعديِّ» (صحيفةُ: ٩٤٨).

(٢) **وهنا مسألةٌ وهي:** قدْ سمَّىٰ اللهُ نفسَهُ «الحيَّ» في كتابِهِ، وَقالَ: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ﴾ [الأنعام: ٩٥]، فما التوجيهُ في ذلك؟

فقدْ أجابَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُٱللَّهُ عن هذا فقالَ:

«سَمَّىٰ اللهُ نَفْسَهُ «حَيًّا»؛ فَقَالَ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَسَمَّىٰ بَعْضَ عِبَادِهِ «حَيًّا»؛ فَقَالَ: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ﴾ [الأنعام: ٩٥]، وَلَيْسَ هَذَا الْحَيُّ مِثْلَ هَذَا الْحَيِّ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿ٱلۡحَيُّ﴾؛ اسْمٌ لِلَّهِ مُخْتَصٌّ بِهِ، وَقَوْلَهُ: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾؛ اسْمٌ لِلْحَيِّ الْمَخْلُوقِ مُخْتَصٌّ بِهِ.

وَإِنَّمَا يَتَّفِقَانِ إِذَا أُطْلِقَا وَجُرِّدَا عَنِ التَّخْصِيصِ؛ وَلَكِنْ لَيْسَ لِلْمُطْلَقِ مُسَمًّىٰ مَوْجُودٌ فِي الْخَارِجِ، وَلَكِنَّ الْعَقْلَ يَفْهَمُ مِنَ الْمُطْلَقِ قَدْرًا مُشْتَرَكًا بَيْنَ الْمُسَمَّيَيْنِ، وَعِنْدَ الِاخْتِصَاصِ يُقَيِّدُ ذَلِكَ بِمَا يَتَمَيَّزُ بِهِ الْخَالِقُ عَنِ =

سبحانَهُ «الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، الْقَيُّومُ الَّذِي لَا يَنَامُ، وَهُوَ قَيِّمٌ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ يُدِيرُهُ وَيَحْفَظُهُ؛ فَهُوَ الْكَامِلُ فِي نَفْسِهِ الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ فَقِيرٌ إِلَيْهِ، لَا قِوَامَ لَهُ إِلَّا بِهِ»[(١)]، وقدْ كتبَ شيخُ الإسلامِ فصلًا ماتعًا ملخَّصُهُ:

«قَالَ [سُبحانَه] فِي أَعْظَمِ الْآيَاتِ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾، ذَكَرَهُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ مِنَ الْقُرْآنِ، كُلُّ مَوْضِعٍ فِيهِ أَحَدُ أُصُولِ الدِّينِ الثَّلَاثَةِ؛ وَهِيَ التَّوْحِيدُ، وَالرُّسُلُ، وَالْآخِرَةُ. هَذِهِ الَّتِي بَعَثَ بِهَا جَمِيعَ الْمُرْسَلِينَ، وَأَخْبَرَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُمْ يَكْفُرُونَ بِهَا فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٠].

فَقَالَ هُنَا: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾؛ قَرَنَهَا بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. وَزَادَ فِي «آلِ عِمْرَانَ»: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾، وَهَذَا إِيمَانٌ بِالْكُتُبِ وَالرُّسُلِ. وَقَالَ فِي «طه»: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ۝١٠٩ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ۝١١٠ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ۝١١١﴾»[(٢)].

=

الْمَخْلُوقِ، وَالْمَخْلُوقُ عَنِ الْخَالِقِ، وَلَا بُدَّ مِنْ هَذَا فِي جَمِيعِ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ؛ يُفْهَمُ مِنْهَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ الِاسْمُ بِالْمُوَاطَأَةِ وَالِاتِّفَاقِ، وَمَا دَلَّ عَلَيْهِ بِالْإِضَافَةِ وَالِاخْتِصَاصِ الْمَانِعَةِ مِنْ مُشَارَكَةِ الْمَخْلُوقِ لِلْخَالِقِ فِي شَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ» «مجموعُ الفتاوَىٰ» (٢/ ١٠)، وانظرْ للاستزادةِ الموضعَ المشارَ إليه بطولِهِ؛ ففيه تحريرٌ نفيسٌ.

(١) «معارجُ القبولِ» (٢/ ٨٢٨).

(٢) «مجموعُ الفتاوَىٰ» (١٦/ ٣٧١ - ٣٧٢).

وقد رجَّحَ شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ «**الحيَّ القيومَ**» اسمُ اللهِ الأعظمُ[١]، وذكرَ ذلك بعدَ ذكْرِ فضلِ الذِّكرِ بهما الإمامُ ابنُ قيِّمِ الجوزيَّةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقالَ:

«وَمِنْ تَجْرِيبَاتِ السَّالِكِينَ الَّتِي جَرَّبُوهَا فَأَلْفَوْهَا صَحِيحَةً: أَنَّ مَنْ أَدْمَنَ «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»؛ أَوْرَثَهُ ذَلِكَ حَيَاةَ الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ.

وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ - شَدِيدَ اللَّهَجِ بِهَا جِدًّا، وَقَالَ لِي يَوْمًا: لِهَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ - وَهُمَا «الْحَيُّ الْقَيُّومُ» - تَأْثِيرٌ عَظِيمٌ فِي حَيَاةِ الْقَلْبِ، وَكَانَ يُشِيرُ إِلَىٰ أَنَّهُمَا الِاسْمُ الْأَعْظَمُ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَنْ وَاظَبَ عَلَىٰ «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ» أَرْبَعِينَ مَرَّةً كُلَّ يَوْمٍ بَيْنَ سُنَّةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ؛ حَصَلَتْ لَهُ حَيَاةُ الْقَلْبِ، وَلَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ.

وَمَنْ عَلِمَ عُبُودِيَّاتِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ وَالدُّعَاءَ بِهَا، وَسِرَّ ارْتِبَاطِهَا بِالْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، وَبِمَطَالِبِ الْعَبْدِ وَحَاجَاتِهِ؛ عَرَفَ ذَلِكَ وَتَحَقَّقَهُ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَطْلُوبٍ يُسْأَلُ بِالْمُنَاسِبِ لَهُ، فَتَأَمَّلْ أَدْعِيَةَ الْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ تَجِدْهَا كَذَلِكَ»[٢].

وقد استهلَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ آيةَ الكُرسيِّ بهذين الاسمَيْنِ، وهي أعظمُ آيةٍ في كتابِهِ الكريمِ، كما وصفَها نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ؛ فعَنْ أُبيِّ بنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ أَعْظَمُ؟**»، قال: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**». قال:

(١) وإلىٰ هذا ذهَبَ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وغيرُه، وانظرْ: «مجموعَ الفتاوىٰ» (١٨/ ٣١٠).

(٢) «مدارجُ السالكِينَ» (١/ ٤٤٦).

قلت: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ **ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ** ﴾؛ قال: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ: «**لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ لِهَذِهِ الآيَةِ لِسَانًا وَشَفَتَيْنِ تقدِّسُ الْمَلِكَ عِنْد سَاقِ الْعَرْشِ**».

والحديثُ دليلٌ واضحٌ علىٰ شَرَفِ الدعاءِ بهذين الاسمَيْنِ، كما استظْهَرَهُ شيخُ الإسلامِ وغيرُهُ.

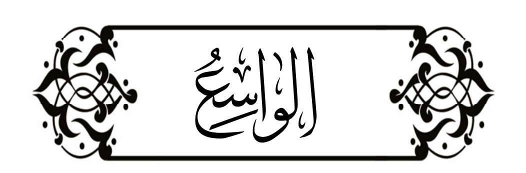
«فَعَلَىٰ هَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ مَدارُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ كُلِّهَا، وَإِلَيْهِمَا تَرْجِعُ مَعَانِيهَا. فَإِنَّ الْحَيَاةَ مُسْتَلْزِمَةٌ لِجَمِيعِ صِفَاتِ الْكَمَالِ، فَلَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا صِفَةٌ مِنْهَا إِلَّا لِضَعْفِ الْحَيَاةِ، فَإِذَا كَانَتْ حَيَاتُهُ تَعَالَىٰ أَكْمَلَ حَياةٍ وَأَتَمَّهَا؛ اسْتَلْزَمَ إِثْبَاتُهَا إِثْبَاتَ كُلِّ كَمَالٍ يُضَادُّ نَفْيُهُ كَمَالَ الْحَيَاةِ.

وَأَمَّا الْقَيُّومُ فَهُوَ مُتَضَمِّنٌ كَمَالَ غِنَاهُ وَكَمَالَ قُدْرَتِهِ؛ فَإِنَّهُ الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ غَيْرِهِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، الْمُقِيمُ لِغَيْرِهِ؛ فَلَا قِيَامَ لِغَيْرِهِ إِلَّا بِإِقَامَتِهِ. فَانْتَظَمَ هَذَانِ الِاسْمَانِ صِفَاتِ الْكَمَالِ أَتَمَّ انْتِظَامٍ»[١].

❦❦❦

---

(١) «شرحُ الطحاويةِ» (١/ ٩١).



الدليلُ من القرآنِ الكريمِ:

قولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ **وَٰسِعٌ** عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة:٢٦١].

قالَ الإمامُ ابنُ قيِّمِ الجوزيةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في شرحِهِ الآيةَ وتزييلَها بهذين الاسمَيْنِ العظيمَيْنِ -:

«فتأمَّلْ هذه البلاغةَ والفصاحةَ والإيجازَ المتضمِّنَ لغايةِ البيانِ. وهذا كثيرٌ في أمثالِ القرآنِ، بل عامَّتُها تَرِدُ علىٰ هذا النَّمطِ، ثم ختَمَ الآيةَ باسمَينِ من أسمائِهِ الحسنَىٰ مطابقَيْن لسياقِهَا، وهما الواسعُ والعليمُ، فلا [يَستبعِدُ] العبدُ هذه المضاعفةَ، ولا يضيقُ عنها عَطَنُهُ؛ فإن المضاعِفَ [سُبحانَه] واسعُ العطاءِ واسعُ الغنَىٰ واسعُ الفضلِ، ومَعَ ذلك فلا يُظَنُّ أن سعةَ عطائِهِ تقتضِي حصولَها لكلِّ منفِقٍ؛ فإنَّه عليمٌ بمن تصلُحُ له هذه المضاعفةُ وهو أهلٌ لها، ومن لا يستحقُّها ولا هو أهلٌ لها؛ فإنَّ كرمه [سُبحانَه] وفضلَهُ تَعَالَىٰ لا يناقضُ حكمتَهُ، بل يضَعُ فضلَهُ مواضعَهُ لسعتِهِ ورحمتِهِ، ويمنعُه من ليس من [أهلِهِ] بحكمتِهِ وعلمِهِ»(١).

---

(١) «طريقُ الهجرتينِ» (صحيفةُ: ٣٦٤).

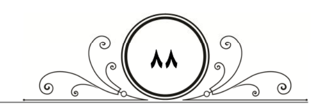
واللهُ سبحانَهُ «واسعُ الصفاتِ والنُّعوتِ ومتعلِّقاتِها؛ بحيثُ لا يُحصِي أحدٌ ثناءً عليه، بل هو كما أثنَىٰ علىٰ نفسِهِ، واسعُ العظمةِ والسلطانِ والملكِ، واسعُ الفضلِ والإحسانِ، عظيمُ الجودِ والكرمِ»[١].

واسمُ اللهِ «الواسعُ» عَلَمٌ علىٰ ذاتِهِ ووَصْفٌ لأفعالِهِ وصفاتِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]؛ «فَنَبَّهَنَا بِذَلِكَ عَلَىٰ مُلكِهِ لِمَا بَيْنَهُمَا، ثُمَّ ذَكَرَ عَظَمَتَهُ سُبْحَانَهُ، وَأَنَّهُ أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَأَيْنَمَا وَلَّىٰ الْعَبْدُ وَجْهَهُ فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ، ثُمَّ خَتَمَ بِاسْمَيْنِ دَالَّيْنِ عَلَىٰ السَّعَةِ وَالْإِحَاطَةِ؛ فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾؛ فَذَكَرَ اسْمَ «الْوَاسِعِ» عَقِيبَ قَوْلِهِ: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾؛ كَالتَّفْسِيرِ وَالْبَيَانِ وَالتَّقْرِيرِ لَهُ. فَتَأَمَّلْهُ»[٢].

---

(١) «تفسيرُ السعديِّ» (صحيفةُ: ٩٤٩).

(٢) «مختصرُ الصواعِقِ» (١/ ٤١٤).





ٱلنُّورُ

الدليلُ من القرآنِ الكريمِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥ ﴾ [النور: ٣٥][1].

---

(١) واستدلَّ أهلُ العلمِ بقولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [الزمر: ٦٩]، وبحديثِ طَاوُسٍ؛ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتهجَّدُ قَالَ: «**اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ. اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ؛ فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**» متَّفقٌ عليهِ.

وبحديثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَإِذَا الرَّبُّ - جَلَّ وَعَزَّ - قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ؛ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ**»، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴾ [يس: ٥٨].

وبحديثِ أَبِي ذَرٍّ - عندَ مسلمٍ - قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؛ فَقَالَ: «**نُورٌ، أَنَّىٰ أَرَاهُ؟**».

=

=

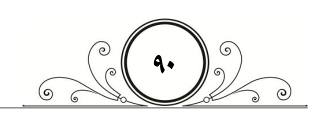
وبغيرِها من الأحاديثِ. ولا يغتَرَّنَّ أحدٌ بكلامِ الإمامِ الطبريِّ والسُّديِّ والبغويِّ والسعديِّ! - رحمةُ اللهِ عليهِم جميعًا -؛ فقد ذهبُوا إلىٰ أنَّ «النورَ» في الآيةِ هو هدايةُ اللهِ خلقَهُ! وقد ذهبُوا هذا المذهَبَ اغترارًا منهم بما رويَ عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فيهِ! وفصلُ الخطابِ في تفسيرِ الآيةِ وفيما وَرَدَ عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن نقولَ: أنَّ «هؤلاءِ المفسِّرينَ للقرآنِ والأسماءِ الحسنَىٰ قدوتُهم في تفسيرِهِ «أنَّه هادي» هو ما نقلُوه عن ابن عبَّاسٍ، وهذا إنَّما هو مأخوذٌ من تفسيرِ الوالبِيِّ عليِّ بنِ أبِي طلحةَ؛ الذي رواهُ عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ، عن معاويةَ بنِ صالحٍ، عن عليِّ بن أبِي طلحةَ، عن ابنِ عبَّاسٍ؛ قولُه: ﴿ ۞ **ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ**﴾؛ يقول الله سُبحانَه: هادِي أهلِ السمواتِ والأرضِ، مَثَلُ هُدَاهُ في قلْبِ المؤمِنِ! كما يكادُ الزيتُ الصافِي يضيءُ قبل أن تمسَّهُ النارُ، فإذا مسَّتْهُ النارُ ازدادَ ضوءًا علىٰ ضوئِهِ، وكذلك يكونُ قلبُ المؤمِنِ يعملُ الهدَىٰ قبل أن يأتيَهُ العلمُ، فإذا أتاه العلمُ ازدادَ هُدًىٰ علىٰ هدًىٰ ونورًا علىٰ نورٍ.

فكلُّهم علىٰ هذه الروايةِ يعتمدُ؛ فإنَّ هذا تفسيرٌ رواه الناسُ عن عبدِ اللهِ بنِ صالحٍ، وأبُو بكرٍ عبدُ العزيزِ نَقَلَ ذلك من تفسيرِ محمَّدِ بنِ جريرٍ إذ كان يعتمدُ عليه، وابنُ جريرٍ يروِي من هذا التفسيرِ بالإسنادِ، وكذلك البيهقيُّ في تفسيرِ الأسماءِ الحسنَىٰ إنَّما رواهُ من هذا الطريقِ، وهذا التفسيرُ هو تفسيرُ الوالبِيِّ.

وأما ثبوتُ ألفاظِهِ عنِ ابنِ عبَّاسٍ **ففيها نظرٌ؛ لأنَّ الوالبيَّ لم يسمَعْهُ من ابنِ عبَّاسٍ، ولم يدركْهُ، بل هو منقطعٌ، وإنَّما أَخَذَ عن أصحابِهِ.**

وكما أنَّ السُّدِّيَّ - أيضًا - يذكرُ تفسيرَهُ عن ابن مسعودٍ عنِ ابنِ عبَّاسٍ، وغيرِهما من أصحابِ النبيِّ ﷺ، وليست تلك ألفاظَهُم بعينِها، بل **نقلُ هؤلاءِ شبيهٌ بنقلِ أهلِ المغازِي والسِّيَرِ**، وهو مما يُستشهَدُ به ويعتبَرُ به ويُضمُّ بعضُهُ إلىٰ بعضٍ فيصيرُ حجَّةً، **وأمَّا ثبوتُ شيءٍ بمجرَّدِ هذا النقلِ عن ابنِ عباسٍ؛ فهذا لا يكونُ عندَ أهلِ المعرفةِ بالمنقولاتِ.**

وأحسنُ حالِ هذا أنْ يكونَ منقولًا عن ابنِ عبَّاسٍ بالمعنىٰ الذي وصَلَ إلىٰ الوالبِيِّ - إن كان له أصلٌ عن ابنِ عباسٍ -، وغايتُهُ أن يكونَ لفظَ ابنِ عبَّاسٍ، وإذا كان لفظُهُ قولَ ابنِ عبَّاسٍ؛ **فليس مقصودُ ابنِ عباسٍ بذلك أنَّ اللهَ هو نفسُهُ ليسَ بنورٍ، وأنَّه لا نورَ له؛ فإنه قد ثبَتَ بالرواياتِ الثابتَةِ عن ابنِ عباسٍ إثباتُ النورِ للهِ تَعَالَىٰ؛ كقولِهِ في حديثِ عكرمةَ لمَّا سأَلَه عن قولِهِ:** ﴿ **لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ** ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؛ =



وقد تنازعَتِ الجهميَّةُ مع أهْلِ الحديثِ في إثباتِ هذا الاسمِ، وتأثَّرَ بهمْ جماعةٌ ممَّنْ كتبَ في الأسماءِ والصفاتِ ممَّن ينتمُونَ لطريقةِ السلَفِ، قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فَقَوْلُهُ فِي أَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ: «النُّورُ»: الْهَادِي؛ لَوْ نَازَعَهُ مُنَازِعٌ فِي ثُبُوتِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ تَكُنْ لَهُ حُجَّةٌ، وَلَكِنْ جَاءَ ذَلِكَ فِي أَحَادِيثَ صِحَاحٍ؛ مِثْلَ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ**»؛ الْحَدِيثُ.

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنْ أبي ذرٍّ قالَ: سألتُ رسولَ اللهِ ﷺ؛ هلْ رأيتَ ربَّكَ؟ فقالَ: «**نورٌ، أَنَّىٰ أَرَاهُ؟!**» أو قَالَ: «**رأيتُ نورًا**»... فَتَبَيَّنَ أَنَّ اسْمَ «النُّورِ» يتَنَاوَلُ هَذَيْنِ، وَالْمُعْتَرِضُ ذَكَرَ أَوَّلًا حَدَّ «الْعَرَضِ»، وَذَكَرَ ثَانِيًا حَدَّ «الْجِسْمِ»، فَتَنَاقَضَ، وَكَأَنَّهُ أَخَذَ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِي وَلَمْ يَهْتَدِ لِوَجْهِ الْجَمْعِ!»[1].

فليس معناه الهادِي؛ كما ذهَبَ البعضُ، واسمُ اللهِ «النورُ» اسمٌ وصفةٌ

=

فقالَ: «ويحَكَ، ذاك نورُهُ الذي هو نورُهُ إذا تجلَّىٰ بنورِهِ لم يدركْهُ شيءٌ».

وابنُ عبَّاسٍ هو الرَّاوِي في «الصحيحَيْنِ» عن النبيِّ ﷺ أنه قَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَأَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَأَنْتَ قَيَّامُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ»، ومعلومٌ أنه لو لم يكنِ النورُ إلا الهادِي لكانت الهدايةُ مختصَّةً بالحيواناتِ، فأما الأرضُ نفسُها فلا توصَفُ بهدًىٰ، والحديثُ صريحٌ بأنه نورُ السمواتِ والأرضِ ومَن فِيهنَّ، وأيضًا فوصَفَهُ بأنه القيِّمُ والربُّ، وفرْقٌ بين ذلك وبين النُّورِ»، «تلبيسُ الجهميةِ» (٥/ ٥٢٠).

(١) «مجموعُ الفَتَاوَىٰ» (٦/ ٣٨٢).

وفعلُ لله عَزَّوَجَلَّ؛ «فَأَنْتَ إِذَا قُلْت: «هَادٍ» أَوْ «مُنَوِّرٌ»، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ: فَالْمُسَمَّىٰ «نُورًا» هُوَ الرَّبُّ نَفْسُهُ؛ لَيْسَ هُوَ النُّورَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ. فَإِذَا قُلْتَ: «هُوَ الْهَادِي فَنُورُهُ الْهُدَىٰ»؛ جَعَلْتَ أَحَدَ النورَيْنِ عَيْنًا قَائِمَةً، وَالْآخَرَ صِفَةً؛ فَهَكَذَا يَقُولُ مَنْ يُسَمِّيهِ نُورًا»[1].

قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَاسْمُ «النُّورِ» إذَا تَضَمَّنَ صِفَتَهُ وَفِعْلَهُ؛ كَانَ ذَلِكَ دَاخِلًا فِي مُسَمَّىٰ النُّورِ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا جَعَلَ الْقَمَرَ نُورًا؛ كَانَ مُتَّصِفًا بِالنُّورِ، وَكَانَ مُنِيرًا عَلَىٰ غَيْرِهِ، وَهُوَ مَخْلُوقٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَالْخَالِقُ أَوْلَىٰ بِصِفَةِ الْكَمَالِ الَّذِي لَا نَقْصَ فِيهِ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ»[2].

❁❁❁

(١) «مجموعُ الفَتَاوَىٰ» (٦/ ٣٨٨).

(٢) «مجموعُ الفَتَاوَىٰ» (٢٠/ ٤٦٩).

الهادي

الدليلُ مِنَ القرآنِ الكريمِ:

قولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ **هَادِيًا** وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

«**وَمِنْ أَسْمَائِهِ:** «الْهَادِي»»؛ وَلِهَذَا يُذْكَرُ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ: عَرَفْتُ الْأَشْيَاءَ بِرَبِّي، وَلَمْ أَعْرِفْ رَبِّي بِالْأَشْيَاءِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ الدَّلِيلُ لِي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ؛ وَإِنْ كَانَ كُلُّ شَيْءٍ - لِئَلَّا يُعَذِّبَنِي - عَلَيْهِ دَلِيلًا.

وَقِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ: بِمَاذَا عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقَالَ: مَنْ طَلَبَ دِينَهُ بِالْقِيَاسِ؛ لَمْ يَزَلْ دَهْرَهُ فِي الْتِبَاسٍ، خَارِجًا عَنِ الْمِنْهَاجِ، ظَاعِنًا فِي الِاعْوِجَاجِ. عَرَفْتُهُ بِمَا عَرَّفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَوَصَفْتُهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ. فَأَخْبَرَ أَنَّ مَعْرِفَةَ الْقَلْبِ حَصَلَتْ بِتَعْرِيفِ اللهِ؛ وَهُوَ نُورُ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ وَصْفَ اللِّسَانِ حَصَلَ بِكَلَامِ اللهِ؛ وَهُوَ نُورُ الْقُرْآنِ.

وَقَالَ آخَرُ لِلشَّيْخِ:

قَالُوا ائْتِنَا بِبَرَاهِينَ فَقُلْتُ لَهُمْ ... أَنَّىٰ يَقُومُ عَلَىٰ الْبُرْهَانِ بُرْهَانُ؟

وَقَالَ الشَّيْخُ الْعَارِفُ لِلْمُتَكَلِّمِ: الْيَقِينُ عِنْدَنَا وَارِدَاتٌ تَرِدُ عَلَىٰ النُّفُوسِ، تَعْجِزُ النُّفُوسُ عَنْ رَدِّهَا. فَأَجَابَهُ: بِأَنَّهُ ضَرُورِيٌّ.

وَقَالَ الشَّيْخُ إِسْمَاعِيلُ الكورانِيُّ لِلشَّيْخِ الْمُتَكَلِّمِ: أَنْتُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ اللهَ يُعْرَفُ بِالدَّلِيلِ. وَنَحْنُ نَقُولُ: إِنَّهُ تَعَرَّفَ إِلَيْنَا فَعَرَفْنَاهُ. يَعْنِي: إِنَّهُ تَعَرَّفَ بِنَفْسِهِ وَبِفَضْلِهِ.

مَعَ أَنَّ كَلَامَ هَذَيْنِ الشَّيْخَيْنِ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ الطَّرِيقَةِ الْعِبَادِيَّةِ، وَقَدْ تَكَلَّمْتُ عَلَيْهَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ.

فَإِذَا كَانَ الْحَقُّ، الْحَيُّ الْقَيُّومُ، الَّذِي هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ، وَمُؤَصِّلُ كُلِّ أَصْلٍ، وَمُسَبِّبُ كُلِّ سَبَبٍ وَعِلَّةٍ؛ هُوَ الدَّلِيلَ وَالْبُرْهَانَ، وَالْأَوَّلَ، وَالْأَصْلَ الَّذِي يَسْتَدِلُّ بِهِ الْعَبْدُ، وَيَفْزَعُ إِلَيْهِ، وَيَرُدُّ جَمِيعَ الْأَوَاخِرِ إِلَيْهِ فِي الْعِلْمِ؛ كَانَ ذَلِكَ سَبِيلَ الْهُدَىٰ وَطَرِيقَهُ، كَمَا أَنَّ الْأَعْمَالَ وَالْحَرَكَاتِ لَمَّا كَانَ اللهُ مَصْدَرَهَا وَإِلَيْهِ مَرْجِعُهَا؛ كَانَ الْمُتَوَكِّلُ عَلَيْهِ فِي عَمَلِهِ الْقَائِلُ: أَنَّهُ «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ» مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا.

فَجِمَاعُ الْأَمْرِ: أَنَّ اللهَ هُوَ الْهَادِي وَهُوَ النَّصِيرُ، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١]. وَكُلُّ عِلْمٍ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ هِدَايَةٍ، وَكُلُّ عَمَلٍ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ قُوَّةٍ.

فَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ هُوَ أَصْلَ كُلِّ هِدَايَةٍ وَعِلْمٍ، وَأَصْلَ كُلِّ نُصْرَةٍ وَقُوَّةٍ، وَلَا يَسْتَهْدِي الْعَبْدُ إِلَّا إِيَّاهُ، وَلَا يَسْتَنْصِرُ إِلَّا إِيَّاهُ»[1].

فاللهُ سبحانَهُ يَهْدِي مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ بِإِذْنِهِ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. وهدايتُهُ هدايةُ التوفيقِ والإرشادِ - أيضًا -، وأما هدايةُ رُسُلِهِ - عليهمُ السَّلامُ - لأقوامِهِم هي هدايةُ الإرشادِ فقطْ، فليس لهم من هدايةِ التوفيقِ شيءٌ؛ قالَ ابنُ قيِّمِ الجوزيَّةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فَانْظُرْ مَاذَا أَدَّىٰ إِلَيْهِ إِنْكَارُ الْأَسْبَابِ، وَالسُّلُوكُ عَلَىٰ دَرْبِ الْفَنَاءِ فِي تَوْحِيدِ الْأَفْعَالِ، فَهَذَا هُوَ مُقْتَضَاهُ وَطَرْدُهُ، وَإِلَّا تَنَاقَضَ أَصْحَابُهُ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ

---

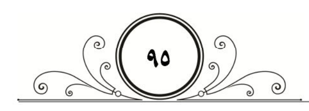
(١) «مجموعُ الفتاوَىٰ» (٢/ ١٨)، بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ.

لِرَسُولِهِ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، **وَالْهَادِي**: هُوَ الدَّلِيلُ الَّذِي يَدُلُّ بِهِمْ فِي الطَّرِيقِ إِلَىٰ اللهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ.

وَلَا يُنَاقِضُ هَذَا قَوْلَهُ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، وَقَوْلَهُ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر: ٨]؛ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ تَكَلَّمَ بِهَذَا وَهَذَا؛ فَرُسُلُهُ الْهُدَاةُ هِدَايَةَ الدَّلَالَةِ وَالْبَيَانِ، وَهُوَ الْهَادِي هِدَايَةَ التَّوْفِيقِ وَالإِلْهَامِ، فَالرُّسُلُ هُمُ الْأَدِلَّةُ حَقًّا، وَاللهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمُوَفِّقُ الْمُلْهِمُ، الْخَالِقُ لِلْهُدَىٰ فِي الْقُلُوبِ»[1].

❀❀❀

(١) «مدارجُ السالكِينَ» (٣/ ٤٦٥).





الدليلُ مِنَ القرآنِ:

قولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ **ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ** ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

وفي «صحيحِ مسلمٍ»، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كُنَّا نَقُولُ فِي الصَّلَاةِ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: السَّلَامُ عَلَىٰ اللهِ، السَّلَامُ عَلَىٰ فُلَانٍ. فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ: «**إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ. فَإِذَا قَعَدَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ...**».

القُدُّوسُ: هو «الطاهِرُ مِنَ العُيُوبِ، المُنَزَّهُ عَنِ الأَنْدَادِ، والأَوْلَادِ. والقُدْسُ: الطَّهَارَةُ. وَمِنْهُ سُميَ بَيْتُ المَقْدِسِ، وَمَعْنَاهُ: بَيْتُ المَكَانِ الذِي يُتَطَهَّرُ فِيهِ مِنَ الذنُوبِ. وَقِيلَ لِلْجَنَّةِ: حَظِيرةُ القُدْسِ؛ لِطَهَارَتِهَا مِنْ آفَاتِ الدُّنْيَا»[1].

قَالَ الإمامُ السعديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**«القدوسُ، السلامُ»**»؛ أيِ: المعظَّمُ المنزَّهُ عن صفاتِ النقصِ كلِّها، وأنْ يماثِلَهُ أحدٌ من الخلْقِ؛ فهو المتنزِّهُ عن جميعِ العيوبِ، والمتنزِّهُ عن أن يقاربَهُ أو يماثلَه أحدٌ في شيءٍ منَ الكمالِ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ

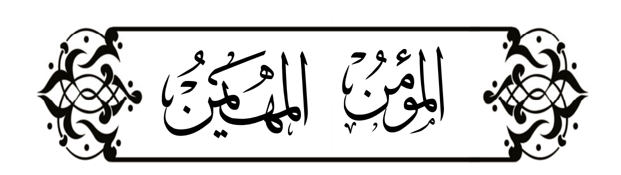
(١) «شأنُ الدعاءِ» (صحيفةُ: ٤٠).

سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢].

فَـ«القدُّوسُ» كـ«السلامِ»، يَنفيانِ كلَّ نقصٍ من جميعِ الوجوهِ، ويتضمَّنانِ الكمالَ المطلقَ من جميعِ الوجوهِ؛ لأنَّ النقصَ إذا انتفَىٰ ثبتَ الكمالُ كلُّهُ»[1].

❊❊❊

(١) «تفسيرُ السعديِّ» (صحيفةُ: ٩٤٦).



المؤمن المهيمن

الدليلُ مِنَ القرآنِ:

قولُه تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ **ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ** ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشرُ: ٢٣].

«**المُؤمنُ**: أَصْلُ الإيمَانِ فِي اللغَةِ: التصْدِيقُ[١]، فَالمُؤمِنُ: المُصَدِّقُ، وَقَدْ يَحْتَمِلُ ذَلكِ وُجُوهًا:

أَحَدُهَا: أنه يُصْدِقُ عِبَادُهُ وَعْدَهُ، وَيَفِي بِمَا ضَمِنَهُ لَهُمْ من رِزْقٍ في الدنيا، وثَوابٍ عَلَىٰ أعْمَالِهِمُ الحَسَنَةِ فِي الآخِرَةِ.

وَالوجهُ الآخَرُ: أنهُ يُصْدِقُ ظُنُونَ عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ، وَلَا يخيِّبُ آمَالَهُم.

كَقولِ النبِيِّ ﷺ فِيمَا يَحْكِيهِ عَنْ رَبِّهِ - جَلَّ وَعَزَّ -: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي؛ فَلْيَظُنَّ عَبْدِي بِي مَا شَاءَ».

وَقِيلَ: بَلِ المؤْمِنُ: الموحِّدُ نفسَهُ بقَوْلِهِ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ﴾ [آل عمران: ١٨].

وَقيلَ: بَل المُؤْمِنُ: الذي آمَنَ عِبَادَهُ المُؤمنينَ في القِيامَةِ مِنْ عَذَابِهِ.

---

(١) وَهذَا مُتنازَعٌ فيه لُغَةً واصطِلاحًا، وعَقيدةُ السَّلفِ أنَّ الإيمانَ شيءٌ زائدٌ علىٰ مُجرَّدِ التَّصْديقِ، وهو القولُ والِاعتقادُ والعملُ جميعًا . انظرْ: مجموعَ الفتاوىٰ (٧/ ١٢٢).



وَقِيلَ: هُوَ الذي آمَنَ خَلْقَهُ مِنْ ظُلْمِهِ»[١].

قَالَ شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَهُوَ سُبْحَانَهُ اسْمُهُ «الْمُؤْمِنُ»؛ وَهُوَ فِي أَحَدِ التَّفْسِيرَيْنِ: الْمُصَدِّقُ، الَّذِي يُصَدِّقُ أَنْبِيَاءَهُ فِيمَا أَخْبَرُوا عَنْهُ بِالدَّلَائِلِ الَّتِي دَلَّ بِهَا عَلَىٰ صِدْقِهِ»[٢].

قَالَ العلَّامةُ السعديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ««المؤمنُ»: الذي أثنَىٰ علىٰ نفسِهِ بصفاتِ الكمالِ، وبكمالِ الجلالِ والجمالِ، الذي أرسلَ رُسلَهُ وأنزلَ كُتبَهُ بالآياتِ والبراهينِ، وصدَّقَ رسلَهُ بكلِّ آيةٍ وبرهانٍ يدلُّ علىٰ صدقِهِم وصحَّةِ ما جاءُوا بِهِ.

«المهيمنُ»: المطَّلِعُ علىٰ خفايا الأمورِ، وخبايا الصدُورِ، الذي أحاطَ بكلِّ شيءٍ علمًا»[٣].

وهو ما صدَّرَ به الخطَّابِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامَهُ في معنىٰ اسمِ اللهِ (المهيمنِ)؛ حيثُ قَالَ:

«المُهَيْمِنُ: هو الشهِيدُ؛ وَمِنهُ قَولُ اللهِ سُبْحَانَهُ: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

فاللهُ - جَلَّ وَعَزَّ - المُهَيْمِنُ؛ أي: الشاهِدُ عَلَىٰ خَلْقِهِ بِمَا يَكُونُ مِنْهُمْ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١].

---

(١) «شأنُ الدعاءِ» (صحيفةُ: ٤٥).

(٢) «مجموعُ الفتاوَىٰ» (١٤/ ١٨٩).

(٣) «تفسيرُ السعديِّ» (صحيفةُ: ٩٤٦).

وَقِيلَ: المهيمِنُ: الأمينُ، وأصلُهُ: مُؤيمِنٌ، فَقُلِبَتِ الهَمْزةُ هَاءً؛ لأن الهَاءَ أخفُّ مِنَ الهَمْزَةِ. قَالُوا: وَلَمْ يَأتِ «مُفَيْعِلٌ» فِي غَيرِ التَّصْغيرِ إلا فِي ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ: «مُسَيْطِرٌ، وَمُبَيْطِرٌ، وَمُهَيْمِنٌ».

وَقِيلَ: المُهَيْمِنُ: الرقِيبُ عَلَىٰ الشيْءِ، والحَافِظُ لَهُ. وَقالَ بَعْضُ أهْلِ اللُّغةِ: الهَيْمَنَةُ: القِيَامُ عَلَىٰ الشيْءِ، والرِّعَايَةُ لَهُ، وَأنشَدَ:

أَلَا إِنَّ خيـرَ النـاسِ بَعْـدَ نَبيِّـهِ ... مُهَيْمِنُـهُ التَّالِيـهِ فِـي العُـرْفِ والنُّكْـرِ

يُرِيدُ: القَائِمَ علىٰ الناسِ بَعْدَهُ وَبالرعَايَةِ لَهُمْ»[١].

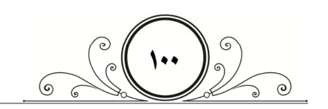
قَالَ العلَّامةُ ابنُ قيِّمِ الجوزيَّةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعْدَ ذكْرِ آيةِ سورةِ «الحشرِ»:

«فسبَّحَ: نزَّهَ نَفسَهُ عَن شركِ الْمُشْرِكِينَ بِهِ عقِبَ تمدُّحِهِ بأسمائِهِ الْحسنَىٰ الْمُقْتَضِيَةِ لتوحيدِهِ واستحالةِ إِثْبَاتِ شريكٍ لَهُ، وَمن تدبَّرَ هَذَا الْمَعْنىٰ فِي الْقُرْآنِ؛ هَبَط بِهِ علىٰ رياضٍ من الْعلمِ حماها اللهُ عَن كلِّ أَفَّاكٍ معرِضٍ عَن كتابِ اللهِ واقتباسِ الْهُدَىٰ مِنْهُ، وَلَو لم يكنْ فِي كتَابنَا هَذَا إِلَّا هَذَا الْفَصْلُ وَحدَه لكفَىٰ من لَهُ ذوقٌ وَمَعْرِفَةٌ، وَاللهُ الْمُوفِّقُ للصَّوَابِ»[٢].

***

(١) «شأنُ الدعاءِ» (صحيفةُ: ٤٦).

(٢) «جلاءُ الأفهامِ» (صحيفةُ: ١٧٥).



الشَّهِيدُ، الشَّاهِد

الدليلُ مِنَ القرآنِ:

قَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ **شَهِيدًا**﴾ [النساء: ١٦٦].

وقَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ **شَهِيدٌ**﴾ [المائدة: ١١٧].

وقَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ **شَهِيدٌ**﴾ [الحجُّ: ١٧].

وقَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ فَٱشْهَدُواْ **وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ**﴾ [آل عمران: ٨١].

وقَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ **شَٰهِدِينَ**﴾ [الأنبياء: ٧٨].

وقَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ **شُهُودًا** إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾ [يونس: ٦١].

معناهُ: أنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: «شهيدٌ علىٰ أفعالِهم، حفيظٌ لأقوالِهم، عليم بسرائِرهم وما تُكِنُّ ضمائرُهم»[١]، «وَهُوَ أَيْضًا الشاهِدُ للمظلومِ الذِي لَا شَاهِدَ لَهُ، وَلَا نَاصِرَ عَلَىٰ الظالِم المتعَدِّي الذي لَا مَانِعَ لَهُ فِي الدُّنْيَا؛ لِيَنْتَصِفَ لَهُ مِنْهُ»[٢].

(١) «تفسيرُ القرآنِ العظيمِ» (٥/ ٣٥٤) لابنِ كثيرٍ.

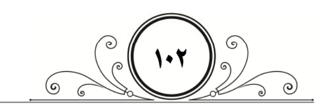
(٢) «شأنُ الدعاءِ» (صحيفةُ: ٧٦).

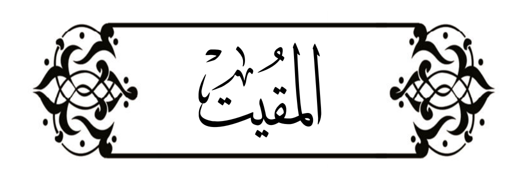
قَالَ العلَّامةُ ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

«فَإِنَّ مِنْ أَسْمَائِهِ «الشَّهِيدَ»؛ الَّذِي لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، بَلْ هُوَ مُطَّلِعٌ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُشَاهِدٌ لَهُ، عَلِيمٌ بِتَفَاصِيلِهِ»[1].

فإذا علِمَ العبدُ ذلك راقبَ ربَّهُ، ولم يتجاوزْ حدَّه؛ فإنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣]، فإذا صحَّ اعتقادُ العبدِ بذلك سَلِمَ من الفَجَراتِ وبَعُدَ عن المنكراتِ، وأَمْسَتْ خلوتُه كجلوتِهِ، وسرُّه كعلانيتِهِ.

(١) «مدارِجُ السالكِينَ» (٣/ ٤٣٣).





الدليلُ مِنَ القرآنِ:

قولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ **مُّقِيتٗا**﴾ [النِّساءُ: ٨٥].

قَالَ العلماءُ في معنىٰ اسمِهِ «المُقيتِ» المذكورِ في آيةِ سورةِ النساءِ أنَّه: «كَانَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظًا وشَهِيدًا؛ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا﴾؛ يَقُولُ: «حَفِيظًا». وَعَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿مُّقِيتٗا﴾؛ شَهِيدًا. [وعنْهُ - أيضًا -] قَالَ: «شَهِيدًا، حَسِيبًا، حَفِيظًا».

وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: الْقَائِمُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ بِالتَّدْبِيرِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ الْقَدِيرُ.

وَالصَّوَابُ مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَىٰ «الْمُقِيتِ»: الْقَدِيرُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ ذَلِكَ فِيمَا يُذْكَرُ كَذَلِكَ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ، وَيُنْشَدُ لِلزُّبَيْرِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ:

وَذِي ضِغْنٍ كَفَفْتُ النَّفْسَ عَنْهُ وَكُنْتُ عَلَىٰ مُسَاءَتِهِ مُقِيتَا

أَيْ: قَدِيرًا.

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مِنْهُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: «**كَفَىٰ بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يُقِيتُ**».

فِي رِوَايَةِ مَنْ رَوَاهَا: «**يُقِيتُ**» يَعْنِي: مَنْ هُوَ تَحْتَ يَدَيْهِ فِي سُلْطَانِهِ مِنْ أَهْلِهِ

وَعِيَالِهِ، فَيُقَدِّرُ لَهُ قُوتَهُ»[١].

ورجَّحَ الأخيرَ العلَّامةُ السعديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **فقالَ:**

«"**المقيتُ**": الذي أوصلَ إلىٰ كلِّ موجودٍ ما به يقتَاتُ، وأوْصَلَ إليها أرزاقَها وصرَّفَها كيفَ يشاءُ بحكمتِهِ وحمدِهِ»[٢].

قَالَ الرَّاغِبُ الأصفَهَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**الْقُوتُ**: ما يمسِكُ الرَّمَقَ، وجمعُهُ: أَقْوَاتٌ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ [فصِّلتْ: ١٠].

وقَاتَهُ يَقُوتُهُ قُوتًا: أطعمَهُ قوتَهُ.

وأَقَاتَهُ يُقِيتُهُ: جعلَ لهُ ما يَقُوتُهُ، وفي الحديثِ: «**إِنَّ أَكْبَرَ الْكَبَائِرِ أَنْ يُضَيِّعَ الرَّجُلُ مَنْ يَقُوتُ**»، ويُروىٰ: «**مَنْ يُقِيتُ**». قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ **مُّقِيتًا**﴾ [النِّساءُ: ٨٥].

قيلَ: مقتدرًا. **وقيلَ**: حافظًا. **وقيلَ**: شاهدًا.

وحقيقته: قائمًا عليه؛ يحفظُهُ ويقيتُهُ»[٣].

ولا تعارُضَ بأنْ يكونَ معناهُ: الذي يحفظُ خلقَهُ من الهلكَةِ، والمقتدِرُ القادرُ المدبِّرُ لشؤونهم، القائمُ بقُوتِهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[٤]، والله أعلم.

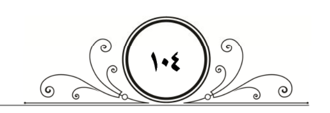
---

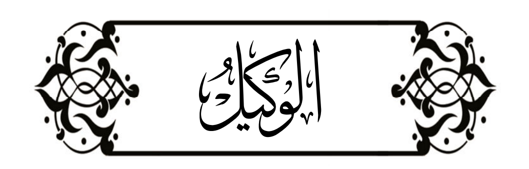
(١) «تفسيرُ الطبريِّ» (٧/ ٢٧٠).

(٢) «تفسيرُ السعديِّ» (صحيفةُ: ٩٤٧).

(٣) «المفرداتُ في غريبِ القرآنِ» (صحيفةُ: ٦٨٧).

(٤) وقد رجَّح الجمعَ الخطابِيُّ وغيرُهُ من الأئمَّةِ.





الدليلُ مِنَ القرآنِ:

قولُه تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٨].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمِّل: ٩].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزُّمَرُ: ٦٢].

وَقولُه تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

«**وكيلُ عبادِهِ:** أي كافِيهم أمورَهُم وأسبابَهُم، كما يقالُ: «حَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوكيلُ»؛ تأويلُه: كافِينا اللهُ ونِعْمَ الكافِي.

والوكيلُ: الكفِيلُ أيضًا، كذلك قالوا في قولِهِ تَعَالَىٰ عَزَّوَجَلَّ في سورة يوسف: ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف: ٦٦]؛ أي: كفيلٌ»[١].

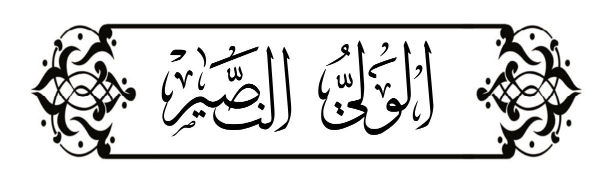
وقيلَ معناه: «المُتَولِّي لتدبيرِ خلقِهِ بعلمِهِ وكمالِ قدرتِهِ وشمولِ حكمتِهِ، الذي تولَّىٰ أولياءَهُ؛ فيسَّرَهم لليُسْرَىٰ، وجنَّبَهم العُسْرَىٰ، وكفاهُم الأمورَ. فمن اتَّخذَهُ وكيلًا كفَاه، ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]»[٢].

وفِي معناهُ أو قريبٌ منه اسمُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: **الْوَلِيُّ**.

---

(١) «تفسيرُ السعديِّ» (صحيفةُ: ٩٤٧).

(٢) «اشتقاقُ أسماءِ اللهِ» (صحيفةُ: ١٣٦).



الدليلُ مِنَ القرآنِ الكريمِ:

قولُه تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورىٰ: ٢٨].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾ [الشورىٰ: ٩].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٤٥].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

«الْوَلِيُّ: النَّاصِرُ، وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وَهُوَ تَعَالَىٰ وليُّهم بِأَن يتوَلَّىٰ نَصرَهم وإرشادَهم، كَمَا يتَوَلَّىٰ ذَلِك من الصَّبِي وليُّه، وَهُوَ يتوَلَّىٰ يَوْمَ الْحساب ثوابَهم وجزاءَهم»[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الشورىٰ: ٩] معناهُ: «بل اتخذَ الْكَافِرُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ مِنَ الْأَصْنَامِ يَعْبُدُونَهَا. ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾؛ أَيْ: هُوَ الْحَقِيقُ بِأَنْ يَتَّخِذُوهُ وَلِيًّا؛ فَإِنَّهُ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الضَّارُّ النَّافِعُ. وَقِيلَ: الْفَاءُ جَوَابُ شَرْطٍ مَحْذُوفٍ؛ أَيْ: إِنْ أَرَادُوا أَنْ يَتَّخِذُوا وَلِيًّا فِي الْحَقِيقَةِ فَاللهُ هُوَ الْوَلِيُّ ﴿وَهُوَ﴾؛ أَيْ:

---

(١) «تفسيرُ أسماءِ اللهِ الحسنَىٰ» (صحيفةُ: ٥٥) للزجاجِ.

وَمِنْ شَأْنِهِ أَنَّه ﴿ يُحۡىِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ ﴾؛ أَيْ: يَقْدِرُ عَلَىٰ كُلِّ مَقْدُورٍ؛ فَهُوَ الْحَقِيقُ بِتَخْصِيصِهِ بِالْأُلُوهِيَّةِ، وَإِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ»[١].

فإِذَا علمْتَ ذلك انكشَفَ لكَ التقريعُ الشَّدِيدُ في قولِهِ تَعَالَى:

﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴾ [الكهف: ٥٠].

ومتىٰ تبصَّرَ الإنسانُ بحقيقةِ هذه القسمةِ الثنائيَّةِ؛ نَأَىٰ عن أن يكونَ متصفا بما ذكره اللهُ في قولِهِ: ﴿بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴾.

فمتىٰ علمْتَ أنَّه وليُّكَ وناصرُكَ؛ اشتدَّ قلبُكَ عندَ الرُّكونِ إليهِ، والتوكُّلِ عليه؛ ولذلكَ قَالَ لأوليائِهِ: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾ [النساء: ٤٥]؛ فهو الخالقُ المدبِّرُ، وهو عليمٌ بأعدائِكُمْ وبما يدبِّرُون لكم، ومَنْ ناصرَهُ اللهُ نصرَهُ ولابدَّ، ولذلك قَالَ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾.

❁❁❁

---

(١) «فتحُ القدِيرِ» (٤/ ٦٠٤) للشوكانيِّ.



الدليلُ مِنَ القرآنِ:

قولُه تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ **عَفُوًّا** قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا **ٱلْغَفُورُ** ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿**وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ** ١٤﴾ [البروج: ١٤].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ **ٱلْغَفَّٰرِ**﴾ [غافر: ٤٢].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿**غَافِرِ** ٱلذَّنۢبِ﴾ [غافر: ٣].

وفي الحديثِ الصحيحِ أن عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا **قَالَتْ:** يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، مَا أَدْعُو؟ قَالَ: «**تَقُولِينَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**».

فهو سُبحانَه العفوُّ؛ يعفُو، ويحبُّ العفوَ، ويأمرُ بِهِ.

والغفورُ: «من أبنيةِ المبالغةِ؛ فاللهُ عَزَّوَجَلَّ غفورٌ؛ لأنَّه يفعلُ ذلك لعبادِهِ مرَّةً بعدَ مرةٍ، إلىٰ ما لا يُحصَىٰ، فجاءتْ هذه الصِّفَةُ علىٰ أبنيةِ المبالغَةِ لذلِكَ، وهو متعلِّقٌ بالمفعولِ؛ لأنه لا يقعُ السترُ إلا بمستورٍ يُسترُ ويُغطَّىٰ، وليست من أوصافِ المبالغةِ في الذاتِ، إنَّما هي من أوصاف المبالغةِ في الفعلِ»[١].

(١) «اشتقاقُ أسماءِ اللهِ» (صحيفةُ: ٩٤).

وسبحانَهُ الغفورُ الذي يغفرُ الذنوبَ، «وَإِذَا غُفِرَ الذَّنْبُ زَالَتْ عُقُوبَتُهُ؛ فَإِنَّ الْمَغْفِرَةَ هِيَ وِقَايَةُ شَرِّ الذَّنْبِ»(١).

قَالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ: الْغَفْرُ: السَّتْرُ، وَيَقُولُ: إِنَّمَا سُمِّيَ الْمَغْفِرَةَ وَالْغَفَّارَ لِمَا فِيهِ مِنْ مَعْنَىٰ السَّتْرِ، وَتَفْسِيرُ اسْمِ اللهِ «الْغَفَّارِ» بِأَنَّهُ السَّتَّارُ؛ وَهَذَا تَقْصِيرٌ فِي مَعْنَىٰ الْغَفْرِ؛ فَإِنَّ الْمَغْفِرَةَ مَعْنَاهَا: وِقَايَةُ شَرِّ الذَّنْبِ بِحَيْثُ لَا يُعَاقَبُ عَلَىٰ الذَّنْبِ، فَمَنْ غُفِرَ ذَنْبُهُ لَمْ يُعَاقَبْ عَلَيْهِ. وَأَمَّا مُجَرَّدُ سِتْرِهِ فَقَدْ يُعَاقَبُ عَلَيْهِ فِي الْبَاطِنِ، وَمَنْ عُوقِبَ عَلَىٰ الذَّنْبِ بَاطِنًا أَوْ ظَاهِرًا؛ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، وَإِنَّمَا يَكُونُ غُفْرَانُ الذَّنْبِ إِذَا لَمْ يُعَاقَبْ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ الْمُسْتَحَقَّةَ بِالذَّنْبِ.

وَأَمَّا إِذَا ابْتُلِيَ مَعَ ذَلِكَ بِمَا يَكُونُ سَبَبًا فِي حَقِّهِ لِزِيَادَةِ أَجْرِهِ؛ فَهَذَا لَا يُنَافِي الْمَغْفِرَةَ»(٢).

وقد قرنْتُ اسمَ اللهِ «الغفورَ والغفَّارَ» باسمِهِ سُبحانَه «العفوِّ» لِمَا اقترنَ في كتابِ اللهِ من دعاءِ الصالحينَ بمقتضَىٰ الاسمَيْنِ مقترنَيْنِ(٣)، قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

---

(١) «الفتاوىٰ الكُبرىٰ» (٥/ ٢٧٤).

(٢) «الفتاوىٰ الكُبرىٰ» (٥/ ٢٧٥).

(٣) وقدْ جَرَىٰ علىٰ ذلك العلَّامةُ السعديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ دونَ إشارةٍ لسببٍ، ولعلَّ ما قصدتُهُ هو ما دفعَهُ لذلك.

قَالَ شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في بيانِ معنىٰ دعاءِ العبدِ بآثارِ هذه الصفاتِ المتضمَّنةِ في اسمِ اللهِ «العفوِّ والغفورِّ» -:

«ثُمَّ سَأَلُوهُ الْعَفْوَ وَالْمَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ وَالنَّصْرَ عَلَىٰ الْأَعْدَاءِ؛ فَإِنَّ بِهَذِهِ الْأَرْبَعَةِ تَتِمُّ لَهُمُ النِّعْمَةُ الْمُطْلَقَةُ، وَلَا يَصْفُو عَيْشٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا بِهَا، وَعَلَيْهَا مَدَارُ السَّعَادَةِ وَالْفَلَاحِ؛ فَالْعَفْوُ مُتَضَمِّنٌ لِإِسْقَاطِ حَقِّهِ قِبَلِهِمْ وَمُسَامَحَتِهِمْ بِهِ، وَالْمَغْفِرَةُ مُتَضَمِّنَةٌ لِوِقَايَتِهِمْ شَرَّ ذُنُوبِهِمْ وَإِقْبَالِهِ عَلَيْهِمْ وَرِضَاهُ عَنْهُمْ؛ بِخِلَافِ الْعَفْوِ الْمُجَرَّدِ؛ فَإِنَّ الْعَافِيَ قَدْ يَعْفُو وَلَا يُقْبِلُ عَلَىٰ مَنْ عَفَا عَنْهُ وَلَا يَرْضَىٰ عَنْهُ.

فَالْعَفْوُ تَرْكٌ مَحْضٌ، وَالْمَغْفِرَةُ إِحْسَانٌ وَفَضْلٌ وَجُودٌ، وَالرَّحْمَةُ مُتَضَمِّنَةٌ لِلْأَمْرَيْنِ مَعَ زِيَادَةِ الْإِحْسَانِ وَالْعَطْفِ وَالْبِرِّ؛ فَالثَّلَاثَةُ تَتَضَمَّنُ النَّجَاةَ مِنَ الشَّرِّ وَالْفَوْزَ بِالْخَيْرِ، وَالنُّصْرَةُ تَتَضَمَّنُ التَّمْكِينَ مِنْ إِعْلَانِ عِبَادَتِهِ وَإِظْهَارِ دِينِهِ وَإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ، وَقَهْرِ أَعْدَائِهِ وَشِفَاءِ صُدُورِهِمْ مِنْهُمْ، وَإِذْهَابِ غَيْظِ قُلُوبِهِمْ وحَزَازَاتِ نُفُوسِهِمْ.

وَتَوَسَّلُوا فِي خِلَالِ هَذَا الدُّعَاءِ إِلَيْهِ بِاعْتِرَافِهِمْ أَنَّهُ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ، الَّذِي لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ سِوَاهُ؛ فَهُوَ نَاصِرُهُمْ وَهَادِيهِمْ وَكَافِيهِمْ وَمُعِينُهُمْ وَمُجِيبُ دَعَوَاتِهِمْ وَمَعْبُودُهُمْ.

فَلَمَّا تَحَقَّقَتْ قُلُوبُهُمْ بِهَذِهِ الْمَعَارِفِ وَانْقَادَتْ وَذَلَّتْ لِعِزَّةِ رَبِّهَا وَمَوْلَاهَا، وَأَجَابَتْهَا جَوَارِحُهُمْ؛ أُعْطُوا كُلَّ مَا سَأَلُوهُ مِنْ ذَلِكَ، فَلَمْ يَسْأَلُوا شَيْئًا مِنْهُ إِلَّا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: «**قَدْ فَعَلْتُ**» كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ذَلِكَ»[١].

---

(١) «مجموعُ الفتاوىٰ» (١٤/ ١٤٠).

قَالَ العلامةُ السعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

««**العفوُّ، الغفورُ، الغفَّارُ**» الذي لم يزَلْ ولا يزالُ بالعفوِ معروفًا، وبالغفرانِ والصفْحِ عن عبادِهِ موصوفًا، كلُّ أحدٍ مضطرٌّ إلىٰ عفوِهِ ومغفرتِهِ، كما هو مضطرٌّ إلىٰ رحمتِهِ وكرمِهِ، وقد وعَدَ بالمغفرةِ والعفوِ لمن أتىٰ بأسبابِهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]»(١).

قَالَ ابنُ قيمِ الجوزيَّةِ في «كافِيَتِهِ الشَّافيةِ»:

3318- وَهُوَ الْغَفُورُ فَلَوْ أَتَىٰ بِقُرَابِهَا	**مِنْ غَيْرِ شِرْكٍ بَلْ مِنَ الْعِصْيَانِ**
3319- لَاقَاهُ بِالْغُفْرَانِ مِلْءَ قُرَابِهَا	**سُبْحَانَهُ هُوَ وَاسِعُ الْغُفْرَانِ**

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:

«**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي؛ غَفَرْتُ لَكَ عَلَىٰ مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي؛ غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا؛ لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»(٢).

فما الذي يمنعُ الخلقَ عن التوبَةِ والإنابةِ إليه سُبحانَه وهو صاحبُ العفوِ والمغفرةِ؟! قَالَ تَعَالَىٰ:

---

(١) «تفسيرُ السعديِّ» (صحيفةُ: ٩٤٦).

(٢) **حديثٌ صحيحٌ**: أخرجَهُ أحمدُ في «مسندِهِ» (٣٥/ ٢٤٣) (رقمَ: ٢١٣١٥)، والترمذيُّ في «جامعِهِ» (٥/ ٥٤٨) (رقمَ: ٣٥٤٠) وغيرُهُمَا.

﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

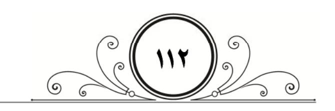
وَقالَ تَعَالَىٰ:

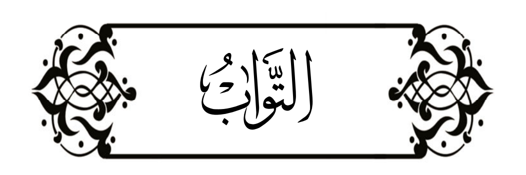
﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ ﴾

[آل عمران: ١٣٥، ١٣٦].

وَقالَ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ٥٤ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٥٥ ﴾ [الزمر: ٥٣ – ٥٥].





الدليلُ مِنَ القرآنِ:

قولُه تَعَالَىٰ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ **ٱلتَّوَّابُ** ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ **ٱلتَّوَّابُ** ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ **وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ**﴾ [غافر: ٣].

نَظَمَ شيخُ الإسلامِ ابنُ قيِّمِ الجوزيَّةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيتِهِ ما دلَّتْ عليه هذه الآياتُ؛ فقال:

3320 - وَكَذَلِكَ التَّوَّابُ مِنْ أوصَافِهِ ... والتَّوْبُ في أوصَافِهِ نَوْعَانِ

3321 - إذْنٌ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ وقَبُولُهَا ... بَعْدَ المَتَابِ بِمِنَّةِ المنَّانِ

فـ«توبتُهُ سُبحانَه علىٰ عبدِهِ نوعانِ:

أحدُهما: أنَّه يُلهمُ عبدَهُ التوبةَ إليهِ، ويوفِّقُه لتحصيلِ شُروطِهَا؛ من النَّدَمِ والاستغفارِ، والإقلاعِ عن المعصيةِ، والعزمِ علىٰ عدمِ العودِ إليها، واستبدالِها بعملِ الصالحاتِ.

والثَّاني: توبتُهُ علىٰ عبدِهِ بقبولِها وإجابتِهَا ومحوِ الذنوبِ بها؛ فإنَّ التوبةَ النَّصوحَ تَجُبُّ ما قبْلَها»[1].

---

(١) «شرحُ الكافِيةِ الشافيةِ» (٢/ ٤١) للشيخِ خليلِ هرَّاسٍ.

وَ«التوابُ هو الذي يقبلُ التوبةَ عن عبادِهِ، بل ويفرَحُ بها، وذلك يعني أنَّه لا بدَّ من وقوعِ أخطاءٍ ومخالفاتٍ أو جرائِمَ يعفُو عنها الربُّ العفوُّ سُبحانَه، ولا بدَّ من ذنوبٍ وجنايةٍ تُغْفَرُ، فالربُّ تَعَالَىٰ عفوٌّ يحبُّ العفوَ ويحبُّ المغفرةَ والسماحَ، فبينما العبدُ يتقرَّبُ إليه بعبوديَّةِ امتثالِ المأموراتِ واجتنابِ المنهيَّاتِ، ويجتهِدُ في الطاعاتِ؛ إذْ يجدُ نفسَهُ قد زلَّ وانزلَقَ؛ فيبادرُ إلىٰ عبوديَّةِ التوبةِ والاعترافِ والإقرارِ والندمِ والبكاءِ علىٰ ما جنىٰ، يطلبُ العفوَ والغفرانَ متبرِّأً من حولِهِ وقوَّتِهِ، ومعترفًا بعجزِهِ وضعفِهِ ومسكنتِهِ؛ وهي من أحبِّ أنواعِ العبوديَّةِ - كما تقدَّمَ -، يدلُّ علىٰ ذلك فرحُ اللهِ العظيمِ تلطُّفًا بهذا المسكِينِ الذي لولاهُ سُبحانَه لم يكن له خلاصٌ ممَّا وقعَ فيهِ.

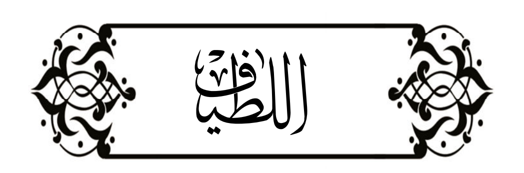
هكذا يظهرُ جليًّا آثارُ أسمائِهِ العفوِّ الغفَّارِ التوَّابِ الحليمِ اللطيفِ»[١].

وَقالُوا في معناهُ أنه هو «الذي لم يزَلْ يتوبُ علىٰ التائِبينَ، ويغفرُ ذنوبَ المُنِيبينَ، فكلُّ من تابَ إلىٰ اللهِ توبةً نصوحًا؛ تابَ اللهُ عليه، فهو التائبُ علىٰ التائِبينَ أوَّلًا بتوفيقِهِمْ للتوبَةِ والإقبالِ بقلوبِهِمْ إليه، وهو التائِبُ عليهم بعد توبتِهِم قبولًا لها، وعفوًا عن خطاياهم»[٢].

❊❊❊

(١) «الصفاتُ الإلهيَّةُ في الكتابِ والسنَّةِ النبويَّةِ في ضوءِ الإثباتِ والتنزيهِ» (صحيفةُ: ٣٧٦) للشيخِ محمَّدِ آمانٍ.

(٢) «تفسيرُ السعديِّ» (صحيفةُ: ٩٤٦).



الدليلُ مِنَ القرآنِ:

قولُه تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ **ٱللَّطِيفُ** ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وقولُه تعالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ **لَطِيفٌ** خَبِيرٌ﴾ [الحج: ٦٣].

وقولُه تعالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبِّى **لَطِيفٌ** لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

««**اللطيفُ**» الذي أحاطَ علْمُه بالسرائِرِ والخفايا، وأدرَكَ الخبايَا والبواطِنَ والأمورَ الدقيقةَ، اللطيفُ بعبادِهِ المؤمنِينَ، الموصلُ إليهم مصالحَهُم بلُطفِهِ وإحسانِهِ، من طُرقٍ لا يشعرُونَ بها؛ فهو بمعنَىٰ «الخبيرِ»، وبمعنَىٰ «الرؤوفِ»»[1].

قال ابنُ قيِّمِ الجوزيَّةِ:

3300- وهُوَ اللطِيفُ بعَبْدِهِ ولعَبْدِهِ	**وَاللُّطْفُ في أوْصَافِهِ نَوْعَانِ**
3301- إدراكُ أسرارِ الأمورِ بخِبرَةٍ	**واللُّطفُ عند مواقِعِ الإحسانِ**

(١) «تفسيرُ السعديِّ» (صحيفةُ: ٩٤٦).

3302- فيريـكَ عزَّتَـهُ ويبـدِي لُطْفَـهُ والعبدُ في الغَفَلاتِ عـن ذَا الشَّـانِ[١]

«**ومِنْ لطفِهِ بعبادِهِ المؤمنِينَ**: أنَّه يتولَّاهُمْ بلُطْفِهِ فيُخرجُهُم منَ الظُّلماتِ إلىٰ النورِ؛ مِنْ ظلماتِ الجهلِ، والكُفرِ، والبِدَعِ، والمعاصِي إلىٰ نورِ العلمِ والإيمانِ والطاعَةِ، ومن لطفِهِ أنَّه يرحمُهم من طاعَةِ أنفسِهم الأمَّارةِ بالسوءِ، التي هذا طبعُها ودَيْدَنُها؛ فيوفِّقُهم لنَهْيِ النَّفسِ عن الهوَىٰ، ويصرفُ عنهم السوءَ والفحشاءَ، فتُوجدُ أسبابُ الفتنةِ، وجواذبُ المعاصِي وشهواتُ الغيِّ؛ فيرسلُ اللهُ عليها برهانَ لطفِهِ ونورَ إيمانِهم الذي منَّ به عليهم؛ فيَدَعُونها مطْمئِنِّين لذلك منشرحةً لتركِها صدُورُهم.

ومن لُطفِهِ بعبادِهِ أنه يُقدِّرُ أرزاقَهم بحسب عِلْمِهِ بمصلَحَتِهم لا بحسبِ مراداتِهم، فقد يُريدُونَ شيئًا وغيرُهُ أصلحُ؛ فيقدِّرُ لهم الأصلحَ، وإن كَرِهُوه؛ لُطفًا بهم، وبرًّا، وإحسانًا، ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [الشورىٰ: ١٩]، ﴿۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ [الشورىٰ: ٢٧].

ومن لطفِهِ بهم أنه يقدِّرُ عليهم أنواعَ المصائبِ، وضروبَ المحنِ والابتلاءِ بالأمرِ والنهْيِ الشاقِّ رحمةً بهم، ولُطفًا، وسوقًا إلىٰ كمالِهِمْ، وكمالِ نعيمِهم، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

---

(١) «الكافِيةُ الشافيةُ».

ومِنْ لَطِيفِ لُطْفِهِ بعبدِهِ إذ أَهَّلَه للمراتبِ العاليةِ، والمنازلِ الساميةِ التي لا تُدركُ بالأسبابِ العِظَامِ التي لا يُدركُها إلا أربابُ الهممِ العاليةِ، والعزائمِ الساميةِ؛ أن يقدِّرَ له في ابتداءِ أمرِه بعضَ الأسبابِ المحتمَلةِ المناسبةِ للأسبابِ التي أُهِّلَ لها؛ ليتدرَّجَ من الأدنَىٰ إلىٰ الأعلَىٰ، ولتتمرَّنَ نفسُه، ويصيرَ له ملَكةٌ من جنسِ ذلك الأمرِ.

وهذا كما قدَّرَ لموسَىٰ ومحمَّدٍ وغيرِهما من الأنبياءِ - صلواتُ اللهِ وسلامه عليهم - في ابتداءِ أمرِهم رعايةَ الغَنَمِ؛ ليتدرَّجُوا من رعايةِ الحيوانِ البهيمِ وإصلاحِهِ إلىٰ رعايةِ بني آدمَ ودعوتِهم وإصلاحِهم.

وكذلك يُذيقُ عبدَهُ حلاوةَ بعضِ الطاعاتِ، فينجذِبُ ويرغَبُ، ويصيرُ له ملكةٌ قويَّةٌ بعد ذلك علىٰ طاعاتٍ أجلَّ منها وأعلَىٰ، ولم تكُنْ تحصلُ بتلكِ الإرادةِ السابقةِ، حتىٰ وصلَ إلىٰ هذه الإرادةِ والرغبةِ التامَّةِ.

ومن لطفِهِ بعبدِهِ أن يقدِّرَ له أن يتربَّىٰ في ولايةِ أهلِ الصَّلاحِ، والعلمِ، والإيمانِ، وبين أهلِ الخيرِ؛ ليكتسبَ من أدبِهم، وتأديبِهم، ولينشَأَ علىٰ صلاحِهم وإصلاحِهم، كما امتنَّ اللهُ علىٰ مريمَ في قولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ [آل عمران: ٣٧] إلىٰ آخرِ قصَّتِها.

ومِن ذلك إذا نشأَ بين أبوينِ صالحَيْنِ وأقارِبَ أتقياءَ، أو في بلدِ صلاحٍ، أو وفَّقَه اللهُ لمقارنةِ أهلِ الخيرِ وصحبتِهم، أو لتربيةِ العلماءِ الربَّانيِّينَ، فإنَّ هذا من أعظمِ لطفِهِ بعبدِهِ؛ فإنَّ صلاحَ العبدِ موقوفٌ علىٰ أسبابٍ كثيرةٍ، منها - بل من

أكثرِها وأعظمِها نفعًا - هذه الحالةُ.

ومن ذلك إذا نشأَ العبدُ في بلدٍ أهلُه على مذهبِ أهلِ السنَّةِ والجماعةِ؛ فإن هذا لطفٌ له، وكذلك إذا قدَّرَ اللهُ أن يكونَ مشايخُه الذين يستفيدُ منهم - الأحياءُ منهم والأمواتُ - أهلَ سنَّةٍ وتُقًى؛ فإنَّ هذا من اللطفِ الربَّانِيِّ.

ولا يخفَىٰ لطفُ البارِي في وجودِ شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أثناءِ قرونِ هذه الأمَّةِ، وتَبيينُ اللهِ به وبتلامذَتِهِ من الخيرِ الكثيرِ والعلْمِ الغزيرِ، وجهادِ أهلِ البدعِ والتعطيلِ والكفرِ، ثم انتشارُ كتبِهِ في هذه الأوقاتِ؛ فلا شكَّ أن هذا من لطفِ اللهِ لمن انتفعَ بها، وأنه يتوقَّفُ خيرٌ كثيرٌ علىٰ وجودِها، فلله الحمدُ والمنَّةُ والفضلُ.

ومِنْ لطفِ اللهِ بعبدِهِ أن يجعلَ رزقَهُ حلالًا في راحةٍ وقناعةٍ؛ يحصلُ به المقصودُ، ولا يشغلُه عمَّا خُلقَ له من العبادةِ والعلمِ والعملِ، بلْ يعينُه علىٰ ذلك ويفرِّغُه، ويريحُ خاطرَه وأعضاءَه؛ ولهذا من لطفِ اللهِ تَعَالَىٰ لعبدِهِ أنه ربَّما طَمَحَتْ نفسُه لسببٍ من الأسبابِ الدنيويَّةِ التي يظنُّ فيها إدراكَ بُغيتِهِ، فيعلمُ اللهُ تَعَالَىٰ أنها تضرُّه وتصدُّه عمَّا ينفعُه، فيحولُ بينه وبينها، فيظلُّ العبدُ كارهًا ولم يدرِ أنَّ ربَّه قد لطفَ به حيثُ أبقَىٰ له الأمرَ النافعَ، وصرفَ عنه الأمرَ الضارَّ؛ ولهذا كان الرضا بالقضاءِ في مثلِ هذِهِ الأشياءِ من أعلَىٰ المنازلِ.

ومن لطفِ اللهِ بعبدِهِ إذا قدَّرَ له طاعةً جليلةً لا تُنالُ إلا بأعوانٍ؛ أن يقدِّرَ له أعوانًا عليها ومساعدِينَ علىٰ حملِهَا؛ قَالَ موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ

أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [طه: ٢٩-٣٤].

وكذلك امتنَّ على عيسى بقولِهِ: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].

وامتنَّ على سيِّدِ الخلْقِ في قولِهِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢].

وهذا لطفٌ لعبدِهِ خارجٌ عن قدرَتِهِ.

ومن هذا لطفُ اللهِ بالهادِينَ إذا قيَّضَ اللهُ مَن يهتدِي بهُداهُم ويقبلُ إرشادَهم؛ فتتضاعَفُ بذلك الخيراتُ والأجورُ التي لا يدركُها العبدُ بمجرَّدِ فعلِهِ، بل هي مشروطةٌ بأمرٍ خارجيٍّ.

ومن لطفِ اللهِ بعبدِهِ أن يعطِيَ عبدَهُ من الأولادِ، والأموالِ، والأزواجِ؛ ما به تقرُّ عينُه في الدنيا، ويحصلُ له السرورُ، ثم يبتلِيَهِ ببعضِ ذلك ويأخذَهُ، ويعوِّضَه عليه الأجرَ العظيمَ إذا صبرَ واحتسبَ؛ فنعمةُ اللهِ عليه بأخذِهِ على هذا الوجهِ أعظمُ من نعمتِهِ عليه في وجودِهِ وقضاءِ مجرَّدِ وَطَرِهِ الدنيويِّ منه، وهذا أيضًا خيرٌ وأجرٌ خارجٌ عن أحوالِ العبدِ بنفسِهِ، بل هو لطفٌ من اللهِ له؛ قيَّضَ له أسبابًا أعاضَهُ عليها الثوابَ الجزيلَ والأجرَ الجميلَ.

ومن لطفِ اللهِ بعبدِهِ أن يبتلِيَهُ ببعضِ المصائبِ، فيوفِّقَهُ للقيامِ بوظيفةِ الصبْرِ فيها؛ فيُنِيلَهُ درجاتٍ عاليةً لا يُدركُها بعملِهِ، وقد يشدِّدُ عليه الابتلاءَ بذلك، كما فعلَ بأيوبَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ويوجِدُ في قلبِهِ حلاوةَ روحِ الرجاءِ وتأميلِ الرحمةِ

وكشفِ الضرِّ؛ فيخفُّ ألمُه وتنشَطُ نفسُه. ولهذا من لطفِ اللهِ بالمؤمنِينَ أنْ جعلَ في قلوبِهم احتسابَ الأجرِ؛ فخفَّتْ مصائبُهُم، وهانَ ما يلقَونَ من المشاقِّ في حصولِ مرضاتِهِ.

ومن لطفِ اللهِ بعبدِهِ المؤمنِ الضعيفِ أن يعافِيَه من أسبابِ الابتلاءِ التي تُضعِفُ إيمانَه وتُنقِصُ إيقانَهُ.

كما أن من لطفِهِ بالمؤمنِ القويِّ تهيئةَ أسبابِ الابتلاءِ والامتحانِ، ويعينُه عليها ويحملُها عنه، ويزدادُ بذلك إيمانُه ويعظمُ أجرُه؛ فسبحانَ اللطيفُ في ابتلائِهِ وعافيتِهِ وعطائِهِ ومنعِهِ.

ومن لطفِ اللهِ بعبدِهِ أن يسعَىٰ لكمالِ نفسِهِ مع أقربِ طريقٍ يوصلُه إلىٰ ذلك، مع وجودِ غيرِها من الطرقِ التي تبعدُ عليه، فييسرَ عليه التعلُّمَ من كتابٍ أو معلمٍ يكونُ حصولُ المقصودِ به أقربَ وأسهلَ، وكذلك ييسرَهُ لعبادةٍ يفعلُها بحالةِ اليسرِ والسهولةِ وعدمِ التعويقِ عن غيرِها ممَّا ينفعُه؛ فهذا مِنَ اللطفِ.

ومن لطفِ اللهِ بعبدِهِ قدَّرَ الوارداتِ الكثيرةَ، والأشغالَ المتنوعةَ، والتدبيراتِ والمتعلقاتِ الداخلةَ والخارجةَ التي لو قسمَتْ علىٰ أمَّةٍ من الناسِ لعجزَتْ قوَاهُم عليها؛ أن يمنَّ عليه بخُلُقٍ واسِعٍ وصدْرٍ متَّسِعٍ، وقلْبٍ منشرِحٍ؛ بحيثُ يعطِي كلَّ فردٍ من أفرادِها نظرًا ثاقبًا وتدبيرًا تامًّا، وهو غيرُ مكترثٍ ولا منزعجٍ لكثرَتِها وتفاوتِهَا، بل قد أعانَه اللهُ تَعَالَىٰ عليها، ولطَفَ بِهِ فيها، ولطَفَ له في تسهيلِ أسبابِها وطرقِها.

وإذا أردتَ أن تعرفَ هذا الأمرَ؛ فانظرْ إلىٰ حالةِ المصطفَىٰ ﷺ، الذي بعثَهُ اللهُ بصلاحِ الدارَيْنِ وحصولِ السعادتَيْنِ، وبعثَهُ مكمِّلًا لنفسِهِ ومكمِّلًا لأمَّةٍ عظيمةٍ هي خيرُ الأممِ، ومع هذا مكَّنَه اللهُ ببعضِ عمرِه الشريفِ، في نحوِ ثُلُثِ عمرِهِ؛ أن يقومَ بأمرِ اللهِ كلِّه علىٰ كثرتِه وتنوعِه، وأن يُقيمَ لأمَّتِهِ جميعَ دينِهم ويعلِّمَهم جميعَ أصولِه وفروعِه، ويخرجَ اللهُ به أمَّةً كبيرةً من الظلماتِ إلىٰ النورِ، ويحصلَ به من المصالِحِ والمنافعِ والخيرِ والسعادةِ للخاصِّ والعامِّ ما لا تقومُ به أمةٌ من الخلقِ.

ومن لطفِ اللهِ تَعَالَىٰ بعبدِهِ أن يجعلَ ما يبتلِيهِ به من المعاصِي سببًا لرحمتِهِ، فيفتحَ له عنْدَ وقوعِ ذلك بابَ التوبةِ والتضرُّعِ والابتهالِ إلىٰ ربِّه، وازدراءِ نفسِهِ واحتقارِها وزوالِ العُجْبِ والكِبْرِ من قلبِهِ؛ ما هو خيرٌ له من كثيرٍ من الطاعاتِ.

ومن لطفِهِ بعبدِهِ الحبيبِ عندَهُ إذا مالَتْ نفسُهُ مع شهواتِ النفسِ الضارَّةِ واستَرْسَلَتْ في ذلك؛ أنْ ينقصَها عليه ويكدِّرَها، فلا يكادُ يتناولُ منها شيئًا إلَّا مقرونًا بالمكدِّراتِ محشوًّا بالغُصَصِ؛ لئلَّا يميلَ معها كلَّ الميلِ، كما أنَّ من لطفِهِ به أنْ يُلذِّذَ له التقرباتِ ويحلِّيَ له الطاعاتِ، ليميلَ إليها كلَّ الميلِ.

ومن لطيفِ لطفِ اللهِ بعبدِهِ أنْ يأجرَهُ علىٰ أعمالٍ لم يعملْها، بل عزَمَ عليها، فيعزمُ علىٰ قربةٍ من القُربِ، ثم تَنْحَلُّ عزيمَتُهُ لسببٍ من الأسبابِ فلا يفعلُها، فيحصلُ له أجرُها؛ فانظرْ كَيْفَ لطفَ اللهُ به فأوقعَها في قلبِهِ وأدارَهَا في ضميرِهِ، وقد علمَ تَعَالَىٰ أنه لا يفعلُها؛ سوقًا لبِرِّهِ لعبدِهِ وإحسانِه بِكلِّ طريقٍ.

وألطفُ من ذلك أن يقيِّضَ لعبدِهِ طاعةً أخرَىٰ غير التي عزمَ عليها هي أنفعُ له منها؛ فيدعَ العبدُ الطاعةَ التي تُرضِي ربَّه لطاعةٍ أُخرىٰ هي أرضَىٰ للهِ منها، فتحصلَ له المفعولةُ بالفعلِ والمعزومُ عليها بالنيَّةِ، وإذا كانَ من يهاجِرُ إلىٰ اللهِ ورسولِهِ، ثم يدركُهُ الموتُ قبل حصولِ مقصودِهِ قد وقَعَ أجرُهُ علىٰ اللهِ، مع أنَّ قطعَ الموتِ بغيرِ اختيارِهِ، فكيفَ بمن قطعَتْ عليه نيَّتُه الفاضِلَةُ طاعةً قد عَزَمَ علىٰ فعلِها؟!

وربما أدارَ اللهُ في ضميرِ عبدِهِ عدَّةَ طاعاتٍ، كلُّ طاعةٍ لو انفردَتْ لفعلَهَا العبدُ لكمالِ رغبتِهِ، ولا يمكنُ فعلُ شيءٍ منها إلا بتفويتِ الأُخرىٰ؛ فيوفِّقُه للموازنةِ بينها، وإيثارِ أفضلِها فعلًا، مع رجاءِ حصولِها جميعِها عزمًا ونيَّةً.

وألطفُ من هذا أن يقدِّرَ تَعَالَىٰ لعبدِهِ ويبتلِيَه بوجودِ أسبابِ المعصيةِ، ويوفِّرَ له دواعِيها، وهو تَعَالَىٰ يعلمُ أنَّه لا يفعلُها؛ ليكونَ تركُه لتلكِ المعصيةِ التي توفَّرَتْ أسبابُ فعلِها من أكبَرِ الطاعاتِ.

كما لطَفَ بيوسُفَ عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ في مراودةِ المرأةِ، وأحدُ السبعةِ الذين يظلُّهم اللهُ في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه: «**رجلٌ دعتْهُ امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ؛ فقال: إني أخافُ اللهَ ربَّ العالمِين**»[1].

ومن لطفِ اللهِ بعبدِهِ أنْ يقدِّرَ خيرًا وإحسانًا من عبدِهِ، ويجريَهُ علىٰ يدِ عبدِهِ الآخرِ، ويجعلَه طريقًا إلىٰ وصولِهِ إلىٰ المستحقِّ؛ فيثيبَ اللهُ الأولَ والآخرَ.

---

(١) متفق عليه.

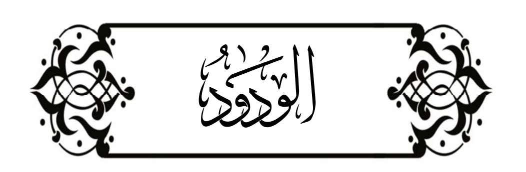
ومن لطفِ اللهِ بعبدِهِ أنْ يجريَ بشيءٍ من مالِهِ شيئًا من النفعِ وخيرًا لغيرِهِ، فيثيبَهُ من حيثُ لا يحتسبُ؛ فمن غَرَسَ غرسًا أو زَرَعَ زرعًا، فأصابتْ منه روحٌ من الأرواحِ المحترمةِ شيئًا؛ آجرَ اللهُ صاحبَهُ وهو لا يدري، خصوصًا إذا كانت عنده نيَّةٌ حسنةٌ، وعقَدَ مع ربِّه عقدًا في أنه مهما ترتَّبَ علىٰ مالِهِ شيءٌ من النفعِ؛ فأسألُكَ يا ربِّ أن تَأْجُرَنِي وتجعلَهُ قُربةً لي عندك.

وكذلك لو كانَ له بهائمُ انتُفِعَ بدرِّها وركوبِها والحمْلِ عليها، أو مساكنُ انتُفِعَ بسُكنَاها ولو شيئًا قليلًا، أو ماعونٌ ونحوه انتُفِعَ به، أو عينٌ شُرِبَ منها، وغيرُ ذلك؛ ككِتابٍ انتُفِعَ به في تعلُّمِ شيءٍ منه، أو مصحفٍ قُرِئَ فيه، واللهُ ذو الفضلِ العظيمِ.

ومن لطفِ اللهِ بعبدِهِ أن يفتحَ له بابًا من أبوابِ الخيرِ لم يكنْ له علىٰ بالٍ، وليس ذلك لقلَّةِ رغبتِهِ فيه، وإنَّما هو غفلةٌ منه وذهولٌ عن ذلك الطريقِ، فلم يشعرْ إلا وقدْ وجدَ في قلبِهِ الداعيَ إليه، والملفِتَ إليه؛ ففرحَ بذلك، وعرَفَ أنها من ألطافِ سيِّدِهِ وطرقِهِ التي قيَّضَ وصولَهَا إليه، فصرَفَ لها ضميرَهُ ووجَّهَ إليها فكرَهُ، وأدرَكَ منها ما شاءَ اللهُ»[١].

***

(١) «تفسيرُ السعديِّ» (صحيفةُ: ٢٢٧).



الدليلُ مِنَ القرآنِ الكريمِ:

قولُه تَعَالَىٰ: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ **وَدُودٞ**﴾ [هود: ٩٠].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿**وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ**﴾ [البروج: ١٤].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ **سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا**﴾ [مرْيمُ: ٩٦].

فِي معناهُ «قَولَانِ:

أَحدهُمَا: أَنه بِمَعْنىٰ (فَاعلٍ)؛ وَهُوَ الَّذِي يحبُّ أنبياءَه وَرُسُلَه وأولياءَه وعبادَه الْمُؤمنِينَ.

وَالثَّانِي: أَنه بِمَعْنىٰ (مَوْدُودٍ)؛ وَهُوَ المحبوبُ الَّذِي يسْتَحقُّ أَن يُحبَّ الْحبَّ كُلَّه، وَأَن يكون أحبَّ إِلَىٰ العَبْدِ من سَمعِهِ وبصرِهِ، وَجَمِيعِ محبوباتِهِ»(١).

قَالَ العلامةُ ابنُ قيِّمِ الجوزيَّةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الكَافِيَةِ الشَّافِيَةِ»:

3310- وُهُوَ الوَدُودُ يحبُّهم ويحِبُّهُ ... أَحبابُهُ والفَضْلُ للمنَّانِ

3311- وهَذَا الذي جعلَ المحبَّةَ في قلو ... بِهِم وجَازَاهُمْ بحُبٍّ ثانِ

(١) «جلاءُ الأفهامِ» (صحيفةُ: ٣١٥).

ومتىٰ «ظَهَرَ [للعبدِ] اسْمُ «الْوَدُودِ» - مَثَلًا -، وَكُشِفَ لَهُ عَنْ مَعَانِي هَذَا الِاسْمِ، وَلُطْفِهِ، وَتَعَلُّقِهِ بِظَاهِرِ الْعَبْدِ وَبَاطِنِهِ؛ كَانَ الْحَالُ الْحَاصِلُ لَهُ مِنْ حَضْرَةِ هَذَا الِاسْمِ مُنَاسِبًا لَهُ؛ فَكَانَ حَالَ اشْتِغَالِ حُبٍّ وَشَوْقٍ، وَلَذَّةِ مُنَاجَاةٍ، لَا أَحْلَىٰ مِنْهَا وَلَا أَطْيَبَ، بِحَسَبِ اسْتِغْرَاقِهِ فِي شُهُودِ مَعْنَىٰ هَذَا الِاسْمِ، وَحَظِّهِ مِنْ أَثَرِهِ.

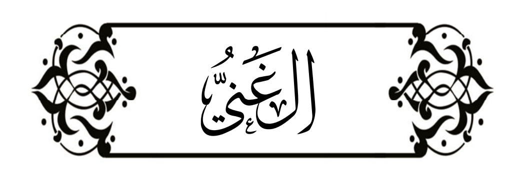
فَإِنَّ «الْوَدُودَ» وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَىٰ الْمَوْدُودِ، كَمَا قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»: «الْوَدُودُ: الْحَبِيبُ»، وَاسْتِغْرَاقُ الْعَبْدِ فِي مُطَالَعَةِ صِفَاتِ الْكَمَالِ الَّتِي تَدْعُو الْعَبْدَ إِلَىٰ حُبِّ الْمَوْصُوفِ بِهَا؛ أَثْمَرَ لَهُ صَفَاءَ عِلْمِهِ بِهَا، وَصَفَاءَ حَالِهِ فِي تَعَبُّدِهِ بِمُقْتَضَاهَا: مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ وَغَيْرِهَا.

وَكَذَلِكَ إِنْ كَانَ اسْمُ فَاعِلٍ بِمَعْنَىٰ الْوَادِّ؛ وَهُوَ الْمُحِبُّ: أَثْمَرَتْ لَهُ مُطَالَعَةُ ذَلِكَ حَالًا تُنَاسِبُهُ.

فَإِنَّهُ إِذَا شَاهَدَ بِقَلْبِهِ غَنِيًّا كَرِيمًا جَوَادًا، عَزِيزًا قَادِرًا، كُلُّ أَحَدٍ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ بِالذَّاتِ. وَهُوَ غَنِيٌّ بِالذَّاتِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَهُوَ - مَعَ ذَلِكَ - يَوَدُّ عِبَادَهُ وَيُحِبُّهُمْ، وَيَتَوَدَّدُ إِلَيْهِمْ بِإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ وَتَفَضُّلِهِ عَلَيْهِمْ؛ كَانَ لَهُ مِنْ هَذَا الشُّهُودِ حَالَةٌ صَافِيَةٌ خَالِصَةٌ مِنَ الشَّوَائِبِ»[1].

---

(١) «مدارجُ السالكِينَ» (٢/ ١٤٢).



الدليلُ مِنَ القرآنِ:

قولُه تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٢٨].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٨].

الْغَنِيُّ: «عَن الْخلقِ بقدرتِهِ وَعِزِّ سُلْطَانِهِ، والخَلْقُ فُقَرَاءُ إِلَىٰ تطولِهِ وإحسانِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمَّد: ٣٨]»[1].

فعبادةُ العابدِينَ لهم لا له؛ فهو غنيٌّ عن خلقِهِ، وخلقُهُ مفتقِرُونَ إليه؛ قَالَ تَعَالَىٰ: «﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧].

وقَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلِّتْ: ٤٦].

وقَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

وقَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

---

(١) «تفسيرُ الأسماءِ الحسنَىٰ» (صحيفةُ: ٦٣).

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي قِصَّةِ مُوسَىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ٨﴾ [إبراهيم: ٧، ٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ﴾ [آل عمران: ١٧٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وَقَدْ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ الْمَانُّ بِالْعَمَلِ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾ [الحجرات: ٧، ٨].

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الْإِلَهِيِّ: «يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي. يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا وَلَا أُبَالِي؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَتْقَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ؛ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ

وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مَسْأَلَتَهُ؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ».

وَبَيْنَ الْخَالِقِ تَعَالَىٰ وَالْمَخْلُوقِ مِنَ الْفُرُوقِ مَا لَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ مَنْ لَهُ أَدْنَىٰ بَصِيرَةٍ.

مِنْهَا: أَنَّ الرَّبَّ تَعَالَىٰ غَنِيٌّ بِنَفْسِهِ عَمَّا سِوَاهُ، وَيَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ مُفْتَقِرًا إِلَىٰ غَيْرِهِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، وَالْمُلُوكُ وَسَادَةُ الْعَبِيدِ مُحْتَاجُونَ إِلَىٰ غَيْرِهِمْ حَاجَةً ضَرُورِيَّةً.

وَمِنْهَا: أَنَّ الرَّبَّ تَعَالَىٰ وَإِنْ كَانَ يُحِبُّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، وَيَرْضَىٰ وَيَفْرَحُ بِتَوْبَةِ التَّائِبِينَ؛ فَهُوَ الَّذِي يَخْلُقُ ذَلِكَ وَيُيَسِّرُهُ، فَلَمْ يَحْصُلْ مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ إِلَّا بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ - وَهَذَا ظَاهِرٌ عَلَىٰ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الَّذِينَ يُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْمُنْعِمُ عَلَىٰ عِبَادِهِ بِالْإِيمَانِ بِخِلَافِ الْقَدَرِيَّةِ -، وَالْمَخْلُوقُ قَدْ يَحْصُلُ لَهُ مَا يُحِبُّهُ بِفِعْلِ غَيْرِهِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الرَّبَّ تَعَالَىٰ أَمَرَ الْعِبَادَ بِمَا يُصْلِحُهُمْ وَنَهَاهُمْ عَمَّا يُفْسِدُهُمْ؛ كَمَا قَالَ قتادةُ: «إِنَّ اللهَ لَمْ يَأْمُرِ الْعِبَادَ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ لِحَاجَتِهِ إِلَيْهِمْ، وَلَا يَنْهَاهُمْ عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ بُخْلًا عَلَيْهِمْ؛ بَلْ أَمَرَهُمْ بِمَا يَنْفَعُهُمْ، وَنَهَاهُمْ عَمَّا يَضُرُّهُمْ». بِخِلَافِ الْمَخْلُوقِ الَّذِي يَأْمُرُ غَيْرَهُ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَيَنْهَاهُ عَمَّا يَنْهَاهُ بُخْلًا عَلَيْهِ»[1].

قَالَ العلَّامةُ السعديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

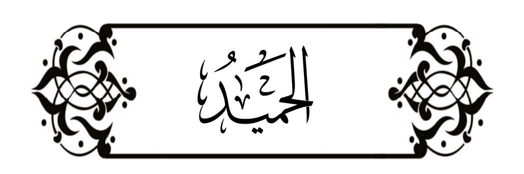
«فهو الغنيُّ بذاتِهِ، الذي له الغنَىٰ التامُّ المطلَقُ، من جميعِ الوجوهِ والاعتباراتِ؛ لكمالِهِ وكمالِ صفاتِهِ، فلا يتطرَّقُ إليها نقصٌ بوجهٍ من الوجوهِ، ولا يمكنُ أنْ

(١) «مجموعُ الفتاوَىٰ» (١/ ٢١٤).

يكون إلا غنيًّا؛ لأنَّ غناه من لوازمِ ذاتِهِ، كما لا يكون إلا خالِقًا، قادرًا، رازقًا، محسِنًا، فلا يحتاجُ إلىٰ أحدٍ بوجهٍ من الوجوهِ؛ فهو الغنيُّ، الذي بيدِهِ خزائنُ السمواتِ والأرضِ، وخزائنُ الدُّنيَا والآخرَةِ، المغنِي جميعَ خلقِهِ غنًىٰ عامًّا، والمغنِي لخواصِّ خلقِهِ بما أفاضَ علىٰ قلوبِهم من المعارِفِ الربانيَّةِ والحقائقِ الإيمانيةِ»(١).

---

(١) «تفسيرُ السعديِّ» (صحيفةُ: ٩٤٨).



الدليلُ مِنَ القرآنِ:

قَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الحج: ٦٤].

وقَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورىٰ: ٢٨].

الحَمِيدُ: «هو المَحْمُودُ الذِي اسْتَحَقَّ الحَمْدَ بِفِعَالِهِ، وَهوَ «فَعِيلٌ» بِمَعْنَىٰ «مَفْعولٍ»، وَهُوَ الذِي يُحمَدُ في السَّراءِ والضَّرَّاءِ، وَفي الشِّدَّةِ والرَّخَاءِ؛ لأنه حَكِيمٌ لَا يَجْرِي في أفْعَالِهِ الغَلَطُ، وَلَا يعتَرِضُهُ الخطأُ؛ فهو محمودٌ علىٰ كلِّ حَالٍ»(١).

قَالَ العلَّامةُ ابنُ قيِّمِ الجوزيَّةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**الحميدُ:** هُوَ الَّذِي لَهُ من الصِّفَاتِ وَأَسْبَابِ الْحَمدِ مَا يَقْتَضِي أَن يكونَ مَحْمُودًا وَإِن لم يحمدْهُ غَيرُهُ؛ فَهُوَ حميدٌ فِي نَفسِهِ، والمحمودُ من تعلَّقَ بِهِ حمدُ الحامِدِينَ»(٢).

3251- وَهُوَ الحمِيدُ فكلُّ حمدٍ واقعٍ ... أَوْ كانَ مفروضًا مدَىٰ الأزمانِ

---

(١) «شأنُ الدعاءِ» (صحيفةُ: ٧٨).

(٢) «جلاءُ الأفهامِ» (صحيفةُ: ٣١٦).

3252- مَلَأَ الوجودَ جميعَهُ ونظيرَهُ ... مِنْ غيرِ ما عدٍّ ولا حُسْبَانِ

3253- هو أهلُه سُبحانَه وبحمدِهِ ... كلُّ المحامدِ وصفُ ذي الإِحْسَانِ[1]

(١) «الكافِيةُ الشافِيةُ».



المجيد

الدليلُ مِنَ القرآنِ:

قولُه تعالَىٰ: ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾ [هود: ٧٣].

وقولُهُ تعالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [البروج: ١٤، ١٥].

المَجِيدُ: هو «وَاسعُ الكرَمِ، وأصلُ المَجْدِ في كَلامِهِمْ: السَّعَةُ. يُقالُ: رَجُلٌ مَاجِدٌ؛ إذا كانَ سخِيًّا واسِعَ العطَاءِ»[١].

قَالَ ابنُ قيِّمِ الجوزيَّةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

3240- وَهُوَ المَجِيدُ صِفَاتُهُ أَوْصَافُ تَعْـ ـظِيمٍ فَشَأْنُ الوَصْفِ أعْظَمُ شَانِ[٢]

فاللهُ «سُبْحَانَهُ الْحَمِيدُ الْمَجِيدُ، وَحَمْدُهُ وَمَجْدُهُ يَقْتَضِيَانِ آثَارَهُمَا.

وَمِنْ آثَارِهِمَا: مَغْفِرَةُ الزَّلَّاتِ، وَإِقَالَةُ الْعَثَرَاتِ، وَالْعَفْوُ عَنِ السَّيِّئَاتِ، وَالْمُسَامَحَةُ عَلَىٰ الْجِنَايَاتِ، مَعَ كَمَالِ الْقُدْرَةِ عَلَىٰ اسْتِيفَاءِ الْحَقِّ، وَالْعِلْمِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ بِالْجِنَايَةِ وَمِقْدَارِ عُقُوبَتِهَا، فَحِلْمُهُ بَعْدَ عِلْمِهِ، وَعَفْوُهُ بَعْدَ قُدْرَتِهِ، وَمَغْفِرَتُهُ عَنْ كَمَالِ عِزَّتِهِ وَحِكْمَتِهِ، كَمَا قَالَ الْمَسِيحُ ﷺ: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ

---

(١) «شأنُ الدعاءِ» (صحيفةُ: ٧٤).

(٢) «الكافيةُ الشافيةُ».

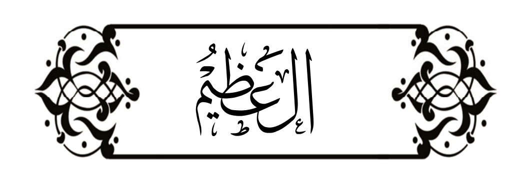
فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨]؛ أَيْ: فَمَغْفِرَتُكَ عَنْ كَمَالِ قُدْرَتِكَ وَحِكْمَتِكَ، لَسْتَ كَمَنْ يَغْفِرُ عَجْزًا، وَيُسَامِحُ جَهْلًا بِقَدْرِ الْحَقِّ؛ بَلْ أَنْتَ عَلِيمٌ بِحَقِّكَ، قَادِرٌ عَلَىٰ اسْتِيفَائِهِ، حَكِيمٌ فِي الْأَخْذِ بِهِ.

فَمَنْ تَأَمَّلَ سَرَيَانَ آثَارِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ فِي الْعَالَمِ، وَفِي الْأَمْرِ؛ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ مَصْدَرَ قَضَاءِ هَذِهِ الْجِنَايَاتِ مِنَ الْعَبِيدِ، وَتَقْدِيرَهَا: هُوَ مِنْ كَمَالِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ.

وَغَايَاتِهَا أَيْضًا: مُقْتَضَىٰ حَمْدِهِ وَمَجْدِهِ، كَمَا هُوَ مُقْتَضَىٰ رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ»(١).

---

(١) «مدارجُ السالكينَ» (١/ ٤٢٠).



الدليلُ مِنَ القرآنِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الشورىٰ: ٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحاقَّة: ٣٣].

ووصفَ عرشَهُ جَلَّوَعَلَا **بالعِظَمِ؛ فقالَ** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

ووصفَ فضلَهُ علىٰ عبادِهِ الصالحِينَ بالعِظَمِ؛ فقالَ سُبحانَه: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥].

ووصَفَ خزيَهُ للمجرِمينَ كذلك بالعِظَمِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٦٣].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «**أَعُوذُ بِاللهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**».

قَالَ: أَقَطْ؟

قُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ: «فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ؛ قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ»(١).

فاللهُ سُبحانَه مستحقٌّ للتعظيمِ، وله كمالُ العظمةِ والكبرياءِ، فعنْدَ أبي داودَ - بإسنادٍ صحيحٍ -، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«**قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا؛ قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**».

فلا يستحقُّ أحدٌ أن يُخْضَعَ له ويُذلَّ لجنابِهِ ويُناخَ عنْدَ بابِهِ سوَاهُ، ومِن شعائرِ التعظيمِ لهُ: الركوعُ والسجودُ؛ وهو مختصٌّ بهما لا يُصْرَفَا لغيرِهِ، ومن ذلك أنَّه لا يُقْسَمُ إلا به، ومن ذلك أن تُتَّقَىٰ محارمُهُ تعظيمًا له، وامتثالًا لأمرِهِ، وخضوعًا لشرعتِهِ وملَّتِهِ، ومن ذلك ألا يعترضَ علىٰ قضائِهِ وقدرِهِ - سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ -.

❁❁❁

---

(١) **حديثٌ صحيحٌ**: أخرجَهُ أبُو داودَ في «سننِهِ» (١/ ١٢٧) (رقمَ: ٤٤٦).



الوَاحِدُ الأَحَدُ الصَّمَدُ

الدليلُ مِنَ القرآنِ:

قولُه تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

قَالَ العلَّامةُ السعديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

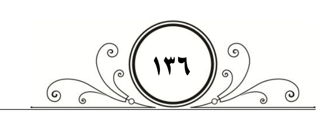
«**«الواحدُ، الأحدُ»**: وهو الذي توحَّدَ بجميعِ الكمالاتِ؛ بحيثُ لا يشاركُهُ فيها مشاركٌ، ويجبُ علىٰ العبيدِ توحيدُهُ، عقلًا وقولًا وعملًا؛ بأن يعترفُوا بكمالِهِ المطْلَقِ، وتفرُّدِهِ بالوحدانيَّةِ، ويفردُوهُ بأنواعِ العبادةِ»[1].

و«**«الصمدُ»**: وهو الذي تقصدُهُ الخلائِقُ كلُّها في جميعِ حاجاتِهَا، وضروراتِها وأحوالِها؛ لما له من الكمالِ المطْلَقِ في ذاتِهِ، وأسمائِهِ، وصفاتِهِ، وأفعالِهِ»[2].

وَقالَ الزجاجيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**«الواحدُ»**: الفَرْدُ الذي لا ثانِيَ لَهُ من العدَدِ؛ كقولِكَ - إذَا قصدْتَ العدَدَ -:

(١، ٢) «تفسيرُ السعديِّ» (صحيفةُ: ٩٤٥).



الواحدُ والثانِي والثالِثُ والرابعُ، وما أشبهَ ذلِكَ. فاللهُ عَزَّوَجَلَّ الواحدُ الأوَّلُ الأحَدُ، الذي لا ثانِيَ له ولا شريكَ ولا مِثْلَ ولا نظيرَ، لم يسبقْهُ في أوَّليتِهِ شيءٌ، عَزَّوَجَلَّ عمَّا يقولُ الظالمُونَ علوًّا كبيرًا»(١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ [النحل: ٥١].

وَقالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [البقرة: ١٦٣].

فاللهُ واحدٌ في ذاتِهِ وفي صفاتِهِ وأفعالِهِ، ومن عجيبِ ما تكلَّمَ به المشركُونَ أنَّهم خوَّفُوا رُسَلَ اللهِ الآلهةَ المتعدِّدَةَ!

وقدْ ذَكَرَ اللهُ خِطابَ إبراهيمَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ؛ فقالَ:

﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام: ٨٠-٨٢].

فاللهُ إلهُ الحقِّ واحدٌ في ذاتِه وصفاتِه وأفعالِه؛ لذلك لا يُصرفُ لغيرِهِ ممَّا يستحقُّ الانفرادَ بِهِ شيءٌ.

---

(١) «اشتقاقُ أسماءِ اللهِ» (صحيفةُ: ٩٠).

قَالَ العلَّامةُ ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيرِهِ سورةَ الإخلاصِ:

«**قَالَ عِكْرِمَةُ**: لَمَّا قَالَتِ الْيَهُودُ: نَحْنُ نعبدُ عُزيرَ ابْنَ اللهِ.

وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ: نَحْنُ نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ.

وَقَالَتِ الْمَجُوسُ: نَحْنُ نَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ.

وَقَالَتِ الْمُشْرِكُونَ: نَحْنُ نَعْبُدُ الْأَوْثَانَ! أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ [الإخلاص: ١].

يَعْنِي: هُوَ **الْوَاحِدُ الْأَحَدُ**: الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا وَزِيرَ، وَلَا نَدِيدَ وَلَا شَبِيهَ وَلَا عَدِيلَ، وَلَا يُطلَقُ هَذَا اللَّفْظُ عَلَىٰ أَحَدٍ فِي الْإِثْبَاتِ إِلَّا عَلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ؛ لِأَنَّهُ الْكَامِلُ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ»(١).

قَالَ شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وهذان الاسمانِ «الأحدُ والصمَدُ» لم يذكرْهما اللهُ إلا في هذِهِ السورةِ، وهما يَنْفِيانِ عن اللهِ ما هو منزَّهٌ عنه من التشبيهِ والتمثيلِ، ومن التركيبِ والانقسامِ والتجسيمِ؛ فإن اسمَه «الأحدَ» ينفي المِثْلَ والنظيرَ؛ كما تقدَّمَ الكلامُ علىٰ ذلك في أدلَّتِهِ السمعيَّةِ.

وبيَّنَّا أن «الأحدَ» في أسماءِ اللهِ ينفي عنه أن يكونَ له مثْلٌ في شيءٍ من الأشياءِ؛ فهو أحدٌ في كلِّ ما هو له، واسمَهُ «الصمَدَ» ينفي عنه التفرُّقَ والانقسامَ والتمزُّقَ، وما يتبعُ ذلك من تركيبٍ ونحوِهِ؛ فإنَّ اسمَ «الصمدِ» يدلُّ علىٰ

(١) «تفسيرُ القرآنِ العظيمِ» (٨/ ٥٢٧) للعلَّامَةِ ابنِ كثيرٍ - بتصرُّفٍ -.

الاجتماعِ، وكذلك كلُّ واحدٍ من معنيَيْهِ اللذَيْن يتناولُهما هذا الاسمُ»[1].

وفي بيانِ معنى اسمِ اللهِ «الصمدِ» يقولُ العلاَّمةُ ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**وَقَوْلُهُ:** ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ٢]؛ قَالَ عِكْرِمَةُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: يَعْنِي الَّذِي يَصْمُدُ الْخَلَائِقُ إِلَيْهِ فِي حَوَائِجِهِمْ وَمَسَائِلِهِمْ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:

«هُوَ السَّيِّدُ؛ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي سُؤْدُدِهِ، وَالشَّرِيفُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي شَرَفِهِ، وَالْعَظِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي عَظَمَتِهِ، وَالْحَلِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حِلْمِهِ، وَالْعَلِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي عِلْمِهِ، وَالْحَكِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حِكْمَتِهِ، وَهُوَ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي أَنْوَاعِ الشَّرَفِ وَالسُّؤْدُدِ، وَهُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ، هَذِهِ صِفَتُهُ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لَهُ، لَيْسَ لَهُ كُفْءٌ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، سُبْحَانَ اللهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ».

وَعَنْ أَبِي وَائِلٍ: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾؛ السَّيِّدُ الَّذِي قَدِ انْتَهَىٰ سُؤْدُدُهُ. وَرَوَاهُ عاصمٌ، عن أَبِي وَائِلٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، مِثْلَهُ.

وَقَالَ مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾؛ السَّيِّدُ.

وَقَالَ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ: هُوَ الْبَاقِي بَعْدَ خَلْقِهِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ - أَيْضًا -: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾؛ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الَّذِي لَا زَوَالَ لَهُ.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾؛ الَّذِي لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَا يُطْعَمُ.

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: هُوَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ.

---

(١) «بيانُ تلبيسِ الجهميةِ» (٣/ ٤٦١).

كَأَنَّهُ جَعَلَ مَا بَعْدَهُ تَفْسِيرًا لَهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣]؛ وَهُوَ تَفْسِيرٌ جَيِّدٌ.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، وَمُجَاهِدٌ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ بُرِيدَةَ، وَعِكْرِمَةُ أَيْضًا، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَعَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، وَعَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ، وَالضَّحَّاكُ، وَالسُّدِّيُّ: ﴿الصَّمَدُ﴾؛ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ.

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: هُوَ الَّذِي لَا يَأْكُلُ الطَّعَامَ، وَلَا يَشْرَبُ الشَّرَابَ.

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ بُرَيدةَ - أَيْضًا -: ﴿الصَّمَدُ﴾؛ نُورٌ يَتَلَأْلَأُ.

رَوَىٰ ذَلِكَ كلَّه وَحَكَاهُ: ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَالْبَيْهَقِيُّ، وَالطَّبَرَانِيُّ.

وَكَذَا أَبُو جَعْفَرِ بْنُ جَرِيرٍ سَاقَ أَكْثَرَ ذَلِكَ بِأَسَانِيدِهِ، وَقَالَ: حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ رُومِيٍّ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ سَعِيدٍ قَائِدِ الْأَعْمَشِ، حَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ حَيَّانَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ - قَالَ: لَا أَعْلَمُ إِلَّا قَدْ رَفَعَهُ -؛ قَالَ: ﴿الصَّمَدُ﴾؛ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ.

وَهَذَا غَرِيبٌ جِدًّا، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ عَلَىٰ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ.

وَقَدْ قَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبَرَانِيُّ فِي «كِتَابِ السُّنَّةِ» لَهُ، بَعْدَ إِيرَادِهِ كَثِيرًا مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ فِي تَفْسِيرِ «الصَّمَدِ»: «وَكُلُّ هَذِهِ صَحِيحَةٌ، وَهِيَ صِفَاتُ رَبِّنَا عَزَّوَجَلَّ، وَهُوَ الَّذِي يُصمَدُ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ، وَهُوَ الَّذِي قَدِ انْتَهَىٰ سُؤْدُدُهُ، وَهُوَ الصَّمَدُ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ، وَلَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ، وَهُوَ الْبَاقِي بَعْدَ خَلْقِهِ». وَقَالَ

الْبَيْهَقِيُّ نَحْوَ ذَلِكَ [أَيْضًا]»[١].

قَالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَالِاسْمُ «الصَّمَدُ» فِيهِ لِلسَّلَفِ أَقْوَالٌ مُتَعَدِّدَةٌ، قَدْ يُظَنُّ أَنَّهَا مُخْتَلِفَةٌ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ؛ بَلْ كُلُّهَا صَوَابٌ.

وَالْمَشْهُورُ مِنْهَا قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ «الصَّمَدَ» هُوَ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ السَّيِّدُ الَّذِي يُصْمَدُ إلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ.

وَالْأَوَّلُ هُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَطَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ.

وَالثَّانِي قَوْلُ طَائِفَةٍ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ وَجُمْهُورِ اللُّغَوِيِّينَ. وَالْآثَارُ الْمَنْقُولَةُ عَنِ السَّلَفِ بِأَسَانِيدِهَا فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ الْمُسْنَدَةِ وَفِي كُتُبِ السُّنَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَقَدْ كَتَبْنَا مِنَ الْآثَارِ فِي ذَلِكَ شَيْئًا كَثِيرًا بِإِسْنَادِهِ فِيمَا تَقَدَّمَ.

وَتَفْسِيرُ «الصَّمَدِ» بِأَنَّهُ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ مَعْرُوفٌ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَوْقُوفًا وَمَرْفُوعًا، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَمُجَاهِدٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَعِكْرِمَةَ وَالضَّحَّاكِ والسُّدِّيِّ وقتادةَ، وَبِمَعْنَىٰ ذَلِكَ قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ»[٢].

وجعلَ شيخُ الإسلامِ ما جاءَ بعد ذِكْرِ «الأحدِ الصمدِ» في سورةِ الإخلاصِ مفسِّرًا له؛ فقالَ:

---

(١) «تفسيرُ القرآنِ العظيمِ» (٨/ ٥٢٧) للعلَّامةِ ابنِ كثيرٍ - بتصرُّفٍ -.

(٢) «مجموعُ الفتاوَىٰ» (١٧/ ٢١٤).

«وَدَلَّ قَوْلُهُ: «الْأَحَدُ، الصَّمَدُ» عَلَىٰ أَنَّهُ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾؛ فَإِنَّ «الصَّمَدَ» هُوَ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ وَلَا أَحْشَاءَ؛ فَلَا يَدْخُلُ فِيهِ شَيْءٌ؛ فَلَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كَمَا قَالَ: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُۗ﴾ [الأنعام: ١٤].

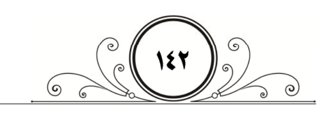
وَفِي قِرَاءَةِ الْأَعْمَشِ وَغَيْرِهِ: (وَلَا يَطْعَمُ)؛ بِالْفَتْحِ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ الْمَلَائِكَةُ وَهُمْ صَمَدٌ لَا يَأْكُلُونَ وَلَا يَشْرَبُونَ، فَالْخَالِقُ لَهُمْ جَلَّ جَلَالُهُ أَحَقُّ بِكُلِّ غِنًىٰ وَكَمَالٍ جَعَلَهُ لِبَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ؛ فَلِهَذَا فَسَّرَ بَعْضُ السَّلَفِ «الصَّمَدَ» بِأَنَّهُ الَّذِي لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ، وَ«الصَّمَدُ»: الْمُصْمَدُ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ»[١].

---

(١) «مجموعُ الفتاوَىٰ» (١٧/ ٢٣٩).



القهار، القاهر

الدليلُ مِنَ القرآنِ:

قولُه تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].

وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨].

قَالَ الخطَّابِيُّ في «شَأْنِ الدُّعَاءِ»:

«**«القهَّارُ»**: هُوَ الذِي قَهَرَ الجَبابِرَةَ مِنْ عُتَاةِ خَلْقِهِ بِالعُقُوبَةِ، وَقَهَرَ الخَلْقَ كُلَّهُمْ بِالمَوْتِ»[١].

وَقالَ العلَّامةُ السعديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**«القهَّارُ»**: لكلِّ شيءٍ، الذي خضعَتْ له المخلوقاتُ، وذلَّتْ لعزَّتِهِ وقوَّتِهِ وكمالِ اقتدارِهِ»[٢].

وإذا تمَّتْ معرفةُ العبدِ لاسمِ اللهِ «القهَّارِ» وصحَّتْ؛ عَلِمَ أَنَّ «كلَّ ما يُخَافُ ويُرجَىٰ من الْمَخْلُوقَاتِ فأعلَىٰ غاياتِه أَنْ يكونَ جُزْءَ سَبَبٍ غيرِ مُسْتَقلٍّ بالتأثيرِ،

---

(١) «تفسيرُ السعديِّ» (صحيفةُ: ٩٤٧).

(٢) «تفسيرُ السعديِّ» (صحيفةُ: ٩٤٧).

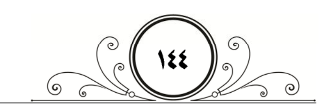
وَلَا يسْتَقلُّ بالتأثيرِ وَحدَهُ دون توقُّفِ تَأْثِيرِهِ علىٰ غَيرِهِ إِلَّا اللهُ الْوَاحِدُ القهَّارُ؛ فَلَا يَنْبَغِي أَن يُرْجَىٰ وَلَا يُخَاف غَيرُهُ.

وَهَذَا برهَانٌ قَطْعِيٌّ علىٰ أَنَّ تعلُّقَ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ بِغَيْرِهِ بَاطِلٌ؛ فَإِنَّهُ لَو فُرِضَ أَن ذَلِك سَبَبٌ مُسْتَقلٌّ وَحدَهُ بالتأثيرِ؛ لكَانَتْ سببيَّتُهُ من غَيرِهِ لَا مِنْهُ، فَلَيْسَ لَهُ من نَفسِه قُوَّةٌ يفعلُ بهَا؛ فَإِنَّهُ لَا حولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ؛ فَهُوَ الَّذِي بِيَدِهِ الْحولُ كُلُّه وَالْقُوَّةُ كلُّهَا.

فالحولُ وَالْقُوَّةُ الَّتِي يُرْجَىٰ لأجلِهما الْمَخْلُوقُ وَيُخَافُ، إِنَّمَا هُما للهِ وَبِيَدِهِ فِي الْحَقِيقَةِ؛ فَكيفَ يُخَافُ ويُرجىٰ مَنْ لَا حولَ لَهُ وَلَا قُوَّةَ؟! بل خوفُ الْمَخْلُوقِ ورجاؤُهُ أحدُ أَسبَابِ الحرمانِ ونزولِ الْمَكْرُوهِ بِمن يرجُوهُ ويَخافُهُ؛ فَإِنَّهُ علىٰ قدرِ خوفِكَ من غيرِ اللهِ يُسَلَّطُ عَلَيْكَ، وعَلىٰ قدرِ رجائِكَ لغيرِهِ يكونُ الحرمانُ، وَهَذَا حَالُ الْخلقِ أَجمعِهِ وَإِن ذهبَ عَن أَكْثَرِهم علمًا وَحَالًا، فَمَا شَاءَ اللهُ كَانَ وَلَا بُدَّ، وَمَا لم يَشَأْ لم يكنْ، وَلَو اتَّفقَتْ عَلَيْهِ الخَلِيقةُ»[١].

❁❁❁

(١) «الفوائدُ» (صحيفةُ: ٥٢).



الأوَّلُ، الآخِرُ، الظَّاهِرُ، البَاطِنُ

الدليلُ مِنَ القرآنِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

الدليلُ منَ السنَّةِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ:

«اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ؛ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ.

اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛ اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ»، مُتفقٌ عَليهِ.

وَفِي الحَدِيثِ بَيَانٌ مِنهُ ﷺ لِمَعَانِي هَذِهِ الأَسمَاءِ الحُسنَىٰ، ونفيٌ لضدِّها، ومعلومٌ أنَّ الكمالاتِ لا يُتَوَقَّفُ فيها عنْدَ إثباتِها حتىٰ يُنفَىٰ ضدُّها، فهو سُبحانَه الأولُ الذي لا شيءَ قبلَهُ، والآخِرُ الذي لا شيءَ بعدَهُ، فكلُّ ما سواه حادثٌ هالكٌ؛ لأنه المتفرِّدُ بالأبديةِ والأزليةِ المطْلَقةِ. والظاهرُ الذي لا شيءَ فوقه، والباطِنُ الذي لا شيءَ دونَهُ؛ كما وصفه نبيُّه ﷺ.

قَالَ ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «طريقِ الهجرَتَيْنِ» (ص٢٧):**

«فأوليَّةُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ سابقةٌ علىٰ أوليَّةِ كلِّ ما سواهُ، وآخريَّتُه ثابتةٌ بعْدَ آخرِيَّةِ كلِّ ما سواهُ، **فأوليَّتُه**: سَبْقُه لكلِّ شيءٍ، **وآخريَّتُه**: بقاؤُه بعْدَ كلِّ شيءٍ، **وظاهريَّتُه سُبحانَه**: فوقيَّتُه وعلوُّه علىٰ كلِّ شيءٍ، ومعنىٰ الظهورِ يقتضِي العلوَّ، وظاهرُ الشيءِ هو ما عَلَا منه وأحاطَ بباطِنِه، **وبُطُونَتُهُ سُبحانَه**: إحاطتُه بكلِّ شيءٍ؛ بحيثُ يكونُ أقربَ إليه من نفسِهِ.

وهذا قربٌ غيرُ قربِ المحِبِّ من حبيبِهِ، هذا لونٌ وهذا لونٌ، فمدارُ هذه الأسماءِ الأربعةِ علىٰ الإحاطةِ، وهي إحاطَتَانِ: زمانيَّةٌ، ومكانيَّةٌ، فإحاطةُ أوليَّتِه وآخريَّتِه بالقَبْلِ والبَعْدِ؛ فكلُّ سابقٍ انتهَىٰ إلىٰ أوليَّتِهِ، وكلُّ آخرٍ انتهَىٰ إلىٰ آخريَّتِهِ، فأحاطَتْ أوليَّتُه وآخريَّتُه بالأوائلِ والأواخرِ، وأحاطتْ ظاهريَّتُه وباطنيَّتُه بكلِّ ظاهرٍ وباطنٍ؛ فما مِن ظاهرٍ إلَّا واللهُ فوقَهُ، وما مِن باطنٍ إلَّا واللهُ دونَهُ، وما من أوَّلٍ إلا واللهُ قبلَهُ، وما من آخرٍ إلا واللهُ بعدَهُ.

فالأوَّلُ قِدَمُه، والآخرُ دوامُه وبقاؤُه، والظاهرُ علوُّه وعظمتُه، والباطنُ قربُه ودنُّوه؛ فسَبَق كلَّ شيءٍ بأوليَّتِه، وبقيَ بعدَ كُلِّ شيءٍ بآخريَّتِه، وعلَا علىٰ كلِّ شيءٍ بظهورِهِ، ودَنَا من كلِّ شيءٍ ببطونِهِ، فلا توارِي منه سماءٌ سماءً، ولا أرضٌ أرضًا، ولا يحجِبُ عنه ظاهرٌ باطنًا، بل الباطنُ له ظاهرٌ، والغيبُ عنده شهادةٌ، والبعيدُ منه قريبٌ، والسرُّ عنده علانيةٌ.

فهذه الأسماءُ الأربعةُ تشتمِلُ علىٰ أركانِ التوحيدِ؛ فهو الأوَّل في آخريَّتِهِ،

والآخرُ في أوليَّتِه، والظاهرُ في بطونِهِ، والباطنُ في ظهورِهِ، لم يزلْ أوَّلًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا».

قَالَ شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**وقَوْلُه تَعَالَىٰ:** ﴿**الظَّاهِرُ**﴾ ضُمِّنَ مَعْنَىٰ الْعَالِي؛ كَمَا قَالَ: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن **يَظْهَرُوهُ**﴾ [الكهف: ٩٧]، وَيُقَالُ: ظَهَرَ الْخَطِيبُ عَلَىٰ الْمِنبَرِ، وَظَاهِرُ الثَّوْبِ أَعْلَاهُ، بِخِلَافِ بِطَانَتِهِ.

وَكَذَلِكَ ظَاهِرُ الْبَيْتِ أَعْلَاهُ، وَظَاهِرُ الْقَوْلِ مَا ظَهَرَ مِنْهُ وَبَانَ، وَظَاهِرُ الْإِنْسَانِ خِلَافُ بَاطِنِهِ، فَكُلَّمَا عَلَا الشَّيْءُ ظَهَرَ؛ وَلِهَذَا قَالَ: «**أَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْس فَوْقَكَ شَيْءٌ**»، فَأَثْبَتَ الظُّهُورَ، وَجَعَلَ مُوجِبَ الظُّهُورِ أَنَّهُ لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ، وَلَمْ يَقُلْ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَبْيَنَ مِنْكَ وَلَا أَعْرَفَ».

وَبِهَذَا تَبَيَّنَ خَطَأُ مَنْ فَسَّرَ «الظَّاهِرَ» بِأَنَّهُ الْمَعْرُوفُ، كَمَا يَقُولُهُ مَنْ يَقُولُ: الظَّاهِرُ بِالدَّلِيلِ الْبَاطِنُ بِالْحِجَابِ؛ كَمَا فِي كَلَامِ أَبِي الْفَرَجِ وَغَيْرِهِ. فَلَمْ يَذْكُرْ مُرَادَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ كَانَ الَّذِي ذَكَرَهُ لَهُ مَعْنًىٰ صَحِيحٌ.

وَقَالَ: «**أَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**»؛ فِيهِمَا مَعْنَىٰ الْإِضَافَةِ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْبُطُونُ وَالظُّهُورُ لِمَنْ يَظْهَرُ وَيُبْطِنُ وَإِنْ كَانَ فِيهِمَا مَعْنَىٰ التَّجَلِّي وَالْخَفَاءِ، وَمَعْنًىٰ آخَرُ كَالْعُلُوِّ فِي الظُّهُورِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يُوصَفُ بِالسُّفُولِ.

وَقَدْ بَسَطْنَا هَذَا فِي الْإِحَاطَةِ، لَكِنْ إِنَّمَا يَظْهَرُ مِنَ الْجِهَةِ الْعَالِيَةِ عَلَيْنَا، فَهُوَ يَظْهَرُ عِلْمًا بِالْقُلُوبِ وَقَصْدًا لَهُ وَمُعَايَنَةً إِذَا رُئِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ بَادٍ عَالٍ لَيْسَ

فَوْقَهُ شَيْءٌ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَىٰ يَبْطُنُ فَلَا يُقْصَدُ مِنْهَا وَلَا يُشْهَدُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَدْنَىٰ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ، فَلَا شَيْءَ دُونَهُ سُبْحَانَهُ»(١).

وَ«إذا وجبَ أن يكونَ هو العليَّ الأعلَىٰ المتعالِي، الذي لا يعلُوه شيءٌ؛ لم يَجُزْ أن يعلُوهُ شيءٌ، كما أنَّه إذا وجَبَ أن يكونَ الأولَ والآخِرَ؛ لم يَجُزْ أن يسبقَهُ شيءٌ أو يتأخَّرَ عنه شيءٌ، كما قَالَ النبيُّ ﷺ: «**أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْس قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْس بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْس فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**».

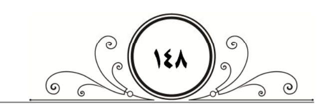
لكنَّ الأولَ والآخرَ لا ابتداءَ له ولا انتهاءَ، وإذا لم يكن له نهايةٌ ولا حدٌّ من الوجهَيْنِ جميعًا؛ ظَهَرَ فيه امتناعُ أن يكونَ قبلَهُ أو بعدَهُ شيءٌ، بخلافِ المتناهِي المحدودِ من الأحيازِ، ولكنَّ هذا الفرضَ جاءَ من خصوصِ المكانِ والزمانِ، بدليل أنَّ أهلَ الجنَّةِ لا آخِرَ لوجودِهم، بل هم باقُونَ أبدًا، وإن كانُوا متحيِّزِينَ؛ فلا حدَّ ولا نهايةَ لآخرِهم، وإن كانت ذواتُهم محدودةً متناهيةً في أحيازِهَا وأماكِنِهَا»(٢).

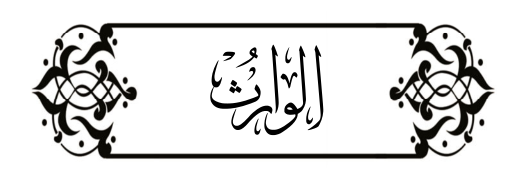
ومِن معانِي «الآخِرِ» اسْمُه تَعَالَىٰ «الوارثُ»، وكذلك «الباقِي» عنْد من أثبتَهُ اسمًا للهِ عَزَّوَجَلَّ.

❁❁❁

(١) «مجموعُ الفتاوَىٰ» (٥/ ٢٤٤).

(٢) «بيانُ تلبيسِ الجهميةِ» (٣/ ٧٥٥).





الدليلُ مِنَ القرآنِ الكريمِ:

قولُه تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ **ٱلْوَٰرِثُونَ**﴾ [الحجر: ٢٣].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ **ٱلْوَٰرِثِينَ**﴾ [الأنبياء: ٨٩].

ومعناه: الباقِي، فكلُّ باقٍ بعدَ هلاكِ هالكٍ يُسمَّىٰ وَارِثًا، ومِنْ ذلك قولُه تَعَالَىٰ: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧]، وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ **وَأَوْرَثْنَٰهَا** قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٨]، وفي قولِه تَعَالَىٰ: ﴿**وَنَرِثُهُۥ** مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٠]؛ أي: نُبْقِي له كَلامَهُ، ويَأتِينَا بِهِ فرْدًا.

ومنه تعلَمُ أن اسمَ اللهِ «الوارثَ» قريبٌ من معنَىٰ اسمِهِ «الآخِرِ» الذي لا شيءَ بعدَهُ؛ فهو الوارثُ علىٰ الحقيقةِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: ٤٠].

الأَعْلَى ، المتعال ، العلي

الدليلُ مِنَ القرآنِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى: ١].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

فجاءَ اسمُ اللهِ «العليُّ» سابقًا لاسمِ اللهِ «العظيمِ» مرَّةً، وسابقًا لاسمِه سُبحانَه «الكبيرِ» في مواضعَ كثيرةٍ.

كَـذَا لَـهُ العلـوُّ والفوقيَّـهْ ... عَلَـىٰ عبـادِهِ بِـلَا كيفيَّـهْ

عُلُـوَّ قَهْـرٍ وَعُلُـوَّ الشَّـانِ ... جَـلَّ عَـنِ الْأَضْـدَادِ وَالْأَعْـوَانِ

«فقد سمَّىٰ نفسَهُ «الأعلَىٰ، والمتعالِيَ، والعليَّ»؛ فلم يبقَ لنفاةِ العلوِّ عنه إلا محضُ الجحودِ والإنكارِ والتكذيبِ لكلامِهِ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ولكلامِ نبيِّه ﷺ، فـ«العليُّ الأعلَىٰ» هو الذي له العلوُّ المطلَقُ من جميعِ الوجوهِ؛ علوُّ الذاتِ، وعلوُّ القدرِ والصفاتِ، وعلوُّ القهرِ. فهو الذي علىٰ العرشِ استوَىٰ، وعلىٰ

المُلْكِ احتوَىٰ، وبجميعِ صفاتِ العظمةِ والكبرياءِ والجلالِ والجمالِ وغايةِ الكمالِ اتصفَ، وإليه فيها المنتهَىٰ»(١).

قَالَ شيخُ الإسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

«وَالرَّبُّ تَعَالَىٰ لَا يَكُونُ شَيْءٌ أَعْلَىٰ مِنْهُ قَطُّ، بَلْ هُوَ الْعَلِيُّ الْأَعْلَىٰ، وَلَا يَزَالُ هُوَ الْعَلِيَّ الْأَعْلَىٰ، مَعَ أَنَّهُ يَقْرُبُ إِلَىٰ عِبَادِهِ، وَيَدْنُو مِنْهُمْ، وَيَنْزِلُ إِلَىٰ حَيْثُ شَاءَ، وَيَأْتِي كَمَا شَاءَ. وَهُوَ فِي ذَلِكَ الْعَلِيُّ الْأَعْلَىٰ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِي، عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ. فَهَذَا وَإِنْ لَمْ يَتَّصِفْ بِهِ غَيْرُهُ فَلِعَجْزِ الْمَخْلُوقِ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا، كَمَا يَعْجِزُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ وَالظَّاهِرَ وَالْبَاطِنَ»(٢).

فإذا فَطنَ العبدُ لهذِهِ المعانِي المغروزةِ في فطرَتِهِ من علوِّ ربِّه عليه شأنًا وقهرًا وذاتًا؛ علِمَ ما في عبوديَّةِ السجودِ للهِ من شرفٍ عظيمٍ، فإنَّ «السُّجُودَ غَايَةُ الْخُضُوعِ وَالذُّلِّ مِنَ الْعَبْدِ، وَغَايَةُ تَسْفِيلِهِ وَتَوَاضُعِهِ، بِأَشْرَفِ شَيْءٍ فِيهِ لِلَّهِ - وَهُوَ وَجْهُهُ - بِأَنْ يَضَعَهُ عَلَىٰ التُّرَابِ؛ فَنَاسَبَ فِي غَايَةِ سُفُولِهِ أَنْ يَصِفَ رَبَّهُ بِأَنَّهُ الْأَعْلَىٰ، وَالْأَعْلَىٰ أَبْلَغُ مِنَ الْعَلِيِّ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ لَيْسَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ شَيْءٌ؛ هُوَ بِاعْتِبَارِ نَفْسِهِ عَدَمٌ مَحْضٌ، وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ نَصِيبٌ.

وَكَذَلِكَ فِي «الْعُلُوِّ فِي الْأَرْضِ» لَيْسَ لِلْعَبْدِ فِيهِ حَقٌّ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ ذَمَّ مَنْ يُرِيدُ الْعُلُوَّ فِي الْأَرْضِ: كَفِرْعَوْنَ وَإِبْلِيسَ.

---

(١) «تفسيرُ السعديِّ» (صحيفةُ: ٩٤٦).

(٢) «مجموعُ الفتاوَىٰ» (١٦/ ٤٢٤).

وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَحْصُلُ لَهُ الْعُلُوُّ بِالْإِيمَانِ؛ لَا بِإِرَادَتِهِ لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٩].

فَلَمَّا كَانَ السُّجُودُ غَايَةَ سُفُولِ الْعَبْدِ وَخُضُوعِهِ؛ سَبَّحَ اسْمَ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ؛ فَهُوَ سُبْحَانَهُ الْأَعْلَىٰ وَالْعَبْدُ الْأَسْفَلُ، كَمَا أَنَّهُ الرَّبُّ وَالْعَبْدُ الْعَبْدُ، وَهُوَ الْغَنِيُّ وَالْعَبْدُ الْفَقِيرُ، وَلَيْسَ بَيْنَ الرَّبِّ وَالْعَبْدِ إِلَّا مَحْضُ الْعُبُودِيَّةِ، فَكُلَّمَا كَمَّلَهَا قَرُبَ الْعَبْدُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ بَرٌّ جَوَادٌ مُحْسِنٌ يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يُنَاسِبُهُ؛ فَكُلَّمَا عَظُمَ فَقْرُهُ إِلَيْهِ كَانَ أَغْنَىٰ، وَكُلَّمَا عَظُمَ ذُلُّهُ لَهُ كَانَ أَعَزَّ؛ فَإِنَّ النَّفْسَ - لِمَا فِيهَا مِنْ أَهْوَائِهَا الْمُتَنَوِّعَةِ وَتَسْوِيلِ الشَّيْطَانِ لَهَا - تَبْعُدُ عَنِ اللهِ حَتَّىٰ تَصِيرَ مَلْعُونَةً بَعِيدَةً مِنَ الرَّحْمَةِ.

«**وَاللَّعْنَةُ**»: هِيَ الْبُعْدُ؛ وَمِنْ أَعْظَمِ ذُنُوبِهَا إِرَادَةُ الْعُلُوِّ فِي الْأَرْضِ، وَالسُّجُودُ فِيهِ غَايَةُ سُفُولِهَا؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وَفِي الصَّحِيحِ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»، وَقَالَ لِإِبْلِيسَ: ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣]، وَقَالَ: ﴿**وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا**﴾ [التوبة: ٤٠]؛ فَهَذَا وَصْفٌ لَهَا ثَابِتٌ، لَكِنْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُعْلِيَ غَيْرَهَا جُوهِدَ، وَقَالَ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا؛ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**».

وَ«**كَلِمَةُ اللهِ**»: هِيَ خَبَرُهُ وَأَمْرُهُ؛ فَيَكُونُ أَمْرُهُ مُطَاعًا مُقَدَّمًا عَلَىٰ أَمْرِ غَيْرِهِ، وَخَبَرُهُ مُطَاعًا مُقَدَّمًا عَلَىٰ خَبَرِ غَيْرِهِ»[(١)].

---

(١) «مجموعُ الفتاوَىٰ» (٥/ ٢٣٧).

الحسيب، الرقيب، الحفيظ، الحافظ، المحيط

الدليلُ مِنَ القرآنِ:

قولُه تَعَالَىٰ: ﴿**وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا** ۝٦﴾ [النساء: ٦].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ **حَسِيبًا**﴾ [النساء: ٨٦].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ **ٱلرَّقِيبَ** عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ **رَّقِيبًا**﴾ [الأحزاب: ٥٢].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ **حَفِيظٌ**﴾ [هود: ٥٧].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ **حَـٰفِظًا** ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ **مُّحِيطًا**﴾ [النساء: ١٢٦].

قَالَ العلَّامةُ السعديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**«الحَسِيبُ»**: هو العليمُ بعبادِهِ، كافِي المتوكِّلِينَ، المجازِي لعبادِهِ بالخيرِ والشرِّ، بحسَبِ حكمَتِهِ وعلْمِهِ بدقيقِ أعمالِهم وجليلِها.

«الرَّقِيبُ»: المطلعُ علىٰ ما أكنَّتْهُ الصدُورُ، القائِمُ علىٰ كلِّ نفسٍ بما كسبَتْ، الذي حفِظَ المخلوقاتِ وأجرَاها علىٰ أحسنِ نظامٍ وأكملِ تدبيرٍ.

«الحفيظُ»: الذي حفِظَ ما خلَقَهُ، وأحاطَ علْمُهُ بما أوجَدَهُ، وحفِظَ أولياءَهُ من وقوعِهم في الذنوبِ والهَلَكاتِ، ولطَفَ بهم في الحركاتِ والسكناتِ،

وأحصىٰ علىٰ العبادِ أعمالَهُم وجزاءَها.

«**المحيطُ**»: بكلِّ شيءٍ علمًا، وقدرةً، ورحمةً، وقهرًا»[(١)].

---

(١) «تفسيرُ السعديِّ» (صحيفةُ: ٩٤٧).

القريب ، المجيب

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وَقالَ تَعالَىٰ: ﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].

3305- وَهُوَ المُجِيبُ يَقُولُ من يَدْعُو ـهُ أَنَا المجِيبُ لِكُلِّ مَنْ نَادَانِي

3306- وَهُوَ المجِيبُ لِدَعْوَةِ المُضْطَرِّ إذْ يَدْعُوهُ في سِرٍّ وفي إعْلانِ[1]

قَالَ الشيخُ الهرَّاسُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَمن أسمائِهِ سُبحانَه «المجِيبُ»، وهو اسمُ فاعلٍ من الإجابةِ، وإجابتُهُ تَعَالَىٰ نوعانِ: إجابةٌ عامَّةٌ لكلِّ من دعاهُ دعاءَ عبادةٍ أو دعاءَ مسألةٍ...»[2].

قَالَ العلَّامةُ السعديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

««القريبُ، المجيبُ»؛ أيْ: هو تَعَالَىٰ القريبُ من كلِّ أحدٍ، وقربُهُ تَعَالَىٰ نوعَانِ: قربٌ عامٌّ من كلِّ أحدٍ؛ بعلمِهِ، وخبرتِهِ، ومراقبَتِهِ، ومشاهَدَتِهِ، وإحاطَتِهِ. وقربٌ خاصٌّ، مِن عابدِيهِ، وسائلِيهِ، ومحبِّيهِ، وهو قربٌ لا تُدرَكُ له حقيقةٌ،

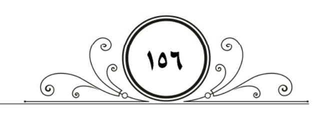
(١) «الكافيةُ الشافيةُ».

(٢) في شرحه علىٰ الآبيات.

وإنَّما تُعلَمُ آثارُهُ؛ من لطفِهِ بعبدِهِ، وعنايتِهِ به، وتوفيقِهِ وتسديدِهِ. ومن آثارِهِ الإجابَةُ للداعِينَ، والإنابةُ للعابدِينَ؛ فهُوَ المجيبُ إجابةً عامَّةً للداعِينَ مهما كانُوا، وأينَ كانُوا، وعلىٰ أيِّ حالٍ كانُوا، كما وعدَهُم بهذا الوعْدِ المطلَقِ، وهو المجيبُ إجابةً خاصَّةً للمستجِيبينَ له المنقادِينَ لشرعِهِ، وهو المجِيبُ أيضًا للمضطرِينَ، ومَنِ انقطعَ رجاؤُهم من المخلوقِينَ، وقوِيَ تعلُّقُهم به طمعًا ورجاءً وخوفًا»[1].

***

(١) «تفسيرُ السعديِّ» (صحيفةُ: ٩٤٩).



القدير القادر المقتدر

الدليلُ مِنَ القرآنِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ **ٱلْقَدِيرُ**﴾ [الروم: ٥٤].

وَقالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ **ٱلْقَادِرُ** عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥].

وَقالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ **مُّقْتَدِرًا**﴾ [الكهف: ٤٥].

قَالَ الخَطَّابيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ووصفَ اللهُ نفسَهُ بأنَّه قادرٌ علىٰ كلِّ شيءٍ أرادَهُ، لا يعترضُهُ عجزٌ ولا فتورٌ، وقدْ يكونُ «القادرُ» بمعنَىٰ المقدِّرِ للشيءِ، يقالُ: قَدَّرْتُ الشيءَ وقدَرْتُهُ؛ بمعنًىٰ واحدٍ»(١).

قَالَ العلَّامةُ السعديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**«القديرُ»**: كاملُ القدْرَةِ، بقدرتِهِ أوجدَ الموجوداتِ، وبقدرتِهِ دبَّرَها، وبقدرتِه سوَّاهَا وأحكمَها، وبقدرتِهِ يُحيي ويُميتُ، ويبعثُ العبادَ للجزاءِ،

---

(١) «شأنُ الدعاءِ» (صحيفةُ: ٨٥).

ويجازي المحْسِنَ بإحسانِهِ، والمسِيءَ بإساءتِهِ، الذي إذا أرادَ شيئًا قَالَ له: كُنْ؛ فيكونُ، وبقدرتِهِ يقلِّبُ القلوبَ، ويصرِّفُها علىٰ ما يشاءُ ويريدُ»[١].

ومِن مقتضَىٰ معرفَةِ أسماءِ اللهِ (القَادِرِ، المقتَدِرِ القَدِيرِ) في ذِكْرِ العبدِ في يومِهِ وليلتِهِ؛ ما جاءَ عند مسلمٍ في «صحيحه»، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ؛ أَنَّهُ شَكَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ؛ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«ضَعْ يَدَكَ عَلَىٰ الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ: بِاسْمِ اللهِ؛ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ»**.

ومِن مقتضَىٰ ذلك أيضًا أنْ يعلَمَ العبدُ أنَّه لا غالِبَ إلا اللهُ، وأنَّه يقدِرُ علىٰ كلِّ شيءٍ؛ لأنَّه خالِقُ كلِّ شيءٍ ومقدِّرُه تقديرًا، فإذا أصبَحَ عِلْمُ الإنسانِ بذلك يقينًا؛ انفتحَتْ لَهُ مغالِيقُ نفسِهِ واستقامَ علىٰ طاعةِ اللهِ، ولم يطمَعْ في شيءٍ يصلُ إليه بمعصيةِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ فإنَّ ما عنْدَ اللهِ لا يُنالُ بمعصِيَتِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❁❁❁

(١) «تفسيرُ السعديِّ» (صحيفةُ: ٩٤٦).



الدليلُ مِنَ القرآنِ الكريمِ:

قولُه تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ **ذُو ٱلْقُوَّةِ** ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ **ٱلْقَوِيُّ** ٱلْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ **ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ** جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

قَالَ العلَّامَةُ السعديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**«الرزَّاقُ»**: لجميعِ عبادِهِ، فما مِن دابَّةٍ في الأرضِ إلَّا عَلَىٰ اللهِ رزْقُها.

ورزقُهُ لعبادِهِ نوعَانِ:

رزقٌ عامٌّ؛ شَمَلَ البَرَّ والفاجرَ، والأوَّلِينَ والآخرِينَ؛ وهو رزقُ الأبدانِ.

ورزقٌ خاصٌّ؛ وهو رزقُ القلوبِ، وتغذِيَتُها بالعلمِ والإيمانِ والرزقِ الحلالِ الذي يُعينُ علىٰ صلاحِ الدِّينِ؛ وهذا خاصٌّ بالمؤمنينَ، علىٰ مراتِبِهم منْه، بحسبِ ما تقتضِيهِ حكمَتُهُ ورحمَتُهُ»(١).

---

(١) «تفسيرُ السعديِّ» (صحيفةُ: ٩٤٧).

و«الرزقُ إِبَاحَةُ الِانْتِفَاعِ بالشَّيْءِ علىٰ وَجهٍ يحسنُ ذَلِك، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن رَّزَقْنَـٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ [النحل: ٧٥]، وَاللهُ تَعَالَىٰ هُوَ الرَّزَّاقُ»(١).

3346- وَكـذلِكَ الـرزَّاقُ مِـنْ أسـمائِهِ ... والـرِّزْقُ مِـنْ أفعالِـهِ نوعـانِ

3347- رزقٌ عَلَىٰ يـدِ عبْدِهِ ورسـولِهِ ... نوعـانِ أيضًـا ذَانِ معروفـانِ

3348- رزقُ القلوبِ العلمَ والإيمانَ ... والـرزقُ المُعَـدُّ لهـذِهِ الأبـدانِ

3349- هذا هـو الـرزقُ الحلالُ وربُّنا ... رَزَّاقُـهُ والفضـلُ للمنَّـانِ

3350- والثانِ سَوْقُ القُوتِ للأعضاءِ في ... تلـك المجـارِي سَـوْقُهُ بِـوِزَانِ

3351- هـذَا يكـونُ مـن الحـلالِ كمـا ... نُ مـن الحـرامِ كلاهُمـا رزْقَـانِ

3352- واللهُ رازقُـه بهـذَا الاعْتِبَـا ... رِ ولـيسَ بـالإطلاقِ دونَ بَيَـانِ(٢)

قَالَ الشيخُ الهرَّاسُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحِهِ علىٰ النونية:

«ومن أسمائِهِ سُبحانَه «الرزَّاقُ»، وهو مبالغةٌ من (رَازِقٍ)؛ للدلالةِ علىٰ الكثْرَةِ، مأخوذٌ من الرَّزْق - بفتحِ الراءِ - الذي هو المصدَرُ، وأما الرِّزق - بكسرِها -؛ فهو لعبادِهِ الذين لا تنقطِعُ عنهم أمدادُهُ وفَوَاضِلُه طرفةَ عينٍ، والرزقُ كالخلقِ؛ اسمٌ لنَفْسِ الشيءِ الذي يرزقُ اللهُ به العبدَ؛ فمعنىٰ «الرزَّاقِ»: الكثيرُ الرزقِ، صفةٌ من صفاتِ الفعلِ، وهو شأنٌ من شؤُونِ ربوبيَّتِهِ عَزَّوَجَلَّ، لا

---

(١) «تفسيرُ أسماءِ اللهِ الحسنَىٰ» (صحيفةُ: ٣٨) للزجاجِ.

(٢) «الكافيةُ الشافيةُ».

يصحُّ أن يُنْسَبَ إلىٰ غيرِهِ، فلا يسمَّىٰ غيرُه رازقًا كما لا يُسمَّىٰ خالقًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الروم: ٤٠].

فالأرْزاقُ كلُّها بيدِ اللهِ وحدَهُ؛ فهو خالقُ الأرزاقِ والمرتزقَةِ، وموصلُها إليهم، وخالقُ أسبابِ التمتُّعِ بها؛ فالواجبُ نسبتُها إليه وحدَهُ وشكرُهُ عليها؛ فهو مولَاهَا وواهِبُها».

فإذا عَلِمَ العبدُ أنَّ ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]؛ اطمئنَّ قلبُه وسَكَنَ، وطلبَ الرزقَ بالحلالِ؛ لأنَّه لابدَّ يأتِيهِ؛ لأنَّه بيدِ اللهِ سُبحانَه.

وقدْ ذَكَرَ اللهُ بعْدَ ذِكْرِ اسمِهِ الرزاقِ أنَّه ذُو القوَّةِ المتينُ، والمتينُ: هُوَ كَامِلُ الْقُدْرَةِ، «وَقَدْ يَكُونُ مَعْنَاهُ: التَّامَّ الْقُوَّةِ، الَّذِي لَا يَسْتَوْلِي عَلَيْهِ الْعَجْزُ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، وَالْمَخْلُوقُ وَإِنْ وُصِفَ بِالْقُوَّةِ فَإِنَّ قُوَّتَهُ مُتَنَاهِيَةٌ»(١).

«وَمَعْنَىٰ ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾: ذُو الِاقْتِدَارِ الشَّدِيدِ، و«المَتِينُ» فِي صِفَةِ اللهِ: القَوِيُّ.

قَالَ ابْنُ الأَثِيرِ: هُوَ الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ، الَّذِي لَا يَلْحَقُهُ فِي أَفعالِهِ مشقَّةٌ وَلَا كُلْفَةٌ وَلَا تعَبٌ.

والمَتانةُ: الشِّدَّةُ والقُوَّةُ؛ فَهُوَ مِنْ حَيْثُ إِنه بَالِغُ الْقُدْرَةِ تامُّها؛ قَوِيٌّ، وَمِنْ حَيْثُ إِنه شَدِيدُ القُوَّةِ؛ متِينٌ.

قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: وَقُرِئَ (**المَتينِ**)؛ بِالْخَفْضِ عَلَىٰ النَّعْتِ للقُوَّةِ؛ لأَنَّ تأْنيث القُوَّةِ كتأْنيثِ الْمَوْعِظَةِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ﴾ [البقرة: ٢٧٥]؛ أَيْ: وَعْظٌ.

---

(١) «الأسماءُ والصفاتُ» (١/ ١١٥)، نقلَهُ البيهقيُّ عن الخطابيِّ.

وَالْقُوَّةُ: اقْتدارٌ. والمَتِينُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: القَوِيُّ»[١].

ومن عَرَفَ ذلك صَحَّ توكلُه على اللهِ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ «وَلِذَلِكَ لَا يَصِحُّ التَّوَكُّلُ وَلَا يُتَصَوَّرُ مِنْ فَيْلَسُوفٍ، وَلَا مِنَ الْقَدَرِيَّةِ النُّفَاةِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّهُ يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يَشَاءُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ أَيْضًا مِنَ الْجَهْمِيَّةِ النُّفَاةِ لِصِفَاتِ الرَّبِّ جَلَّجَلَالُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ التَّوَكُّلُ إِلَّا مِنْ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ»[٢].

---

(١) «لسانُ العربِ» (١٣/ ٣٩٩).

(٢) «مدارجُ السالِكِينَ» (٢/ ١١٨)، نقلَهُ العلَّامَةُ ابنُ القيمِ عن شيخِ الإسلامِ - رحمَهما اللهُ عَزَّوَجَلَّ -.



السَّمِيعُ البَصِيرُ

الدليلُ مِنَ القرآنِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [غافر: ٢٠].

وَقالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

وَقالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء: ١٣٤].

وعن عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ **قَالَتْ:** «تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ! إِنِّي لَأَسْمَعُ كَلَامَ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ وَيَخفَىٰ عَلَيَّ بَعْضُهُ، وَهِيَ تَشْتكِي زَوْجَها[١] إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهِيَ تَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَكَلَ شَبَابِي، وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي، حَتَّىٰ إِذَا كَبِرَتْ سِنِّي، وَانْقَطَعَ وَلَدِي، ظَاهَرَ مِنِّي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ. فَمَا بَرِحَتْ حَتَّىٰ نَزَلَ جِبْرَائِيلُ بِهَؤُلَاءِ الْآيَاتِ: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١]»[٢].

قَالَ العلَّامة السعديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**«السَّمِيعُ»**: لجميعِ الأصواتِ، باختلافِ

(١) زوجُها أَوْسُ بنُ الصامتِ، وكان امرأً به لَمَمٌ، وكان إذا أخذَه لَمَمُهُ واشتدَّ به يظاهِرُ من امرأتِهِ.

(٢) **حديثٌ صحيحٌ**: أخرجَه ابنُ ماجَهْ في «سننِهِ» (١/ ٦٦٦) (رقمَ: ٢٠٦٣).

اللغاتِ علىٰ تفنُّنِ الحاجاتِ.

«**البصيرُ**» الذي يُبْصِرُ كلَّ شيءٍ وإنْ دَقَّ وَصغرَ، فيبصرُ دَبيبَ النملةِ السوداءِ، في الليلةِ الظلماءِ، علىٰ الصخرةِ الصماءِ. ويبصرُ ما تحْت الأرضِينَ السبْعِ، كما يبصرُ ما فوقَ السمواتِ السبعِ. وأيضًا سميعٌ بصيرٌ بمن يستحقُّ الجزاءَ بحسبِ حكمتِهِ، والمعنىٰ الأخيرُ يرجعُ إلىٰ الحكمَةِ»(١).

وَ«وصفُهُ بأنَّه سميعٌ بصيرٌ لا يجوزُ أن يُرادَ به مجرَّدُ العلمِ بما يسمعُ ويرَىٰ؛ لأنَّ اللهَ فرَّقَ بيْن العلمِ وبيْنَ السمعِ والبصرِ، وفرَّقَ بين السمعِ والبصرِ، وهو لا يفرِّقُ بين علمٍ وعلمٍ لتنوُّعِ المعلوماتِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: ٣٦]، وفي موضعٍ آخرَ: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٧]؛ ذَكَرَ سمعَهُ لأقوالِهِمْ، وعلْمَهُ ليتناولَ باطنَ أحوالِهم.

وَقالَ لموسَىٰ وهارونَ: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

وفي «السننِ» عن النبيِّ ﷺ أنه قرأَ علىٰ المنبرِ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، ووضَعَ إبهامَهُ علىٰ أذنِهِ، وسبَّابَتَهُ علىٰ عيْنِهِ(٢).

---

(١) «تفسيرُ السعديِّ» (صحيفةُ: ٩٤٦).

(٢) **حديثٌ صحيحٌ**: أخرجَهُ أبُو داودَ في «سننِهِ» برقمِ (٤٧٢٨)، من حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وفي «صحيحِ سننِ أبي داودَ» برقمِ (٣٩٥٤).

ولا ريبَ أن مقصودَه بذلِكَ تحقيقُ الصفةِ لا تمثيلُ الخالقِ بالمخلوقِ، فلو كان السمعُ والبصرُ: العلمَ؛ لم يصحَّ ذلك»[١].

فإذا عَلِمَ العبدُ علمًا جازمًا أنَّه تحتَ سمْعِ اللهِ وبصرِهِ؛ دفعَهُ ذلك إلىٰ «صِيَانَةِ الظَّاهِرِ: بِحِفْظِ الْحَرَكَاتِ الظَّاهِرَةِ. وَصِيَانَةِ الْبَاطِنِ: بِحِفْظِ الْخَوَاطِرِ وَالْإِرَادَاتِ وَالْحَرَكَاتِ الْبَاطِنَةِ، الَّتِي مِنْهَا رَفْضُ مُعَارَضَةِ أَمْرِهِ وَخَبَرِهِ؛ فَيَتَجَرَّدُ الْبَاطِنُ مِنْ كُلِّ شَهْوَةٍ وَإِرَادَةٍ تُعَارِضُ أَمْرَهُ، وَمِنْ كُلِّ إِرَادَةٍ تُعَارِضُ إِرَادَتَهُ، وَمِنْ كُلِّ شُبْهَةٍ تُعَارِضُ خَبَرَهُ، وَمِنْ كُلِّ مَحَبَّةٍ تُزَاحِمُ مَحَبَّتَهُ. وَهَذِهِ حَقِيقَةُ الْقَلْبِ السَّلِيمِ الَّذِي لَا يَنْجُو إِلَّا مَنْ أَتَىٰ اللهَ بِهِ. وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ تَجْرِيدِ الْأَبْرَارِ الْمُقَرَّبِينَ الْعَارِفِينَ. وَكُلُّ تَجْرِيدٍ سِوَىٰ هَذَا فَنَاقِصٌ، وَهَذَا تَجْرِيدُ أَرْبَابِ الْعَزَائِمِ»[٢].

فإذَا لازمَ القلبَ يقينُ نظرِ الربِّ إليه؛ أورثَهُ من الحياءِ ما «يَجْذِبُهُ إِلَىٰ احْتِمَالِ أَعْبَاءِ الطَّاعَةِ، مِثْلَ الْعَبْدِ إِذَا عَمِلَ الشُّغْلَ بَيْنَ يَدَيْ سَيِّدِهِ؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ نَشِيطًا فِيهِ، مُحْتَمِلًا لِأَعْبَائِهِ. وَلَا سِيَّمَا مَعَ الْإِحْسَانِ مِنْ سَيِّدِهِ إِلَيْهِ، وَمَحَبَّتِهِ لِسَيِّدِهِ. بِخِلَافِ مَا إِذَا كَانَ غَائِبًا عَنْ سَيِّدِهِ. وَالرَّبُّ تَعَالَىٰ لَا يَغِيبُ نَظَرُهُ عَنْ عَبْدِهِ، وَلَكِنْ يَغِيبُ نَظَرُ الْقَلْبِ وَالْتِفَاتُهُ إِلَىٰ نَظَرِهِ سُبْحَانَهُ إِلَىٰ الْعَبِيدِ؛ فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا غَابَ نَظَرُهُ، وَقَلَّ الْتِفَاتُهُ إِلَىٰ نَظَرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَيْهِ؛ تَوَلَّدَ مِنْ ذَلِكَ قِلَّةُ الْحَيَاءِ وَالْقِحَةُ.

وَكَذَلِكَ يَحْمِلُهُ عَلَىٰ اسْتِقْبَاحِ جِنَايَتِهِ. وَهَذَا الِاسْتِقْبَاحُ الْحَاصِلُ بِالْحَيَاءِ قَدْرٌ

---

(١) «شرحُ العقيدةِ الأصفهانيَّةِ» (صحيفةُ: ١٢٢، ١٢٣)، بتصرُّفٍ يسيرٍ.

(٢) «مدارجُ السالكِينَ» (٢/ ٦٨).

زَائِدٌ عَلَىٰ اسْتِقْبَاحِ مُلَاحَظَةِ الْوَعِيدِ، وَهُوَ فَوْقَهُ.

وَأَرْفَعُ مِنْهُ دَرَجَةً: الِاسْتِقْبَاحُ الْحَاصِلُ عَنِ الْمَحَبَّةِ؛ فَاسْتِقْبَاحُ الْمُحِبِّ أَتَمُّ مِنِ اسْتِقْبَاحِ الْخَائِفِ؛ وَلِذَلِكَ فَإِنَّ هَذَا الْحَيَاءَ يَكُفُّ الْعَبْدَ أَنْ يَشْتَكِيَ لِغَيْرِ اللهِ؛ فَيَكُونَ قَدْ شَكَا اللهَ إِلَىٰ خَلْقِهِ، وَلَا يَمْنَعُ الشَّكْوَىٰ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ؛ فَإِنَّ الشَّكْوَىٰ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ فَقْرٌ، وَذِلَّةٌ، وَفَاقَةٌ، وَعُبُودِيَّةٌ، فَالْحَيَاءُ مِنْهُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ لَا يُنَافِيهَا»[(١)].

❊❊❊

---

(١) «مدارجُ السالكِينَ» (٢/ ٦٨).

العليم، العلام، العالم

الدليلُ مِنَ القرآنِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ **ٱلۡعَلِيمُ**﴾ [البقرة: ١٣٧].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ **عَلِيمٞ**﴾ [البقرة: ٢٩].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ وَٱللَّهُ **عَلِيمُۢ** بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٥].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿۞يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ **عَلَّٰمُ** ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿**عَٰلِمُ** ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٣].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿۞وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ **عَٰلِمِينَ**﴾ [الأنبياء: ٥١].

قَالَ العلَّامةُ السعديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**«العليمُ»**: وهو الذي أحاطَ علمُه بالظواهِرِ والبواطِنِ، والإسرارِ والإعلانِ، وبالواجباتِ والمستحيلاتِ والممكناتِ، وبالعالَمِ العلويِّ والسفليِّ، وبالماضِي والحاضرِ والمستقبلِ، فلا يخفىٰ عليه شيءٌ من الأشياءِ»[١].

وعلمُهُ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وَسِعَ «ما في السَّمواتِ السبعِ، والأرْضِينَ السبعِ، وما

---

(١) «تفسيرُ السعديِّ» (صحيفةُ: ٩٤٥).

بينهما، وما تحْتَ الثَّرَىٰ، وما في قَعْرِ البحارِ، ومَنْبَتَ كلِّ شعرةٍ وكلِّ شجرةٍ وكلِّ زرعٍ وكلِّ نباتٍ، ومسقطَ كلِّ ورقةٍ، وعددَ ذلك، وعددَ الحصَىٰ والرملِ والترابِ، ومثاقيلَ الجبالِ، وأعمالَ العبادِ وآثارَهُمْ، وكلامَهُم، وأنفاسَهُم، ويعلمُ كلَّ شيءٍ، لا يخفَىٰ عليه من ذلك شيءٌ، وهو علىٰ العَرْشِ فوقَ السماءِ السابعةِ»[١].

فاسمُ الجلالةِ «العليمُ» «متضمِّنٌ للعلمِ الكاملِ الذي لم يُسبَقْ بجهلٍ ولا يلحقُهُ نسيانٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢]، العلمُ الواسعُ المحيطُ بكلِّ شيءٍ جملةً وتفصيلًا، سواءً ما يتعلَّقُ بأفعالِه أو أفعالِ خلقِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ **وَيَعْلَمُ** مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا **يَعْلَمُهَا** وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا **وَيَعْلَمُ** مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦]، ﴿**يَعْلَمُ** مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [التغابُنُ: ٤]»[٢].

أَليسَ مَنْ هذا علمُهُ جديرٌ بالتعظيمِ والإجلالِ؟! إنَّه يعلمُ السرَّ وما هو أخفىٰ منه، ولا يخفَىٰ عليه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ، ﴿**أَلَا يَعْلَمُ** مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

❁❁❁

(١) «المسائلُ والرسائِلُ المرويةُ عن الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ في العقيدةِ» (١/ ٢٨٣).

(٢) «القواعِدُ المُثْلَىٰ» (صحيفةُ: ٧).





الكبير

الدليلُ مِنَ القرآنِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ١٢﴾ [غافر: ١٢].

«**الكبيرُ**»: هُوَ المَوْصُوفُ بِالجَلَالِ، وَكبَرِ الشأنِ، فَصَغُرَ دونَ جَلَالِهِ كلُّ كبيرٍ. وَيُقَالُ: هُوَ الذِي كبُرَ عَنْ شَبَهِ المَخْلُوقينَ.

وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُ المُصَلِّي: (اللهُ أَكْبَرُ) مِنْ هَذَا؛ كَأَنَّه يَقُولُ: اللهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَقُدِّمَ هَذَا القَوْلُ أَمَامَ أَفْعَالِ الصَّلَاةِ تَنْبِيهًا لِلمصلِّي؛ كيْ يُخْطِرَهُ بِبَالِهِ عِنْدَ قِيَامِهِ إِلَىٰ الصلاةِ فَلَا يَشْغَلُ خَاطِرَهُ بِغيرِهِ، وَلَا يعلِّقُ قَلْبَهُ بِشَيْءٍ سِوَاهُ. إِذَا كَانَ يَعْلَمُ أَنَّه أكبرُ مِمَّا يَشْتَغِلُ بِهِ.

وَكَانَ أبو العَبَّاسِ محمَّدُ بنُ يزيدَ النحوِيُّ لَا يَرْتَضِي هَذَا القولَ، ويَقُولُ: «لَيسَ يَقَعُ هَذَا عَلَىٰ مَحْضِ الرؤيةِ؛ لأَنَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورىٰ: ١١].

وَمِثْلُ هَذَا إِنَّما يَكُونُ فِي الشيْئَينِ يَكونَانِ مِنْ جِنْسٍ واحدٍ. فَيقَالُ: هَذَا أكبرُ مِنْ هَذا؛ إِذَا شَارَكَهُ فِي بَابٍ»[١].

---

(١) انظرْ: «كامِلَ المبردِ» (ص ٦٩٦، ٦٩٧).

وَقَالَ أبو عُبَيدَةَ: «(اللهُ أكْبَرُ) مَعْنَاهُ: اللهُ كبيرٌ. وَأنشَدَ لِلفَرَزْدقِ:

إنَّ الـذِي سَـمَكَ السـمَاءَ بَنَـىٰ لَنَـا ... بَيتًـا دَعَائِمُـه أعَـزُّ وَأطـوَلُ[١]»[٢]

قَالَ شيخُ الإسلامِ:

«أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ هُوَ الْأَعْلَىٰ، وَهُوَ الْأَكْبَرُ؛ وَلِهَذَا: كَانَ شِعَارُ أَكْمَلِ الْمِلَلِ هُوَ: «اللهُ أَكْبَرُ»؛ فِي صَلَوَاتِهِمْ وَأَذَانِهِمْ وَأَعْيَادِهِمْ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ: **«يَا عَدِيُّ! مَا يُفِرُّكَ؟ أَيُفِرُّكَ أَنْ يُقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَا عَدِيُّ؟! فَهَلْ تَعْلَمُ مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ؟ يَا عَدِيُّ مَا يُفرُّكَ؟ أَيُفِرُّكَ أَنْ يُقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ؟ فَهَلْ تَعْلَمُ شَيْئًا أكبرَ مِنَ اللهِ؟!»**؛ وَبِهَذَا تَبَيَّنَ صَوَابُ مَنْ قَالَ مِنَ الْفُقَهَاءِ: إِنَّهُ لَا يَجُوزُ إِبْدَالُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ بِقَوْلِنَا: اللهُ الْكَبِيرُ. مَعَ أَنَّ كَشْفَ هَذَا لَهُ مَوْضِعٌ آخَرُ»[٣].

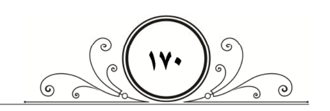
❊❊❊

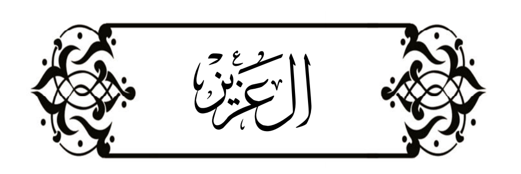
---

(١) «ديوانُ الفرزدقِ» (٢/ ٧١٤) مطلعُ قصيدةٍ، والبيتُ في «الكاملِ» (ص ٦٩٧).

(٢) «شأنُ الدعاءِ» (صحيفةُ: ٦٦) للخطابيِّ.

(٣) «مجموعُ الفتاوَىٰ» (٢/ ٨٧).





الدليلُ مِنَ القرآنِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ **ٱلۡعَزِيزُ**﴾ [الشورىٰ: ١٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ **ٱلۡعَزِيزِ** ٱلۡحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨].

وقولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾ [النساء: ١٣٩].

«**الْعَزِيزُ**» [لغةً]: أصلُ (ع ز ز) فِي الْكَلَامِ: الْغَلَبَةُ والشدَّةُ، وَيُقَالُ: عزَّنِي فلَانٌ علىٰ الْأَمرِ؛ إِذا غلبَنِي عَلَيْهِ.

قَالَ اللهُ - تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ -: ﴿**فَعَزَّزۡنَا** بِثَالِثٖ﴾ [يس: ١٤]؛ أَرَادَ - وَاللهُ أعلمُ -: قوَّيْنَا أمرَهُ وشدَدْنَاهُ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣]، أَرَادَ: غَلَبَنِي.

وَقَالَ جريرٌ:

يعـزُّ علـىٰ الطَّرِيـقِ بمنكبيْـهِ ... كَمَـا ابتـرَكَ الخليـعُ علـىٰ القـداحِ

وَيُقَالُ: عَزَّهُ يعزُّهُ، وَاللهُ تَعَالَىٰ هُوَ الْغَالِبُ كلَّ شَيْءٍ؛ فَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي ذلَّ لعزَّتِهِ كلُّ عَزِيزٍ.

وَقَالَ أَبُو كَبِيرٍ الْهُذَلِيُّ وَوصفَ عُقَابًا واعْتَظَلَتْ فِي جَبَلٍ.

حَتَّىٰ انْتَهَيْتَ إِلَىٰ فَرَاشِ عزيزةٍ   سَوْدَاءَ رَوْثَةُ أنفِها كالمخصفِ»[1]

ومعنَىٰ اسمِ اللهِ «العزيزِ»؛ أي: «الذي له العزَّةُ كلُّها: عزَّةُ القوَّةِ، وعزَّةُ الغلبةِ، وعزَّةُ الامتناعِ؛ فامتنعَ أن ينالَهُ أحدٌ من المخلوقاتِ، وقهَرَ جميعَ الموجوداتِ، ودانتْ له الخليقةُ وخضعتَ لعظمتِهِ. «القويُّ، المتينُ» هو في معنَىٰ «العزيزِ»»[2].

وقدْ جمعَ الخطابيُّ ما ذُكِرَ في معنَى اسمِ اللهِ «العزيزِ» لغةً وشرعًا؛ فقالَ:

«هُوَ المَنِيعُ الذِي لَا يُغْلَبُ، وَالعِزُّ فِي كَلَامِ العَرَبِ عَلىٰ ثَلَاثةِ أَوْجُهٍ:

أَحَدُهَا: بِمَعْنَىٰ الغلَبَةِ، ومِنْهُ قَوْلُهُمْ:

(مَنْ عزَّ بزَّ)[3]؛ أيْ: مَنْ غَلَبَ سَلَبَ، يُقَالُ مِنْهُ: عَزَّ يعُزُّ؛ بضمِّ العينِ مِن «يعُزُّ». وَمِنْهُ قوْلُ اللهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣].

والثانِي: بِمَعْنَىٰ الشدةِ والقوةِ؛ يُقَالُ مِنْهُ: عَزَّ يَعَزُّ؛ بفتحِ العينِ مِن «يَعَزُّ»؛ كَقَوْلِ الهُذَلِيِّ - يَصِفُ العُقَابَ -:

حَتىٰ انْتَهيْتُ إلىٰ فِرَاشِ عَزِيزَةٍ   سَوداءَ رَوْثةُ أنفِهَا كَالمِخْصَفِ[4]

---

(١) «تفسيرُ أسماءِ اللهِ الحُسْنىٰ» (صحيفةُ: ٣٤) للزجاجِ.

(٢) «تفسيرُ السعديِّ» (صحيفةُ: ٩٤٦).

(٣) قالتِ الخنْساءُ في رثاءِ أخوَيْهَا - «الديوانُ» (ص ٨٦) -:

كَأَنْ لَمْ يَكُونُوا حِمًىٰ يُتَّقَىٰ   إِذِ النَّاسُ إذْ ذاك مَنْ عَزَّ بَزَّا

(٤) «ديوانُ الهُذَلِيِّينَ»، القسمُ الثاني (ص ١١٠)، و«شرحُ أشعارِهِم» للسكريِّ (ص ١٠٨٩)، آخرُ قصيدةٍ =

جَعَلَهَا عَزِيزَةً؛ لأنهَا مِنْ أَقْوَىٰ جَوَارِحِ الطَّيرِ.

وَالوَجْهُ الثالِثُ: أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَىٰ نَفَاسَةِ القَدرِ؛ يقالُ مِنه: عَزَّ الشيْءُ يَعِزُّ؛ بكسرِ العينِ منْ «يَعِزُّ»؛ فَيَتَأَوَّلُ مَعْنَىٰ «العَزِيْزِ» عَلَىٰ هذَا؛ أَنَّه الذِي لَا يعَادِلُهُ شَيْءٌ، وأنه لَا مِثلَ لَه، وَلَا نَظيرَ. واللهُ أعلمُ»[١].

وَقَد نَظَمَ معانِيَ اسمِ اللهِ «العزيزِ» العلامةُ ابنُ قيمِ الجوزيةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الكافيةِ الشافيةِ» فقالَ:

3262- وهُوَ العَزِيزُ فَلَنْ يُرامَ جَنَابُهُ	أَنَّىٰ يُرامُ جَنَابُ ذِي السُّلطَانِ
3263- وهُوَ العَزيزُ القَاهرُ الغلَّابُ لمْ	يَغلِبْهُ شَيءٌ هَذِهِ صِفَتَانِ
3264- وهُوَ العَزيزُ بقُوَّةٍ هِيَ وَصفُهُ	فَالعِزُّ حِينَئِذٍ ثَلاثُ مَعَانِ
3265- وَهْيَ الَّتي كَمُلَتْ لَهُ سُبحَانَهُ	مِنْ كُلِّ وَجْهٍ عَادِمِ النُّقصَانِ[٢]

❊❊❊

=

لأبي كبيرٍ الهُذليِّ، أبياتُها (٢٣) بيتًا، مطلعُهَا:

أَزُهيرُ هَلْ عَنْ شَيْبةٍ مِنْ مصرفٍ	أَمْ لَا خُلودَ لبَاذلٍ متكلِّفِ

(١) «شأنُ الدعاءِ» (صحيفةُ: ٤٧).

(٢) «الكافيةُ الشافيةُ».



الجبار المتكبر

الدليلُ مِنَ القرآنِ:

قولُه تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

««**الْجَبَّارُ**»: أصلُ (جَبَرَ) فِي الْكَلَامِ إِنَّمَا وضعِ للنماءِ والعلوِّ، وَيُقَالُ: جبرَ اللهُ الْعظمَ؛ إِذا نمَّاهُ، وَقَالَ العَجَّاجُ:

قَـدْ جَبَـرَ الـدِّينَ الْإِلَـهُ فجَبَـرَ ....

وَيُقَال: نَخْلَةٌ جبَّارَةٌ؛ إِذا فَاتَتِ الْيَدَ، وفواتُها الْيَدَ علوٌّ وَزِيَادَةٌ.

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

طَرِيـقٌ وجبَّـارٌ رِواءٌ أُصُـولُه ... عَلَيْـهِ أبابيـلٌ مـنَ الطيـرِ تَنْعَـبُ

وَاللهُ تَعَالَىٰ عَالٍ علىٰ خلقِهِ بصفاتِهِ الْعَالِيَةِ وآياتِهِ الْقَاهِرَةِ، وَهُوَ الْمُسْتَحقُّ للعلوِّ والجبروتِ، تَعَالَىٰ»[1]، وَقالُوا: «هو بمعنَىٰ: «العليِّ الأعلَىٰ»، وبمعنَىٰ: «القهَّارِ»، وبمعنىٰ: «الرَّؤوفِ»؛ الجابِرِ للقلوبِ المنكَسِرَةِ، وللضعيفِ العاجِزِ، ولِمَنْ لَاذَ به ولجأَ إليه»[2].

(١) «تفسيرُ أسماءِ اللهِ» (صحيفةُ: ٣٤) للزجاجِ.

(٢) «تفسيرُ السعديِّ» (صحيفةُ: ٩٤٦).

وَ«**المتكبِّرُ**» [لغةً]: متفعِّلٌ مِنَ الْكِبْرِ، وأصلُ (تفعَّلَ) فِي الْكَلَامِ مَوْضُوعٌ لمن تعاطَىٰ الشَّيْءَ، وَلَيْسَ هُوَ من أَهلِهِ! يُقَالُ: تحلَّمَ فلَانٌ وتعظَّمَ، وَقَالَ [الشاعرُ]:

تحلَّمْ عَنِ الأَدْنَيْنِ واستبقِ ودَّهُم ... وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الْحلمَ حَتَّىٰ تَحَلَّمَا

يَقُولُ: لَا تبلغُ فِيهِ مبلغًا رَضِيًّا حَتَّىٰ تتعاطَاهُ. وَلَا مُسْتَحقَّ لصفةِ الْكِبْرِ والتكبُّرِ إِلَّا اللهُ سُبْحَانَهُ، كَمَا رُوِيَ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ حاكيًا عَن ربِّه أَنَّه قَالَ سُبْحَانَهُ: «**الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، فَمَنْ نَازَعَنِي رِدَائِي قَصَمْتُهُ**»»(١)، وَقالُوا: معناهُ: أنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ «**المتكبِّرُ**» عن السوءِ والنقصِ والعيوبِ؛ لعظمتِهِ وكبريائِهِ، وعن مماثلةِ أحدٍ، وعن أنْ يكونَ له كفوٌ أو ضدٌّ أو سَمِّيٌ أو شريكٌ في خصائصِهِ وحقوقِهِ»(٢).

قَالَ ابنُ قيِّمِ الجوزيَّةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

3326- وكذلكَ الجَبَّارُ في أَوْصافِهِ ... والجَبْرُ في أَوْصَافِهِ نَوْعَانِ
3327- جَبْرُ الضَّعِيفِ وكُلُّ قَلْبٍ قد غَدَا ... ذَا كَسْرَةٍ فَالجَبْرُ مِنْهُ دَانِ
3328- والثَّانِي جَبْرُ القَهْرِ بِالعِزِّ الَّذي ... لا يَنْبَغِي لِسِوَاهُ مِنْ إِنْسَانِ
3329- ولَهُ مُسَمًّىٰ ثَالِثٌ وَهُوَ العُلُـ ... ـوُّ فَلَيْسَ يَدْنُو مِنْهُ مِنْ إِنْسَانِ
3330- مِنْ قولِهِمْ جَبَّارةٌ للنَّخْلَةِ الـ ... عُلْيَا التي فاتَتْ لِكُلِّ بَنَانِ(٣)

ذكَرَ ابنُ قيِّمِ الجوزيةِ في هذِهِ الأبياتِ «ثلاثةَ معانٍ، كلُّها داخلةٌ فيه بحيثُ

(١) «تفسيرُ أسماءِ اللهِ» (صحيفةُ: ٣٥) للزجاجِ.
(٢) «تفسيرُ السعديِّ» (صحيفةُ: ٩٤٦).
(٣)«الكافيةُ الشافيةُ».

يصحُّ إرادتُها منْهُ:

أحدُها: أنه الذي يجبُرُ ضعفَ الضعفاءِ من عبادِهِ، ويجبُرُ كسْرَ القلوبِ المنكسِرَةِ من أجلِهِ، الخاضعَةِ لعظمتِهِ وجلالِهِ؛ فكمْ جَبَرَ سُبحانَه من كسِيرٍ، وأغنىٰ من فقيرٍ، وأعزَّ من ذليلٍ، وأزالَ من شدَّةٍ، ويسَّرَ من عسيرٍ!!

وكمْ جَبَرَ من مصابٍ، فوفَّقَهُ للثباتِ والصبْرِ، وأعاضَهُ من مصابِهِ أعظمَ الأجرِ!!

فحقيقةُ هذا الجَبْرِ: هو إصلاحُ حالِ العبدِ بتخليصِهِ من شدَّتِهِ ودفعِ المكارِهِ عنهُ.

[**والثانِي**]: أنَّه القهَّارُ، دانَ كلُّ شيءٍ لعظمتِهِ، وخضعَ كلُّ مخلوقٍ لجبروتِهِ وعزَّتِهِ؛ فهو يُجْبِرُ عبادَهُ علىٰ ما أرادَ مما اقتضَتْهُ حكمتُهُ ومشيئَتُهُ؛ فلا يستطيعُونَ الفكاكَ منْهُ.

والثالثُ: أنَّه العليُّ بذاتِهِ فوقَ جميعِ خلقِهِ؛ فلا يستطيعُ أحدٌ منهم أنْ يدنوَ منه»[١].

واسمُهُ «**الجبَّارُ والمتكبِّرُ**» «ثبتَ بالنصِّ والإجماعِ أنها مختصَّةٌ باللهِ، وأنه ليسَ للعبادِ فيها نصيبٌ؛ كقولِ النبيِّ ﷺ في الحديثِ الصحيحِ الذي رواه مسلمٌ وغيرُهُ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: الْعَظَمَةُ إِزَارِي، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ**»»[٢].

❊❊❊

(١) انظر: «شرحُ النونية» -تحت الآبيات السالف ذكرها- للعلامة خليلِ هراسٍ.

(٢) «الصَّفَدِيَّةُ» (٢/ ٣٣٨).

تنبيهٌ: «وصنَّفَ أبُو حامدٍ «شرحَ أسماءِ اللهِ الحُسْنَىٰ»، وضمَّنَه التشبُّهَ باللهِ في كلِّ اسمٍ من أسمائِهِ، وسمَّاهُ «التخلُّقَ»، حتىٰ في اسمِهِ «الجبارِ، والمتكبِّرِ، والإلهِ»! وسلَكَ هذا المسلَكَ ابنُ عربيٍّ وابنُ سبعِينَ وغيرُهُما من ملاحدةِ الصوفيَّةِ». «الصفديَّةُ» (٢/ ٣٣٨).



الدليلُ مِنَ القرآنِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ **ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام: ١٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ **ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام: ٧٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِۚ وَهُوَ **ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ**﴾ [سبأ: ١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا **حَكِيمًا**﴾ [النساء: ١٦٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ **ٱلْخَبِيرُ**﴾ [الملك: ١٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ **خَبِيرًا**﴾ [الفرقان: ٥٨].

«**الحكيمُ**»: هُوَ المُحْكِمُ لِخَلْقِ الأشْيَاءِ.

قَالَ - جَلَّ وَعَزَّ -: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ **ٱلْحَكِيمِ** ۝١﴾ [يونس: ١].

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿كِتَٰبٌ **أُحْكِمَتْ** ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١].

فَدَلَّ عَلَىٰ أن المرادَ بـ«**الحَكِيمِ**» هُنَا: الذي أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ، صُرِف عن (مُفْعَلٍ) إلَىٰ (فَعِيلٍ). وَمَعْنَىٰ الإحْكَامِ لِخَلْقِ الأشْيَاءِ إنما يَنْصَرِفُ إلَىٰ إتْقَانِ التَّدْبِيرِ فِيها، وَحُسْنِ التقْدِيرِ لَهَا؛ إذْ لَيْسَ كُلُّ الخَلِيقَةِ مَوْصُوفًا بِوَثَاقَةِ البِنْيَةِ، وَشِدَّةِ الأسْرِ؛ كَالبَقَّةِ، والنمْلَةِ، وَمَا أَشْبهَهُمَا مِنْ ضِعَافِ الخَلْقِ، إلا أن التدبيرَ فِيهِمَا، والدِّلَالَةَ بهمَا عَلَىٰ كَوْنِ الصانِعِ وإثبَاتِهِ، لَيسَ بِدُونِ الدِّلَالَةِ عَلَيْهِ بِخَلْقِ السمَواتِ والأَرْضِ والجبَالِ وَسَائِرِ مَعَاظِمِ الخَلِيقَةِ؟!

وَكَذلِكَ هَذَا فِي قَوْلِهِ - جَلَّ وَعَزَّ -: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧]؛ لَم تَقَعِ الإشَارَةُ بِهِ إلَىٰ الحُسْنِ الرَّائِقِ فِي المَنْظَرِ؛ فَإِنَّ هَذَا المَعْنَىٰ مَعْدُومٌ فِي القِردِ، والخِنْزِيرِ، والدُّبِّ، وَأَشْكَالِهَا مِنَ الحَيَوَانِ، وإنما يَنْصَرِفُ المَعْنَىٰ فِيهِ إلىٰ حُسنِ التدبيرِ فِي إنشَاءِ كلِّ شَيءٍ مِنْ خَلقِهِ علىٰ ما أحبَّ أنْ ينشِئَهُ عَلَيهِ، وإبرازِهِ عَلىٰ الهَيئَةِ التي أرَادَ أنْ يهيِّئَهُ عَلَيها؛ كقَولِهِ تَعالَىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىۡءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]»[1].

فاللهُ سُبحانَه «هو الذي له الحكْمَةُ العُلْيَا في خلقِهِ وأمرِه، ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدةُ: ٧]، ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمًا لِّقَوۡمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدةُ: ٥٠]، فلَا يخلقُ شيئًا عبثًا، ولا يشرعُ شيئًا سُدًى، الذي له الحُكْمُ في الأولىٰ والآخرَةِ، وله الأحكامُ الثلاثةُ لا يشارِكُهُ فيها مشاركٌ؛ فيحْكُمُ بين عبادِهِ، في شرعِهِ، وفي قدَرِهِ

(١) «شأنُ الدعاءِ» (صحيفةُ: ٧٣).

وجزائِهِ. والحكمةُ: وضعُ الأشياءِ مواضعَها، وتنزيلُها منازلَها»(١).

قَالَ ابنُ قيِّمِ الجوزيةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

3266-وهو الحكيمُ وذَاكَ مِنْ أوْصَافِه ... نَوْعَانِ أيْضًا مَا هُمَا عَدَمَانِ

3267-حُكْمٌ وإحْكَامٌ فَكُلٌّ مِنْهُمَا ... نَوْعَانِ أيْضًا ثَابِتَا البُرْهَانِ(٢)

وَ«**الحكيمُ**» «يَتَضَمَّنُ حُكْمَهُ وَعِلْمَهُ وَحِكْمَتَهُ فِيمَا يَقُولُهُ وَيَفْعَلُهُ؛ فَإِذَا أَمَرَ بِأَمْرٍ كَانَ حَسَنًا، وَإِذَا أَخْبَرَ بِخَبَرٍ كَانَ صِدْقًا، وَإِذَا أَرَادَ خَلْقَ شَيْءٍ كَانَ صَوَابًا؛ فَهُوَ حَكِيمٌ فِي إرَادَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ»(٣).

واسمُهُ سُبحانَه «الخبيرُ» بـ«معنىٰ «الْعَالِمِ»، وَقَالَ [الشاعرُ]:

إِذا لاقَيْتِ قَومِي فاسأَلِيهم ... كَفَىٰ قومًا بِصَاحِبِهِمْ خَبِيرَا»(٤)

وَقالُوا: «الفرقُ بَيْنَ العلمِ والخَبْرِ: أنَّ الخَبْرَ هو العلمُ بكُنْهِ المعلوماتِ علىٰ حقائِقِهَا؛ ففيه معنًىٰ زائدٌ علىٰ العلمِ»(٥).

ومنْه «قَوْلُه [تَعَالىٰ]: ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٩].

يُقَالُ: فُلَانٌ بِهَذَا الأَمْرِ خَبِيرٌ؛ وَلَه بِهِ خبْرٌ، وَهُوَ أَخْبَرُ بِهِ مِنْ فُلَانٍ؛ أَيْ: أَعْلَمُ.

---

(١) «تفسيرُ السعديِّ» (صحيفةُ: ٩٤٥).

(٢) «الكافيةُ الشافيةُ».

(٣) «مجموعُ الفتاوىٰ» (١٤/ ١٨٠).

(٤) «تفسيرُ أسماءِ اللهِ» (صحيفةُ: ٤٥) للزجاجِ.

(٥)«الفروقُ» (ص ٧٤) للعسكريِّ.

إِلَّا أن الخُبْرَ فِي صِفَةِ المَخْلُوقِينَ إنما يُسْتَعْمَلُ في نَوْعِ العِلْمِ الذِي يَدْخلُه الاِخْتِبَارُ، وَيُتَوَصَّلُ إِلَيْهِ بالِامْتحَانِ والِاجْتِهادِ، دونَ النَّوعِ المَعْلُومِ بِبَدَائِهِ العُقولِ.

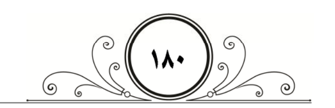
وَعِلْمُ اللهِ - سُبْحَانَهُ - سَوَاءٌ فِيمَا غَمضَ مِنَ الأَشْيَاءِ وفيما لَطُفَ، وَفيمَا تَجَلَّىٰ بهِ مِنه وَظَهَرَ. وَإنما تختَلِفُ مَدارِكُ عُلُومِ الآدميِّينَ الذِينَ يَتَوَصَّلُونَ إِلَيْها بِمُقدمَاتٍ مِنْ حِسٍّ، وَبِمُعَاناةٍ مِن نَظَرٍ، وَفِكْرٍ؛ وَلذَلِكَ قِيلَ لهم: لَيْسَ الخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ، وَتَعَالَىٰ اللهُ عَن هَذِهِ الصفَاتِ عُلُوًّا كَبيرًا»(١).

فاسمُ اللهِ «الخبيرُ» يُرْدَفُ بـ«العليمِ» تارةً؛ فيكونُ بمعنَىٰ: الذي لا تخفَىٰ عليه خافيةٌ، يعلمُ السرَّ وأخفَىٰ، ويُردفُ بـ«الحكيمِ» تارةً؛ فيكونُ بمعنىٰ أثرِ العلمِ علىٰ الفعلِ أو القولِ منه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ فهو حكيمٌ في فعلِهِ وقولِهِ، خبيرٌ، فما وقع هذا الفعلُ منه إلا بعلمٍ مطْلَقٍ، ليس كعلمِ المخلوقين الذي يسبقُهُ جهلٌ ويلحقُهُ نسيانٌ، وأمَّا علمُ اللهِ وخُبْرُهُ؛ فهو الكمالُ كلُّه من كلِّ جوانبِهِ.

❊❊❊

---

(١) «شأنُ الدعاءِ» (صحيفةُ: ٦٣).





الحليم

الدليلُ مِنَ القرآنِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

««**الْحَلِيمُ**»: هُوَ الَّذِي لَا يعاجِلُ بالعقوبَةِ، فَكلُّ من لَا يعاجِلُ بالعقوبةِ سمِّيَ فِيمَا بَيْننَا حَلِيمًا، وَلَيْسَ قَولُ من قَالَ: «إِنَّ الْحَلِيمَ هُوَ من لَا يُعَاقِبُ»؛ بصوابٍ، أَمَا سمِعَ قَولَ الشَّاعِرِ الفصيحِ - وَأَظنُّهُ كثيرًا -:

حَلِيمًا إِذا مَا نَالَ عاقبَ مُجملًا ... أَشد الْعقَابِ أَو عَفَا لم يثرِّب

وَوصفَ اللهُ تَعَالَىٰ بالحلمِ المخلوقِينَ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]»[(١)].

فاللهُ سُبحانَه «يُدِرُّ علىٰ خلقِهِ النعمَ الظاهرةَ والباطنةَ، مع معاصِيهم وكثرةِ زلَّاتِهم، فيحلُمُ عن مقابلةِ العاصِينَ بعصيانِهم، ويستعتبُهم كي يتوبُوا، ويمهلُهم كي يُنيبُوا»[(٢)]؛ فهو الحليمُ بهم، وهم المسيئُونَ، يعاملُهم برحمتِهِ وحلمِهِ وسترِهِ،

---

(١) «تفسيرُ أسماءِ اللهِ» (صحيفةُ: ٤٦) للزجاجِ.

(٢) «تفسيرُ السعديِّ» (صحيفةُ: ٩٤٨).

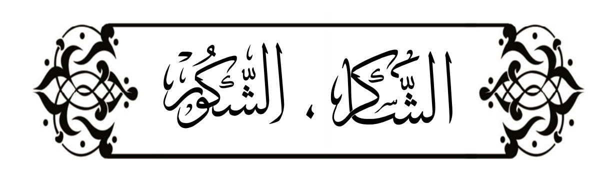
ولا يخرِجُ عبدًا من سَتْرِهِ وحلمِهِ إلَّا إذا تجبَّرَ العبدُ وفجَرَ وأساءَ.

فـ«له الحلمُ الكاملُ الذي وَسِعَ أهلَ الكفرِ والفسوقِ والعصيانِ؛ حيثُ أمهلَهُم ولم يعاجِلْهم بالعقوبَةِ ليتوبُوا، ولو شاءَ لأخذَهم بذنوبِهم فورَ صدورِهَا منهم؛ فإنَّ الذنوبَ تقتضِي تَرتُّبَ آثارِها عليها من العقوباتِ العاجلةِ المتنوعةِ، ولكنَّ حلْمَه سُبحانَه هو الذي اقتضَىٰ إمهالَهُم»[1].

---

(١) «شرحُ النونيَّةِ» للعلامة خليل هراس.





الدليلُ مِنَ القرآنِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ **شَاكِرٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ١٥٨].

وَقالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ **شَكُورٌ حَلِيمٌ**﴾ [التغابن: ١٧].

وَقالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ **شَاكِرًا عَلِيمًا**﴾ [النساء: ١٤٧].

قَالَ الإمامُ السعديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**«الشاكِرُ الشكورُ»**: الذي يشكرُ القليلَ من العملِ، ويغفرُ الكثيرَ من الزَّلَلِ، ويضاعِفُ للمخلصِينَ أعمالَهم بغير حسابٍ، ويشكُرُ الشاكِرِينَ، ويذكُرُ من ذَكَرَهُ، ومن تقرَّبَ إليه بشيءٍ من الأعمالِ الصالحةِ تقرَّبَ اللهُ منه أكثرَ»(١).

فاللهُ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ هو «الشكورُ علىٰ الحقيقةِ؛ فإنَّه يعطِي العبدَ ويوفِّقُه لِمَا يشكرُه عليه، ويشكرُ القليلَ من العملِ والعطاءِ، فلا يستقلُّه أن يشكرَه، ويشكرُ الحسنةَ بعشرِ أمثالِها إلىٰ أضعافٍ مضاعفةٍ، ويشكرُ عبدَهُ بقولِهِ؛ بأن يثنِيَ عليه بين ملائكتِهِ وفي ملئِهِ الأعلىٰ، ويلقي له الشُّكْرَ بين عبادِهِ، ويشكرُهُ بفعلِهِ؛ فإذا

---

(١) «تفسيرُ السعديِّ» (صحيفةُ: ٩٤٨).

تركَ له شيئًا أعطاهُ أفضلَ منه، وإذا بَذَلَ له شيئًا ردَّهُ عليه أضعافًا مضاعفةً، وهو الذي وفَّقَهُ للتركِ والبذلِ، وشكَرَهُ علىٰ هذا وذاك.

ولمَّا عَقَرَ نبيُّهُ سليمانُ الخيلَ غضبًا لَهُ إذ شغلَتْه عن ذكرِهِ، فأرادَ ألا تشغلَهُ مرَّةً أخرىٰ؛ أَعَاضَهُ عنها مَتْنَ الريحِ.

ولمَّا تركَ الصحابةُ ديارَهم وخرجُوا منها في مرضاتِهِ؛ أعاضَهُم عنها أنْ ملَّكَهُم الدنيَا وفتحَهَا عليهم.

ولمَّا احتملَ يوسفُ الصدِّيقُ ضيقَ السجنِ؛ شَكَرَ له ذلك بأنْ مكَّنَ له في الأرضِ يتبوَّأُ منها حيثُ يشاءُ.

ولمَّا بذلَ الشهداءُ أبدانَهُم له حتىٰ مزَّقَها أعداؤُه؛ شَكَرَ لهم ذلك بأنْ أعاضَهُم منها طَيْرًا خُضْرًا أقرَّ أرواحَهُم فيها، تَرِدُ أنهارَ الجنَّةِ، وتأكُلُ من ثمارِها إلىٰ يومِ البعثِ فيردُّها عليهم أكْملَ ما تكونُ وأجملَهُ وأبهاهُ.

ولمَّا بذلَ رسلُه أعراضَهم فيه لأعدائِهم، فنالُوا منهم وسبُّوهم؛ أعاضَهُم من ذلك بأنْ صلَّىٰ عليهم هو وملائكَتُه، وجعلَ لهم أطيبَ الثناءِ في سمواتِهِ وبين خلقِهِ، فأخلَصَهم بخالصةٍ ذِكْرَىٰ الدارِ.

ومِنْ شُكْرِهِ سُبحانَه أنه يجازِي عدوَّهُ بما يفعلُهُ من الخيرِ والمعروفِ في الدنيَا، ويخفِّفُ به عنه يومَ القيامةِ، فلا يضِيعُ عليه ما يعملُه من الإحسانِ وهو مِن أبغضِ خلقِهِ إليه.

ومن شُكْرِهِ أنَّه غَفَرَ للمرأةِ البغيِّ بسَقْيِها كلبًا كان قد جهدَهُ العطشُ حتىٰ أكلَ

الثَّرىٰ، وغفَرَ لآخَرَ بتنحِيَتِهِ غُصْنَ شوكٍ عن طريقِ المسلمينَ.

فهو سُبحانَه يشكُرُ العبدَ علىٰ إحسانِهِ لنفسِهِ، والمخلوقُ إنما يشكرُ مَنْ أحسَنَ إليه، وأبلغُ من ذلك أَنَّه سُبحانَه هو الذي أعطىٰ العبدَ ما يُحسِنُ به إلىٰ نفسِهِ، وشكَرَه علىٰ قليلِهِ بالأَضعافِ المضاعفةِ التي لا نسبةَ لإحسانِ العبدِ إليها؛ فهو المحسِنُ بإعطاءِ الإحسانِ وإعطاءِ الشكرِ، فمَنْ أحقُّ باسمِ «الشكورِ» منه سُبحانَه!

وتأمَّلْ قولَهُ سُبحانَه: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧]؛ كَيْفَ تجدُ في ضِمْنِ هذا الخطابِ أنَّ شكْرَه تَعَالَىٰ يأبَىٰ تعذيبَ عبادِهِ سُدًىٰ بغيرِ جُرْمٍ، كما يأبَىٰ إضاعةَ سعْيِهم باطلًا؛ فالشكورُ لا يُضيعُ أجرَ محسنٍ، ولا يعذِّبُ غيرَ مسيءٍ.

وفي هذا ردٌّ لقولِ من زعَمَ أنَّه سُبحانَه يكلِّفُه ما لا يطيقُهُ، ثمَّ يعذِّبُه علىٰ ما لا يدخلُ تحْتَ قدرتِهِ؛ تَعَالَىٰ اللهُ عن هذا الظنِّ الكاذبِ والحسبانِ الباطلِ علوًّا كبيرًا.

فشكرُهُ سُبحانَه اقتضَىٰ أن لا يعذِّبَ المؤمنَ الشكورَ، ولا يضيعَ عملَهُ، وذلك من لوازمِ هذه الصفةِ؛ فهو منزَّهٌ عن خلافِ ذلك، كما ينزَّهُ عن سائرِ العيوبِ والنقائصِ، التي تنافِي كمالَهُ وغنَاهُ وحمدَهُ.

ومِن شُكْرِهِ سُبحانَه أنَّه يخرِجُ العبدَ من النارِ بأدنَىٰ مثقالِ ذرَّةٍ من خيرٍ، ولا يُضيعُ عليه هذا القدْرَ.

ومن شكرِهِ سُبحانَه أنَّ العبدَ مِن عبادِهِ يقومُ له مقامًا يُرضِيه بين الناسِ؛ فيشكرُهُ له، ويُنَوِّهُ بذكرِهِ، ويخبِرُ به ملائكتَهُ وعبادَهُ المؤمنِينَ؛ كما شَكَرَ لمؤمنِ

آلِ فرعونَ ذلك المقامَ، وأثنىٰ به عليه، ونَوَّهَ بذكرِهِ بين عبادِهِ.

وكذلك شكرُه لصاحبِ (يس) مقامَهُ ودعوَتَهُ إليه، فلا يهلكُ عليه بيْن شكرِهِ ومغفرتِهِ إلا هالكٌ؛ فإنَّه سُبحانَه غفورٌ شكورٌ يغفرُ الكثيرَ من الزَّلَلِ، ويشكرُ القليلَ من العملِ.

ولمَّا كان سُبحانَه هو الشكورَ علىٰ الحقيقةِ؛ كان أحبُّ خلقِهِ إليه من اتَّصفَ بصفةِ الشكرِ، كما أن أبغضَ خلقِهِ إليه مَن عطَّلَها واتصفَ بضدِّها، وهذا شأنُ أسمائِهِ الحسنىٰ؛ أحبُّ خلقِه إليه من اتصفَ بموجبِها، وأبغضُهم إليه من اتصفَ بأضدادِهَا؛ ولهذا يبغضُ الكفورَ الظالمَ، والجاهلَ، والقاسيَ القلبِ، والبخيلَ، والجبانَ، والمَهِينَ، واللَّئِيمَ.

وهو سُبحانَه جميلٌ يحبُّ الجَمالَ، عليمٌ يحبُّ العلماءَ، رحيمٌ يحبُّ الراحِمِينَ، محسِنٌ يحِبُّ المحسنينَ، شكورٌ يحِبُّ الشاكِرِينَ، صبورٌ يحبُّ الصابِرِينَ، جوادٌ يحبُّ أهلَ الجودِ، ستارٌ يحبُّ أهلَ الستْرِ، قادرٌ يلومُ علىٰ العجْزِ، والمؤمنُ القويُّ أحبُّ إليه من المؤمِنِ الضعيفِ، عفوٌّ يحبُّ العفوَ، وتْرٌ يحبُّ الوترَ.

وكلُّ ما يحبُّه فهو من آثارِ أسمائِهِ وصفاتِهِ وموجبِها، وكلُّ ما يبغضُهُ فهو ممَّا يضادُّها وينافِيهَا»[1].

❁❁❁

(١) «عدةُ الصابرِينَ» (صحيفةُ: ٢٨٠).

الحقّ، المبين

الدليلُ مِنَ القرآنِ:

قولُه تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ **ٱلۡحَقُّ** وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦﴾ [الحج: ٦].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ **ٱلۡحَقُّ** لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ **ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ**﴾ [النور: ٢٥].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ **ٱلۡحَقِّ** أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢].

قَالَ الخطَّابِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**«الحَقُّ»**: هُوَ المُتَحَقِّقُ كَوْنُهُ وَوُجُودُهُ، وكُلُّ شَيْءٍ صَحَّ وجُودُهُ وَكوْنُهُ؛ فَهُوَ حَقٌّ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ٢﴾ [الحاقة: ١، ٢].

مَعْنَاهُ - واللهُ أعلمُ -: الكَائِنَةُ حَقًّا لَا شَكَّ في كَوْنِهَا، وَلَا مَدْفَعَ لِوُقُوعِهَا، وَيُقالُ: الجَنَّةُ حَقٌّ، والنارُ حَقٌّ، والسَّاعَةُ حَقٌّ. يُرَادُ أن هَذِهِ الأَشْيَاءَ كَائِنَةٌ لَا مَحَالَةَ.

والعَرَبُ تَقُولُ: إن فُلَانًا الرجُلُ حَقَّ الرجُلِ، والشجَاعُ حَقَّ الشُّجَاعِ، وحاقَّ الشجَاعِ، وَحَاقَّةَ الشجَاعِ؛ إِذَا أَثْبَتُوا لَهُ الشجَاعَةَ وَحَقِيقَتَهَا.

وَقَدْ تكونُ «الحَقُّ» أيْضًا بِمَعْنَىٰ «الْوَاجِبِ»؛ كَقَولِ أَبِي محمَّدٍ الأَنْصَارِيِّ:

«إن الوِتْرَ حَقٌّ»، فَقَالَ عُبادةُ بنُ الصَّامِتِ: كَذَبَ أبو محمَّدٍ. يُرِيدُ: أَنَّ الوِتْرَ وَاجِبٌ. وَلَيْسَ هَذَا مِنَ الأَوَّلِ فِي شَيْءٍ»(١).

وَ«الحَقُّ»: في ذاتِهِ وصفاتِهِ؛ فهو واجبُ الوجودِ، كاملُ الصفاتِ والنُّعوتِ، وجودُهُ من لوازِمِ ذاتِهِ، ولا وجودَ لشيءٍ من الأشياءِ إلَّا بِهِ؛ فهو الذي لم يزلْ ولا يزالُ بالجلالِ والجمالِ والكمالِ موصوفًا، ولم يزلْ ولا يزالُ بالإحسانِ معروفًا.

فقولُه حقٌّ، وفعلُه حقٌّ، ولقاؤُه حقٌّ، ورسلُهُ حقٌّ، وكُتُبُهُ حقٌّ، ودينُهُ هو الحقُّ، وعبادتُهُ وحدَه لا شريكَ له هي الحقُّ، وكلُّ شيءٍ يُنْسَبُ إليه فهو حقٌّ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢]، ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]»(٢).

واسمُهُ سُبحانَه «المبينُ»: «اسمُ الفاعلِ مِن أبانَ يُبينُ فهو مبينٌ؛ إذا أظهرَ وبيَّنَ؛ إمَّا قولًا وإمَّا فعلًا، فاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ المُبيِّنُ لعبادِهِ سبيلَ الرشادِ، والموضِّحُ لهم الأعمالَ الموجبةَ لثوابِهِ والأعمالَ الموجبةَ لعقابِهِ، والمُبيِّنُ لهم ما يأتُونَه ويَذَرُونَهُ.

يقالُ: «أبانَ الرجلُ في كلامِهِ ومنطقِهِ»؛ فهو مُبينٌ. والبيانُ: الكلامُ. كذلك فُسِّرَ قولُهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن: ٣، ٤]. قالُوا:

---

(١) «شأنُ الدعاءِ» (صحيفةُ: ٧٦).

(٢) «تفسيرُ السعديِّ» (صحيفةُ: ٩٤٩).

البيانُ: الكلامُ. ويقال: «بانَ الكلامُ» و«أبانَ»؛ بمعنًىٰ واحدٍ؛ فهو بيِّنٌ ومُبينٌ. وأنشدُوا بيتَ لبيدِ بنِ ربيعةَ العامريِّ يصفُ ديارًا:

فوقفْـتُ أســألُها وكيْـفَ ســؤالُنا ... صــمًّا خوالــدَ مــا يبـينُ كلامُهــا

يُروىٰ «يَبينُ» بفتحِ الياءِ؛ من بَانَ يَبِينُ، ويُروىٰ «يُبِينُ» من أبانَ يُبِينُ فهو مُبينٌ. فإذا قُلتَ: «أَبَنْتُ أَنَا الْكَلَامَ»؛ كانَ بالأَلِفِ لا غيرَ، أو قُلْتَ: «بيَّنْتُه»؛ بالتشديدِ.

ويقال من غير هذا: «بَانَ عَنِّي فُلَانٌ، يَبِينُ بَيْنًا»؛ إذَا فارقَكَ، والْبَيْنُ: الفِرَاقُ، والبينُ أيضًا: الوصالُ؛ وهو من الأضْدَادِ، وقُرِئَ: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]؛ بالرفعِ؛ تأويلُهُ: لقد تقطَّعَ وَصْلُكُمْ، ويُنْشَدُ:

لَعَمْرُكَ لولَا الْبَيْنُ لا يقطعُ الهوَىٰ ... ولوْلا الهَوَىٰ ما حَنَّ للبينِ آلفُ»[١]

قَالَ قَوَّامُ السُّنَّةِ الأصبهانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**المُبِينُ**»: ومعناهُ: البيِّنُ أمرُهُ، وقيلَ: البيِّنُ الربوبيَّةِ والملكوتِ، يقالُ: «أبانَ الشيءُ»؛ بمعنىٰ: تبيَّنَ، وقيلَ: معناهُ: أبانَ للخَلْقِ ما احتاجُوا إِليهِ»[٢].

يقولُ أبو جعفرٍ الطبريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيرِ قولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ**﴾ [النور: ٢٥]:

«وَيَعْلَمُونَ يَوْمَئِذٍ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي يُبَيِّنُ لَهُمْ حَقَائِقَ مَا كَانَ يَعِدُهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْعَذَابِ، وَيَزُولُ حِينَئِذٍ الشَّكُّ فِيهِ عَنْ أَهْلِ النِّفَاقِ الَّذِينَ كَانُوا فِيمَا كَانَ

(١) «اشتقاقُ أسماءِ اللهِ» (صحيفةُ: ١٨٠).

(٢) «الحُجَّةُ» (١/ ١٤٣).

يَعِدُهُمْ فِي الدُّنْيَا يَمْتَرُونَ»(١).

وَقالَ شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيرِهَا:

«**قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ٢٥﴾ [النور: ٢٤، ٢٥]، وَقَدْ أَقَرُّوا بِوُجُودِهِ فِي الدُّنْيَا، لَكِنْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ الْمُبِينُ دُونَ مَا سِوَاهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ بِصِيغَةِ الْحَصْرِ؛ فَإِنَّهُ يَوْمَئِذٍ لَا يَبْقَىٰ أَحَدٌ يُدَّعَىٰ فِيهِ الْإِلَهِيَّةُ، وَلَا أَحَدٌ يُشْرِكُ بِرَبِّهِ أَحَدًا»(٢).

واللهُ جَلَّوَعَلَا وجودُهُ حقٌّ مبِينٌ، وانفرادُهُ بالربوبيَّةِ حقٌّ مبِينٌ، واستحقاقُهُ للعبادَةِ وحدَهُ حقٌّ مبينٌ، ومن أسمائِه الحقُّ المبينُ، دينُه وكتبُه ورسولُه والآخرةُ والجنَّةُ والنارُ، وكلُّ ما أخبرَ به سُبحانَه هو حقٌّ مبينٌ.

ومن آثارِ ذلك أنَّه ما من حقٍّ إلا أبانَهُ اللهُ علىٰ لسانِ رسولِهِ ﷺ؛ قَالَ تعَالَىٰ: ﴿قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١١٨].

وَقالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢١٩﴾ [البقرة: ٢١٩].

وَقالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [النساء: ٢٦].

وَقالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ﴾ [المائدة: ١٥].

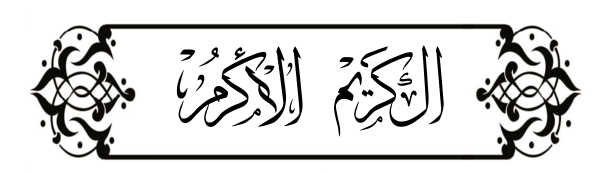
---

(١) «تفسيرُ الطبريِّ» (١٧/ ٢٣٢).

(٢) «مجموعُ الفتاوَىٰ» (٥/ ٥١٧).

وتوعَّدَ مَنْ كتمَ ما بيَّنَه لخلقِهِ فقالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

ولذلك يخلدُ في النارِ من أنكرَ وجودَهُ، أو كابرَ في ربوبيَّتِهِ، أو جحدَ إلهيَّتَهُ، أو كذَّبَ رسلَهُ صلىٰ الله عليهم وسلم، أو ردَّ خبرًا ممَّا أنزلَهُ عليهم صلىٰ الله عليهم وسلم ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢].



الدليلُ مِنَ القرآنِ الكريمِ:

قولُه تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ **ٱلۡكَرِيمِ**﴾ [الانفطار: ٦].

وقولُه: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ **فَأَكۡرَمَهُۥ** وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ **أَكۡرَمَنِ**﴾ [الفجر: ١٥].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ **ٱلۡأَكۡرَمُ**﴾ [العلق: ٣].

««**الكَرِيمُ**»: من صفاتِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وأسمائِهِ، وَهُوَ الكثيرُ الخيرِ، الجوادُ، المنعمُ، المفضِلُ»(١).

وله ثلاثةُ أوجهٍ، فيقالُ: «الكريمُ: الجوادُ، والكريمُ: العزيزُ، والكريمُ: الصفوحُ.

هذه ثلاثةُ أوجهٍ للكريمِ في كلامِ العربِ، كلُّها جائزٌ وصفُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بها. فإذا أُريدَ بـ«الكريمِ»: «الجوادُ أو الصفوحُ»؛ تعلَّقَ بالمفعولِ به؛ لأنه لا بدَّ من متكرَّمٍ عليه ومصفُوحٍ عنه موجودٍ، وإذا أُريدَ به «العزيزُ»؛ كان غيرَ مقتضٍ مفعولًا، ويقالُ: «فلانٌ أكرمُ مِن فلانٍ»: أيْ هو أجودُ منه وأكثرُ نوالًا، قَالَ عمرُو بنُ مَعْدِ يَكْرِبَ الزُّبيديُّ يمدحُ سعيدَ بنَ العاصِ، ويذكرُ سيفًا وَهَبَهُ لَهُ:

حَبَوْتُ بِهِ كَرِيمًا مِنْ قُرَيْشٍ ... فَسُرَّ بِهِ وصِينَ عَنِ اللِّئَامِ

---

(١) «تهذيبُ اللغةِ» (١٠/ ١٣٢).

فقدْ أَبانَ لكَ بقولِهِ: «وصِينَ عَنِ اللِّئامِ»؛ أنه أرادَ بـ«الكريمِ» الجَوَادَ.

ويقالُ: «فلانٌ يتكرَّمُ علىٰ أصحابِهِ»؛ كقولِهِ: «يتسدَّىٰ عليهم ويتسخَّىٰ». والكرَمُ: الجودُ، ويقالُ: «فلانٌ يَكْرُمُ عليَّ»؛ أيْ: يَعِزُّ عليَّ، ويقالُ للرجلِ عندَ طلبِ الحاجةِ: «نَعَمْ، وَكَرَامَةً»، تأويلُهُ: أُكرِمُكَ كرامةً؛ أيْ: أعزُّكَ وأجلُّكَ، ويقالُ: «فلانٌ أكرمُ عليَّ من فلانٍ»؛ أي: هو أعزُّ عليَّ منْهُ.

قَالَ سيبويهِ: تقولُ العربُ: «أنت أكرَمُ عليَّ من أن أضرِبَكَ»؛ تأويلُهُ: أنت أكرَمُ عليَّ من ضربِكَ؛ لأنَّ «أن» مَعَ الفعلِ بتأويلِ المصدرِ، وهذا كلامٌ علىٰ ظاهرِهِ محالٌ؛ لأنَّه لا يقالُ: «فلانٌ أكرمُ عليَّ من الضربِ»، ولكن في الكلامِ حذْفٌ تأويلُهُ: أنتَ أكرَمُ عليَّ مِن صاحبِ ضربِكَ الذي نسبتَهُ إلىٰ نفسِكَ.

كما قَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝٦٢﴾ [القصص: ٦٢]، فنسبَهم إلىٰ نفسِه حكايةً لقولِهم؛ كأنَّه قَالَ: أين شركائِيَ الذين كُنتم تزعمُونَ أنهم شركائِي؟ كذلك مخرجُ ذلكَ الكلامِ، كأنَّ رجلًا قَالَ لآخَرَ: «أنا أخافُ أن تضرِبَنِي»؛ فقالَ لَهُ: «أنتَ أكرمُ عليَّ من أن أضربَك»؛ أي: من صاحبِ ضربِكَ الذي نسبتَهُ إلىٰ نفسِكَ.

و«**الكريمُ**»: الصفوحُ أيضًا، يقالُ: إنَّه لكريمٌ: أي صفوحٌ. ويقولُ أهلُ اللغةِ: «شاةٌ كريمةٌ»: إذا كانت عند الحَلْبِ تستقرُّ وتولِّي علىٰ الحالِبِ صفحةَ وجْهِها؛ لأنها تُعرِضُ عنه ولا تمنعُه من الحلبِ، فكذلك الكريمُ من الرجالِ الصفوحُ، كأنه يعرِضُ عن ذنبِ صاحِبِه»[1].

(١) «اشتقاقُ أسماءِ اللهِ» (صحيفةُ: ١٧٦).

وَ«الأَكْرَمُ» من أسمائِهِ، بلْ «هُوَ أَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ، لَا يُوَازِيهِ كَرِيمٌ، وَلَا يُعَادِلُهُ فِيهِ نَظِيرٌ، وَقَدْ يَكُونُ «الْأَكْرَمُ» بِمَعْنَىٰ «الْكَرِيمِ»، كَمَا جَاءَ «الْأَعَزُّ» بِمَعْنَىٰ «الْعَزِيزِ»»[(١)].

فَـ«سَمَّىٰ [اللهُ] وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالْكَرَمِ، وَبِأَنَّهُ «الْأَكْرَمُ» بَعْدَ إِخْبَارِهِ أَنَّهُ خَلَقَ؛ لِيَتَبَيَّنَ أَنَّهُ يُنْعِمُ عَلَىٰ الْمَخْلُوقِينَ وَيُوصِلُهُمْ إِلَىٰ الْغَايَاتِ الْمَحْمُودَةِ؛ كَمَا قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الأعلىٰ: ٢، ٣]، وَكَمَا قَالَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، وَكَمَا قَالَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨].

فَالْخَلْقُ يَتَضَمَّنُ الِابْتِدَاءَ، وَالْكَرَمُ تَضَمَّنَ الِانْتِهَاءَ؛ كَمَا قَالَ فِي أُمِّ الْقُرْآنِ: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ثُمَّ قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وَلَفْظُ «الْكَرَمِ» لَفْظٌ جَامِعٌ لِلْمَحَاسِنِ وَالْمَحَامِدِ، لَا يُرَادُ بِهِ مُجَرَّدُ الْإِعْطَاءِ، بَلِ الْإِعْطَاءُ مِنْ تَمَامِ مَعْنَاهُ؛ فَإِنَّ الْإِحْسَانَ إِلَىٰ الْغَيْرِ تَمَامُ الْمَحَاسِنِ. وَالْكَرَمُ كَثْرَةُ الْخَيْرِ وَيَسْرَتُهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لا تُسَمُّوا العنبَ الكرمَ؛ فإنَّما الكرمُ قلبُ المؤمنِ**».

وَهُمْ سَمَّوُا الْعِنَبَ «الْكَرْمَ»؛ لِأَنَّهُ أَنْفَعُ الْفَوَاكِهِ؛ يُؤْكَلُ رَطْبًا وَيَابِسًا، وَيُعْصَرُ فَيُتَّخَذُ مِنْهُ أَنْوَاعٌ. وَهُوَ أَعَمُّ وُجُودًا مِنَ النَّخْلِ؛ يُوجَدُ فِي عَامَّةِ الْبِلَادِ، وَالنَّخْلُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْبِلَادِ الْحَارَّةِ. وَلِهَذَا قَالَ فِي رِزْقِ الْإِنْسَانِ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾

---

(١) «الأسماءُ والصفاتُ» (١/ ١٤٧)، نقلَهُ البيهقيُّ عن الخطَّابيِّ.

﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس: ٢٤-٣٢]؛ فَقَدَّمَ الْعِنَبَ.

وَقَالَ فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾﴾ [النبأ: ٣١، ٣٢].

وَمَعَ هَذَا نَهَىٰ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ تَسْمِيَتِهِ بِالْكَرْمِ، وَقَالَ: «**الكَرْمُ قلبُ المؤمِنِ**»؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا أَكْثَرُ وَلَا أَعْظَمُ خَيْرًا مِنْ قَلْبِ الْمُؤْمِنِ.

وَالشَّيْءُ الْحَسَنُ الْمَحْمُودُ يُوصَفُ بِالْكَرَمِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٧]. قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: مِنْ كُلِّ جِنْسٍ حَسَنٍ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الزَّوْجُ: النَّوْعُ، وَالْكَرِيمُ: الْمَحْمُودُ. وَقَالَ غَيْرُهُمَا: ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ صِنْفٍ وَضَرْبٍ ﴿كَرِيمٍ﴾ حَسَنٍ مِنَ النَّبَاتِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ، يُقَالُ: «نَخْلَةٌ كَرِيمَةٌ»؛ إِذَا طَابَ حَمْلُهَا، و«نَاقَةٌ كَرِيمَةٌ»؛ إِذَا كَثُرَ لَبَنُهَا.

وَعَنِ الشَّعْبِيِّ: النَّاسُ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ؛ فَمَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ فَهُوَ كَرِيمٌ، وَمَنْ دَخَلَ النَّارَ فَهُوَ لَئِيمٌ.

وَالْقُرْآنُ قَدْ دَلَّ عَلَىٰ أَنَّ النَّاسَ فِيهِمْ كَرِيمٌ عَلَىٰ اللهِ يُكْرِمُهُ، وَفِيهِمْ مَنْ يُهِينُهُ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ**﴾ [الحج: ١٨]، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ: «**وَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَها وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**». وَكَرَائِمُ الْأَمْوَالِ: الَّتِي تَكْرُمُ عَلَىٰ أَصْحَابِهَا؛ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا وَانْتِفَاعِهِمْ بِهَا، مِنَ الْأَنْعَامِ وَغَيْرِهَا.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ الْأَكْرَمُ؛ بِصِيغَةِ التَّفْضِيلِ وَالتَّعْرِيفِ لَهَا؛ فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّهُ الْأَكْرَمُ وَحْدَهُ، بِخِلَافِ مَا لَوْ قَالَ: «وَرَبُّكَ أَكْرَمُ»؛ فَإِنَّهُ لَا يَدُلُّ عَلَىٰ الْحَصْرِ، وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلْأَكْرَمُ﴾ يَدُلُّ عَلَىٰ الْحَصْرِ.

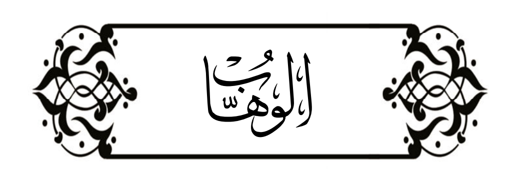
وَلَمْ يَقُلْ: «الْأَكْرَمُ مِنْ كَذَا»، بَلْ أَطْلَقَ الِاسْمَ لِيُبَيِّنَ أَنَّهُ الْأَكْرَمُ مُطْلَقًا غَيْرَ مُقَيَّدٍ؛ فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِغَايَةِ الْكَرَمِ الَّذِي لَا شَيْءَ فَوْقَهُ، وَلَا نَقْصَ فِيهِ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: ثُمَّ قَالَ لَهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ **ٱلْأَكْرَمُ**﴾ [العَلَق: ٣]؛ عَلَىٰ جِهَةِ التَّأْنِيسِ؛ كَأَنَّهُ يَقُولُ: امْضِ لِمَا أُمِرْتَ بِهِ وَرَبُّكَ لَيْسَ كَهَذِهِ الْأَرْبَابِ، بَلْ هُوَ الْأَكْرَمُ الَّذِي لَا يَلْحَقُهُ نَقْصٌ، فَهُوَ يَنْصُرُكَ وَيُظْهِرُكَ.

قُلْتُ: وَقَدْ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «لَا يُهْدِيَنَّ أَحَدُكُمْ للهِ مَا يَسْتَحْيِي أَنْ يُهْدِيَهُ لِكَرِيمِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ أَكْرَمُ الْكُرَمَاءِ»؛ أَيْ: هُوَ أَحَقُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بِالْإِكْرَامِ؛ إِذْ كَانَ أَكْرَمَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، فَهُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِأَنْ يُجَلَّ وَلِأَنْ يُكْرَمَ، وَالْإِجْلَالُ يَتَضَمَّنُ التَّعْظِيمَ، وَالْإِكْرَامُ يَتَضَمَّنُ الْحَمْدَ وَالْمَحَبَّةَ»[1].

❀❀❀

(١) «مجموعُ الفتاوَىٰ» (١٦/ ٢٩٣).



الوَهَّابُ

الدليلُ مِنَ القرآنِ الكريمِ:

قولُه تَعَالَىٰ: ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ **ٱلۡوَهَّابِ**﴾ [ص: ٩].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿**يَهَبُ** لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا **وَيَهَبُ** لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورىٰ: ٤٩].

«**الْوَهَّابُ**»: «هُوَ الذِي يَجُودُ بِالعَطَاءِ عنْ ظَهْرِ يَدٍ مِنْ غيرِ استِثَابَةٍ.

وَمَعْنَىٰ «الهِبَةِ»: التمْليكُ بِغيرِ عِوَضٍ يأخُذُهُ الوَاهِبُ مِنَ المَوْهُوبِ لَهُ، فَكُلُّ مَنْ وَهَبَ شَيْئًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا لِصَاحِبِهِ؛ فَهُوَ وَاهِبٌ، وَلَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّىٰ وَهَّابًا إلا مَنْ تَصَرَّفَتْ مَوَاهِبُهُ فِي أنْوَاعِ العَطَايَا، فَكَثُرَتْ نَوَافِلُهُ وَدَامَتْ.

وَالمَخلُوقُونَ إنَّما يَمْلِكُونَ أَنْ يَهَبُوا مَالًا، أَوْ نَوَالًا في حَالٍ دُونَ حَالٍ، وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْ يَهَبُوا شِفَاءً لِسَقِيمٍ، وَلَا وَلَدًا لِعَقِيمٍ، وَلَا هُدًىٰ لِضَالٍّ، وَلَا عَافِيَةً لِذِي بَلَاءٍ، وَاللهُ الوَهَّابُ - سُبْحَانَهُ - يملِكُ جَمِيعَ ذَلِكَ، وَسِعَ الخَلْقَ جُودُهُ، وَرَحْمَتُهُ، فَدَامَتْ مَوَاهِبُهُ، واتصلَتْ مِنَنُهُ وَعَوَائِدُهُ»[١].

(١) «شأنُ الدعاءِ» (صحيفةُ: ٥٣).



الدليلُ مِنَ القرآنِ الكريمِ:

قولُه تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨].

«**البَرُّ**: هو العَطوفُ عَلَىٰ عِبَادِهِ، المُحْسِنُ إِلَيْهِم، عَمَّ بِبِرِّهِ جَمِيْعَ خَلْقِهِ، فَلَمْ يَبْخَلْ عَلَيْهِم بِرِزْقِهِ، وَهُوَ البَرُّ بِأَوْلِيَائِهِ؛ إِذْ خَصَّهُمْ بِوِلَايتِهِ وَاصْطَفَاهُم لِعِبَادَتِهِ، وَهُوَ البَرُّ بِالمُحْسِنِ فِي مُضَاعَفَةِ الثَّوابِ لَهُ، وَالبَرُّ بِالمُسِيءِ فِي الصَّفْحِ وَالتجَاوُزِ عَنْهُ»[١].

3338- والبـرُّ في أوصافِهِ سُبحانَه	**هو كثْرةُ الخيراتِ والإحسَانِ**
3339- صدَرَتْ عن البرِّ الذي هو	**فالبرُّ حينئذٍ له نوعانِ**
3340- وصفٌ وفِعْلٌ فهو بَرٌّ محسِنٌ	**مُولِي الجميلِ ودائمُ الإحسانِ**[٢]

ومن معاني «البَرِّ»: «الصادقُ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨]، والبَرُّ مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ وَتَقَدَّسَ: العَطُوفُ الرَّحِيمُ اللَّطِيفُ الْكَرِيمُ.

قَالَ ابْنُ الأَثِيرِ: فِي أَسماءِ اللهِ تَعَالَىٰ البَرُّ دُونَ البارِّ؛ وَهُوَ العَطُوفُ عَلَىٰ عِبَادِهِ بِبِرِّهِ وَلُطْفِهِ. والبَرُّ والبارُّ بِمَعْنًىٰ، وإِنما جَاءَ فِي أَسماءِ اللهِ تَعَالَىٰ البَرُّ دُونَ الْبَارِّ»[٣].

(١) «شأنُ الدعاءِ» (صحيفةُ: ٩٠).

(٢) «الكافيةُ الشافيةُ».

(٣) «لسانُ العربِ» (٤/ ٥٢).

وكانَتْ أمُّ المؤمنِينَ عائشةُ إذا مرَّتْ فِي صلاةِ الليلِ بقولِهِ تعَالَىٰ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور: ٢٧، ٢٨] بَكَتْ وطالَ بكاؤُها، وَقالَتْ: «اللَّهُمَّ مُنَّ عَلَيْنَا، وَقِنَا عَذَابَ السَّمُومِ، إِنَّكَ أَنْتَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ».

فَقِيلَ لِلْأَعْمَشِ - راوِي الحديثِ -: فِي الصَّلَاةِ؟

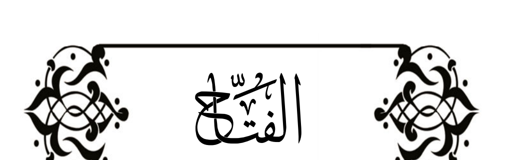
فَقَالَ: «فِي الصَّلَاةِ»(١).

ولمَّا عظمَ علمُ الصحابةِ بأسماءِ اللهِ وصفاتِهِ؛ عظمَتْ أعمالُهم الصالحةُ وقَوِيَ إيمانُهم باللهِ عَزَّوَجَلَّ.

❊❊❊

---

(١) **أثرٌ صحيحٌ:** أخرجَهُ ابنُ أبي شَيْبَةَ في «مصنَّفِهِ»: (٢/ ٢٥) (برقمِ: ٦٠٣٦).



الفتاح

الدليلُ مِنَ القرآنِ الكريمِ:

قولُه تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ **ٱلْفَتَّاحُ** ٱلْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦].

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ **ٱلْفَٰتِحِينَ**﴾ [الأعراف: ٨٩].

قَالَ ابنُ قيِّمِ الجوزيةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الكافِيةِ الشافِيةِ»:

3344- وكـذَلكَ الفتَّاحُ مِـنْ أسْـمَائِهِ	والفَـتْحُ فِـي أوْصَـافِهِ أمْـرَانِ
3345- فـتحٌ بحُكْـمِ وهـو شـرعُ إلهِنَـا	والفـتحُ بالأقْـدارِ فَـتْحٌ ثـانِ
3346- والـرَّبُ فَتَّـاحٌ بِـذين كليْهِمَـا	عـدْلًا وإحْسَـانًا مِـنَ الـرَّحْمنِ

ومَنْ تأمَّلَ قولَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ **ٱلْفَتَّاحُ** ٱلْعَلِيمُ﴾؛ يعني: يحكمُ بيننا بالحقِّ، وحكمُهُ: شرعُهُ وملَّتُه، فيكونُ من معاني «الفتاحِ»: الفَصْلُ بالقضاءِ الشرعيِّ والحكمِ الإلهيِّ؛ ولذلك سُمِّيَ «الْحَاكِمُ فَاتِحًا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يفتَحُ المستغلِقَ بَينَ الْخَصْمَيْنِ، وأنشدُوا:

أَلَا أبلِـغْ بنـي عَمْـرٍو رَسُـولًا	فَـإِنِّي عَـن فتـاحَتِكُم غَنِـيٌّ»[(١)]

ويأتي أيضًا بمعنَىٰ: القضاءِ الكونِيِّ، فيفتحُ بينَهُم بإنفاذِ قدَرِهِ فيهم، ومثالُه ما

---

(١) «تفسيرُ أسماءِ اللهِ» (صحيفةُ: ٣٩) للزجاجِ.

جاءَ في «صحيحِ مسلمٍ» عن أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «**لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ**»[1]؛ **يعني**: بنُصْرَتِهِ لهُ بالقضاءِ والقدَرِ الكونيَّيْنِ.

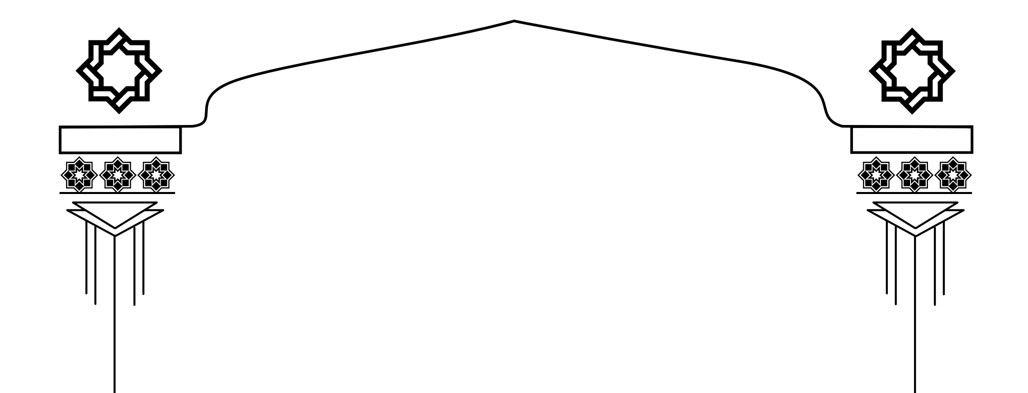
ومِن ذلك: بَسْطُ الرِّزْقِ وقبْضُهُ؛ فيكونُ في ذلك من الخيرِ بسطًا وقبضًا، ومن الشرِّ - كذلك - بسطًا وقبضًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا بِمَآ أُوتُوٓا أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ**﴾ [الأنعام: ٤٤].

وَقالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا وَٱتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [الأعراف: ٩٦].

وهذا ما أشارَ إليه العلَّامةُ ابنُ قيِّمِ الجوزيةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما أسلفْنَا نقلَهُ عنه آنفًا، فمتىٰ عَلِمَ العبدُ هذا عن ربِّه؛ طلبَ فتحَهُ له الخيرَ، واستعاذَ به أن يفتحَ عليه الشَّرَّ فيهلِكَ، أو يورثَه ذلك من الشرورِ والآفاتِ الموبقةِ في الدنيا والآخرةِ، أو في إحْدَاهُمَا.

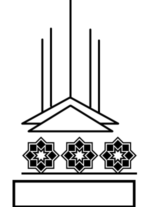
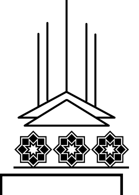
❊❊❊

(١) أخرجَهُ مسلمٌ في «صحيحِهِ» (٤/ ١٨٧١) (برقم: ٢٤٠٥).



المطلب الخامس:

مِنَ الثَّابِتِ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ



الرَّفِيقُ

الدليلُ منَ السنَّةِ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، **قَالَتْ:**

اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ. فَقُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ!

فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ**».

قُلْتُ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟!

قَالَ: «**قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ**»[١].

قَالَ الخليلُ بنُ أحمدَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**الرِّفْقُ**: لِينُ الجانبِ ولطافةُ الفعلِ، وصاحبُهُ رفيقٌ، وتقولُ: ارفُقْ، وترَفَّقْ»[٢].

««**الرَّفِيقُ**» بِعِبَادِهِ، يُرِيدُ بِهِمُ الْيُسْرَ، وَلَا يُرِيدُ بِهِمُ الْعُسْرَ، وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَلَا يُؤَاخِذُهُمْ بِجَمِيعِ جِنَايَاتِهِمْ، وَيَجْزِيهِمْ بِالْحَسَنَةِ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، وَلَا يَجْزِيهِمْ بِالسَّيِّئَةِ إِلَّا مِثْلَهَا، وَيَكْتُبُ لَهُمُ الْهَمَّ بِالْحَسَنَةِ، وَلَا يَكْتُبُ عَلَيْهِمُ الْهَمَّ

---

(١) **متَّفقٌ علىٰ صحَّتِهِ**: أخرجَهُ البخاريُّ في «صحيحِهِ» (٩/ ١٦) (برقمِ: ٦٩٢٧)، ومسلمٌ في «صحيحِهِ» (٤/ ٢٠٠٣) (برقمِ: ٢٥٩٣).

(٢) «معجمُ العينِ» (٥/ ١٤٩/ مادة: ر ف ق).

بِالسَّيِّئَةِ»(١).

قَالَ ابنُ قيِّمِ الجوزيةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الكافِيةِ الشافيةِ»:

3303- وهُوَ الرَّفِيقُ يُحبُّ أهلَ الرِّفْقِ يُعطِيهمُ بالرِّفقِ فَوْقَ أمَانِي

قَالَ الدكتورُ خليلٌ الهرَّاسُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرحِهِ للكافيةِ الشافيةِ»:

«ومن أسمائِهِ (الرفيقُ)، وهو مأخوذٌ منَ الرفقِ؛ الذي هو التأنِّي في الأمورِ والتدرُّجُ فيها، وضدُّه العنفُ؛ الذي هو الأخذُ فيها بشدَّةٍ واستعجالٍ».

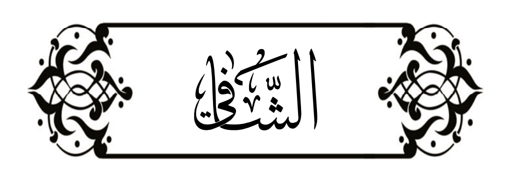
ومتىٰ علم العبدُ من اللهِ رفقَهُ في تشريعِهِ وفي معاملتِهِ عبادَهُ؛ فَهِمَ ما جاء «فِي الصَّحِيحِ [أنه ﷺ]: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا»؛ لِمَا فِيهِ مِنْ رُوحِ التَّعَبُّدِ بِاسْمِ: «الرَّفِيقِ، اللَّطِيفِ»، وَإِجْمَامِ الْقَلْبِ بِهِ لِعُبُودِيَّةٍ أُخْرَىٰ؛ فَإِنَّ الْقَلْبَ لَا يَزَالُ يَتَنَقَّلُ فِي مَنَازِلِ الْعُبُودِيَّةِ، فَإِذَا أَخَذَ بِتَرْفِيهِ رُخْصَةِ مَحْبُوبِهِ؛ اسْتَعَدَّ بِهَا لِعُبُودِيَّةٍ أُخْرَىٰ.

وَقَدْ تَقْطَعُهُ عَزِيمَتُهَا عَنْ عُبُودِيَّةٍ هِيَ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنْهَا؛ كَالصَّائِمِ فِي السَّفَرِ الَّذِي يَنْقَطِعُ عَنْ خِدْمَةِ أَصْحَابِهِ، وَالْمُفْطِرِ الَّذِي يَضْرِبُ الْأَخْبِيَةَ، وَيَسْقِي الرِّكَابَ، وَيَضُمُّ الْمَتَاعَ، وَلِهَذَا قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ: «**ذَهَبَ الْمُفْطِرُونَ الْيَوْمَ بِالْأَجْرِ**».

أَمَّا الرُّخَصُ التَّأْوِيلِيَّةُ، الْمُسْتَنِدَةُ إِلَىٰ اخْتِلَافِ الْمَذَاهِبِ، وَالْآرَاءِ الَّتِي تُصِيبُ وَتُخْطِئُ؛ فَالْأَخْذُ بِهَا عِنْدَهُمْ عَيْنُ الْبَطَالَةِ، مُنَافٍ لِلصِّدْقِ»(٢).

(١) «الأسماءُ والصفاتُ» (١/ ١٧٨)، نقلَهُ البيهقيُّ عن الحليميِّ – في معنَىٰ اسمِ اللهِ (البرِّ) –.

(٢) «مدارجُ السالكِينَ» (٢/ ٢٧٠).



الشَّافِي

الدليلُ من السنَّةِ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَتَىٰ مَرِيضًا أَوْ أُتِيَ بِهِ، قَالَ: «**أَذْهِبِ البَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**».

[**قَالَتْ عائشةُ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَلَمَّا مَرِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَثَقُلَ، أَخَذْتُ بِيَدِهِ لِأَصْنَعَ بِهِ نَحْوَ مَا كَانَ يَصْنَعُ، فَانْتَزَعَ يَدَهُ مِنْ يَدِي، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَاجْعَلْنِي مَعَ الرَّفِيقِ الْأَعْلَىٰ**»، قَالَتْ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ قَدْ قَضَىٰ][1].

وقولُه تعَالَىٰ: ﴿**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾ [الشعراء: ٨٠].

واللهُ بيدِهِ شفاءُ أسقامِ خلْقِهِ، وهي نوعَانِ؛ ولذلك فشفاؤُه نوعَانِ:

أحدُهما - وهو أجلُّهما -: ما ذكَرَهُ اللهُ في كتابِهِ العزيزِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ **وَشِفَآءٌ** لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

وهُوَ شفاءُ القلوبِ من شكِّها وشركِها ودَرَنِها أجمعَ؛ وهذا يسمَّىٰ بـ«شفاءِ الرُّوحِ».

---

(١) **متَّفقٌ علىٰ صحَّتِهِ**: أخرجَهُ البخاريُّ في «صحيحِهِ» (٧/ ١٢١) (برقمِ: ٥٦٧٥)، ومسلمٌ في «صحيحِهِ» (٤/ ١٧٢١) (برقمِ: ٢١٩١)، ومَا بيْنَ معقوفَيْنِ زيادةٌ عنْدَ مسلمٍ.

والثاني: شفاءُ الأبدانِ من عللِها؛ وهو بيدِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ أيضًا، لا يشاركُه فيه أحدٌ؛ قَالَ تَعَالَىٰ فِي ذكرِ مُناجَاةِ خليلِهِ ونبيِّه إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾.

ومنه تعلَمُ أنه متىٰ أَلَمَّ بك أَلَمٌ أو وجعٌ؛ فإليه سُبحانَه المفْزَعُ، وأنفعُ ذلك لكَ أن تفزَعَ إليه فيما يلمُّ بك من أمراضِ القلوبِ وآفاتِها، ومن تأمَّلَ أدعيةَ الرسولِ ﷺ وتضرعاتِهِ؛ وجدَهَا تدورُ هذا المدارَ، ومن أجلِّ تضرُّعاتِهِ لربِّه وأكثرِهَا ذكرًا منه أمامَ أصحابِهِ قولُهُ ﷺ:

«وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ؛ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ؛ فَلَا هَادِيَ لَهُ»(١).

وكان يكرِّرُه في خُطبِهِ وكثيرٍ من مجالسِهِ، فمتىٰ علمِ العبدُ اسمَ اللهِ «الشافِي»؛ دعا ربَّه بِهِ أن يسلِّمَه من آفاتِ القلبِ والجسدِ؛ فإنه لا شفاءَ إلا شفاؤُه، كما قال نبيُّه ﷺ.

❦❦❦

(١) **حديثٌ صحيحٌ**: أخرجَهُ أحمدُ وأصحابُ السُّنَنِ.

الحَيِيُّ، السِّتِّيرُ

الدليلُ مِنْ سنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ:

عن سلمانَ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ، يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا مَدَّ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»**(١).

وفي رواية: «إِن اللهَ عَزَّوَجَلَّ حَلِيمٌ، حَيِيٌّ سِتِّيرٌ، يُحِبُّ الحَيَاءَ والسَّتْرَ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ»(٢).

قالَ ابنُ قيِّم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

3290- وهُـو الحَيـيُّ فلـيسَ يفضـحُ　　　عنـدَ التجـاهُرِ منـهُ بالعصـيانِ

3291- لكنَّـهُ يُلقِـي عليـه سِـترَهُ　　　فَهُـو السِّـتِّيرُ وصـاحبُ الغفـرانِ(٣)

قَالَ الدكتورُ هراسٌ:

«وحياؤُه تَعَالَىٰ وصفٌ يليقُ بِهِ، ليس كحياءِ المخلوقِينَ؛ الذي هو تغيُّرٌ

(١) **حديثٌ صحيحٌ:** أخرجَهُ أبو داودَ في كتابِ الوترِ، بابِ الدعاءِ، برقمِ (١٤٨٨)، وانظرْ: «صحيحَ الجامعِ»، برقمِ (١٧٥٧).

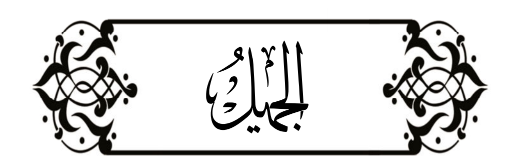
(٢) **حديثٌ صحيحٌ،** أخرجَهُ أبُو داودَ في كتابِ الحَمَّامِ، بابِ النهيِ عن التعرِّي، برقمِ (٤٠١٢)، وغيرُهُ، وانظرْ: «إرواءَ الغليلِ»، برقمِ (٢٣٣٥).

(٣) «الكافيةُ الشافيةُ».

وانكسارٌ يعتَرِي الشخصَ عند خوفِ ما يُعابُ أو يذمُّ، بل هو تركُ ما ليس يتناسَبُ مع سعةِ رحمتِهِ وكمالِ جودِهِ وكرمِهِ وعظيمِ عفوِهِ وحلمِهِ؛ فالعبدُ يجاهِرُهُ بالمعصيةِ مع أنَّه أفقرُ شيءٍ إليهِ وأضعفُهُ لديه، ويستعينُ بنعمِهِ علىٰ معصيَتِهِ، ولكنَّ الربَّ سُبحانَه - مع كمالِ غنَاهُ، وتمامِ قدرتِهِ عليه - يستحِي من هتكِ سِتْرِهِ وفضيحتِهِ، فيستُرُه بما يهيِّئُه له من أسبابِ السترِ، ثمَّ بعْدَ ذلك يعفوُ عنه ويغفرُ».

وفي حديثِ الثلاثةِ الذين دخلُوا مجلِسَ رسولِ اللهِ، فآوَىٰ أحدُهم؛ فآواهُ اللهُ، واستحَيَا أحدُهم فجلسَ خلْفَ الصفِّ؛ فاستحيَا اللهُ منه، وأعرضَ الثالثُ فأعرضَ اللهُ عنه؛ عِظَةٌ عظيمةٌ في معاملَةِ الخالِقِ لخلقِهِ، ومن تأمَّلَ يومَه وليلتَه؛ علِمَ أنَّه معرِضٌ عن كثيرٍ من الخيرِ، ومن استَحيَا استحيَا اللهُ منه، ومن آوَىٰ آوَاهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

❦❦❦



الجميل

الدليلُ من سنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ:

قال النبيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»[١].

قَالَ ابنُ قيِّمِ الجوزيَّةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الكافيةِ الشافيةِ»:

3236- وَهُوَ الجَمِيلُ عَلَىٰ الحَقِيقَةِ كَيْفَ ... وجمَالُ سَائِرِ هذِهِ الأكْوَانِ

3237- مِنْ بَعْضِ آثَارِ الجَمِيلِ فَرَبُّهَا ... أَوْلَىٰ وَأَجْدرُ عِنْدَ ذِي العِرْفَانِ

3238- فَجَمَالُهُ بِالذَّاتِ والأوصَافِ وَالـ ... أفعَالِ وَالأَسْمَاءِ بالبُرهَانِ

3239- لا شَيءَ يُشْبِهُ ذَاتَهُ وصِفَاتِهِ ... سُبْحَانَهُ عَنْ إفْكِ ذِي بُهْتَانِ

وأنكرَ هذا الاسمَ طائفةٌ من المتكلِّمينَ، ومن جملةِ رُدُودِ أهلِ الحديثِ علىٰ من أنكرَهُ قولُ أبي القاسِمِ الأصبهانِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

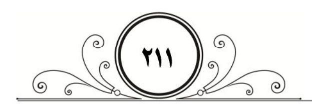
«قَالَ بعضُ أهلِ النظرِ... وَقالَ: لا يجوزُ أنْ يوصفَ اللهُ بـ(الجميلِ)، ولا وجهَ لإنكارِ هذا الاسمِ أيضًا؛ لأنَّه إذا صحَّ عن النبيِّ ﷺ؛ فلا معنَىٰ للمعارضةِ، وقد صحَّ أنَّه قَالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ**»؛ فالوجهُ إنما هو التسليمُ والإيمانُ»[٢].

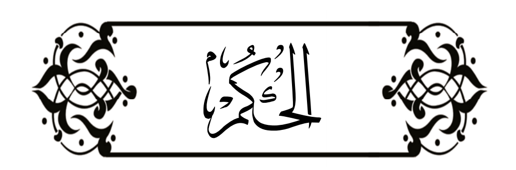
---

(١) أخرجَهُ مسلمٌ، في كتابِ الإيمانِ، بابِ تحريمِ الكِبْرِ وبيانِهِ، برقمِ (٩١).

(٢) «الحُجَّةُ في بيانِ المحجَّةِ» (٢/ ٤٥٦).

وكيفَ يُعقَلُ أن تُرَدَّ عنه هذه الصفةُ وهذا الاسمُ وهو صاحبُ الكمالِ من كلِّ وجهٍ، المبَرَّءُ من كلِّ نقصٍ وعيبٍ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؟!





الدليلُ منَ السنَّةِ النبويةِ:

عن هانئِ بن يزيدَ: أَنَّهُ لَمَّا وَفَدَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَ قَوْمِهِ سَمِعَهُمْ يَكْنُونَهُ بِأَبِي الْحَكَمِ، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ، فَلِمَ تُكْنَىٰ أَبَا الْحَكَمِ؟**».

فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ؛ فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا أَحْسَنَ هَذَا! فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟**».

قَالَ: لِي شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللهِ.

قَالَ: «**فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟**».

قُلْتُ: شُرَيْحٌ.

قَالَ: «**فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ**»[1].

وقولُه تعالَىٰ: ﴿**إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ** أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠].

وقولُه تعالَىٰ: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ **ٱلْحُكْمُ** وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢].

---

(١) **حديثٌ صحيحٌ:** أخرجَه أبو داودَ (٤/ ٢٨٩) (برقمِ: ٤٩٥٥)، وغيرُه، وانظرْ: «صحيحَ سننِ أبي داودَ» برقمِ: (٤١٤٥).

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧].

وَقالَ تَعالَىٰ: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًاۚ﴾ [الأنعام: ١١٤].

««الحَكَمُ»: وَالْحَكَمُ وَالْحَاكِمُ بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ، وأصل (ح ك م) فِي الْكَلَامِ: الْمَنْعُ، وَسمِّي الْحَاكِمُ حَاكمًا؛ لِأَنَّهُ يمْنَعُ الْخَصْمَيْنِ من التظالُمِ، وَحَكَمَةُ الدَّابَّةِ سمِّيَتْ حَكَمَةً؛ لِأَنَّهَا تَمنعهُ من الجِمَاحِ.

وَفِي كُتبِ السَّلاطِينِ الْقَدِيمَةِ: واحكُمْ فلَانًا عَن ذَلِك الْأَمرِ؛ بِمَعْنىٰ: امنعْهُ.

قَالَ أَبُو عَليٍّ: وَمثلُ مَجِيءِ حَاكمٍ وَحكَمٍ بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ؛ قَولُ النَّاسِ: فلَانٌ سَالمٌ وَسلَمٌ، وهما ذُو السِّلْمِ؛ وَهُوَ الصُّلْحُ.

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

أَغَاضِرُ إِنَّنِي سِلْمٌ ... لأهْلِكِ فاقْبَلِي سِلْمِي

فَاللهُ تَعَالَىٰ هُوَ الْحَاكِمُ وَهُوَ الحكَمُ بين الْخلْقِ؛ لِأَنَّهُ الحكَمُ فِي الْآخِرَةِ وَلَا حكَمَ غَيرُهُ.

والحكَّامُ فِي الدُّنْيَا إِنَّمَا يستفيدُونَ الحُكْمَ من قِبَلِهِ تَعَالَىٰ علوًّا كَبِيرًا»[1].

فإذا عَلِمَ العبدُ أَنَّ اللهَ هو الحَكَمُ، وأنَّه سُبحانَه «بَعَثَ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ؛ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورىٰ: ١٠]، وَقَالَ

(١) «تفسيرُ أسماءِ اللهِ» (صحيفةُ: ٤٣) للزجاجِ - بتصرُّفٍ -.

يُوسُفُ عليه السلام: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: ٣٩، ٤٠].

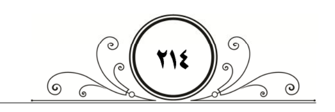
فَالْحُكْمُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَرُسُلُهُ يُبَلِّغُونَ عَنْهُ؛ فَحُكْمُهُمْ حُكْمُهُ، وَأَمْرُهُمْ أَمْرُهُ، وَطَاعَتُهُمْ طَاعَتُهُ، فَمَا حَكَمَ بِهِ الرَّسُولُ وَأَمَرَهُمْ بِهِ وَشَرَعَهُ مِنَ الدِّينِ؛ وَجَبَ عَلَىٰ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ اتِّبَاعُهُ وَطَاعَتُهُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ حُكْمُ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ.

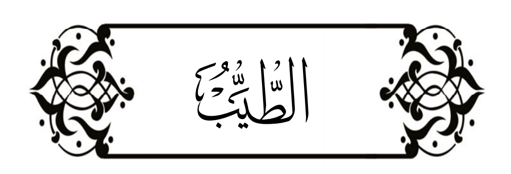
وَالرَّسُولُ يُبَلِّغُ عَنِ اللهِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٤، ٦٥]؛ فَعَلَىٰ جَمِيعِ الْخَلْقِ أَنْ يُحَكِّمُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَأَفْضَلَ الْمُرْسَلِينَ وَأَكْرَمَ الْخَلْقِ عَلَىٰ اللهِ، لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ حُكْمِهِ فِي شَيْءٍ، سَوَاءٌ كَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَوِ الْمُلُوكِ أَوِ الشُّيُوخِ أَوْ غَيْرِهِمْ»(١).

فمِن نواقضِ الإسلامِ المفسِدَةِ على العبْدِ إسلامَهُ؛ أنْ يعتقِدَ أنَّه يسعُهُ الخروجُ عن أمرِ اللهِ ورسولِهِ ﷺ.

---

(١) «مجموعُ الفتاوَىٰ» (٣٥/ ٣٦٣).





الدليلُ من السنَّةِ النبويةِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ؛ فَقَالَ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١﴾ [المؤمنون: ٥١]، **وَقَالَ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢].

ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ. وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّىٰ يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!»[1].

«قَوْلُهُ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا**»:

قَالَ الْقَاضِي: «الطَّيِّبُ» فِي صِفَةِ اللهِ تَعَالَىٰ بِمَعْنَىٰ: الْمُنَزَّهُ عَنِ النَّقَائِصِ؛ وَهُوَ بِمَعْنَىٰ «الْقُدُّوسِ»، وَأَصْلُ الطِّيبِ: الزَّكَاةُ وَالطَّهَارَةُ وَالسَّلَامَةُ مِنَ الْخَبَثِ»[2].

فَـ«الطَّيِّبُ ضدُّ الخبيثِ، فإذا وُصِفَ به تَعَالَىٰ أُريدَ به أنَّه مُنَزَّهٌ عن النقائصِ، مُقَدَّسٌ عن الآفاتِ، وإذا وُصِفَ به العبدُ مطلقًا أُريد به أنه المتعَرِّي عن رذائلِ

---

(١) أخرجَهُ مسلمٌ في «صحيحِهِ» (٢/ ٧٠٣) (رقمَ: ١٠١٥).

(٢) «المِنهَاجُ شرحُ صحيحِ مسلمِ بنِ الحجَّاجِ» (٧/ ١٠٠) للإمامِ النوويِّ.

الأخلاقِ وقبائحِ الأعمالِ، والمتحلِّي بأضدادِ ذلك، وإذا وُصِفَ به الأموالُ أُريدَ به كونُه حلالًا من خيارِ الأموالِ»[١].

---

(١) «تُحفةُ الأحْوَذِيِّ» (٨/ ٣٣٤).



الطَّيِّبُ

الدليلُ من السنَّةِ النبويةِ:

عَنْ أَبِي رِمْثَةَ، قَالَ: انْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي نَحْوَ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِذَا هُوَ ذُو وَفْرَةٍ بِهَا رَدْعُ حِنَّاءٍ، وَعَلَيْهِ بُرْدَانِ أَخْضَرَانِ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: أَرِنِي هَذَا الَّذِي بِظَهْرِكَ، فَإِنِّي رَجُلٌ طَبِيبٌ.

قَالَ ﷺ: «**اللهُ الطَّبِيبُ، بَلْ أَنْتَ رَجُلٌ رَفِيقٌ، طَبِيبُهَا الَّذِي خَلَقَهَا**»[(١)].

وجاءَ بلفظٍ آخرَ: «عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:

«**لَا تَقُولُوا: الطَّبِيبَ، وَلَكِنْ قُولُوا: الرَّفِيقَ؛ فَإِنَّ الطَّبِيبَ هُوَ اللهُ**»».

وَمَعْنَىٰ هَذَا: أَنَّ الْمُعَالِجَ لِلْمَرِيضِ مِنَ الْآدَمِيِّينَ، وَإِنْ كَانَ حَاذِقًا مُتَقَدِّمًا فِي صِنَاعَتِهِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ لَا يُحِيطُ عِلْمًا بِنَفْسِ الدَّاءِ، وَلَئِنْ عَرَفَهُ وَمَيَّزَهُ فَلَا يَعْرِفُ مِقْدَارَهُ وَلَا مِقْدَارَ مَا اسْتَوْلَىٰ عَلَيْهِ مِنْ بَدَنِ الْعَلِيلِ وَقُوَّتِهِ، وَلَا يُقْدِمُ عَلَىٰ مُعَالَجَتِهِ إِلَّا مُتَطَبِّبًا عَامِلًا بِالْأَغْلَبِ مِنْ رَأْيِهِ وَفَهْمِهِ؛ لِأَنَّ مَنْزِلَتَهُ فِي عِلْمِ الدَّوَاءِ كَمَنْزِلَتِهِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا فِي عِلْمِ الدَّاءِ.

فَهُوَ لِذَلِكَ رُبَّمَا يُصِيبُ وَرُبَّمَا يُخْطِئُ، وَرُبَّمَا يَزِيدُ فَيَغْلُو، وَرُبَّمَا يَنْقُصُ فَيَكْبُو، فَاسْمُ «الرَّفِيقِ» إِذًا أَوْلَىٰ بِهِ مِنَ اسْمِ «الطَّبِيبِ»؛ لِأَنَّهُ يَرْفُقُ بِالْعَلِيلِ

---

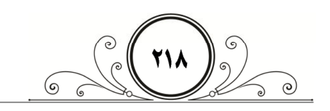
(١) **حديثٌ صحيحٌ:** أخرجَه أبُو داودَ في «سننِهِ» (٤/ ٨٦) (برقمِ: ٤٢٠٦)، وانظرْ: «صحيحَ أبِي داودَ» للعلَّامةِ الألبانيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

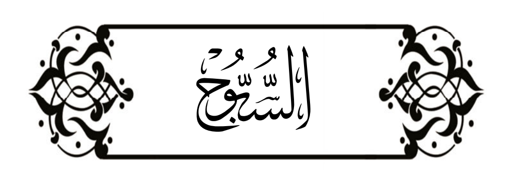
فَيَحْمِيهِ مِمَّا يَخْشَىٰ أَنْ لَا يَحْتَمِلَهُ بَدَنُهُ، وَيُطْعِمُهُ وَيَسْقِيهِ مَا يَرَىٰ أَنَّهُ أَرْفَقُ بِهِ.

فَأَمَّا «الطَّبِيبُ» فَهُوَ الْعَالِمُ بِحَقِيقَةِ الدَّاءِ وَالدَّوَاءِ، وَالْقَادِرُ عَلَىٰ الصِّحَّةِ وَالشِّفَاءِ، وَلَيْسَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ إِلَّا الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُسَمَّىٰ بِهَذَا الِاسْمِ أَحَدٌ سِوَاهُ»(١).

---

(١) «الأسماءُ والصفاتُ» (١/ ٢١٤) للبيهقيِّ، نقلًا منه عنِ الحَلِيميِّ - عَفَا اللهُ عنهُ -.





الدليلُ منَ السنَّةِ النبويَّةِ:

عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ، أَنَّ عَائِشَةَ نَبَّأَتْهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ**»(١).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

«**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ**»: هُمَا بِضَمِّ السِّينِ وَالْقَافِ، وَبِفَتْحِهِمَا، وَالضَّمُّ أَفْصَحُ وَأَكْثَرُ.

قَالَ الْجَوْهَرِيُّ - فِي فَصْلِ (ذَرَحَ) -: كَانَ سِيبَوَيْهِ يَقُولُهُمَا بِالْفَتْحِ.

وَقَالَ أيضًا فِي فَصْلِ (سَبَحَ): «سُبُّوحٌ» مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ.

قَالَ ثَعْلَبٌ: كُلُّ اسْمٍ عَلَىٰ فَعُولٍ فَهُوَ مَفْتُوحُ الْأَوَّلِ، إِلَّا «السُّبُّوحَ» وَ«الْقُدُّوسَ»؛ فَإِنَّ الضَّمَّ فِيهِمَا أَكْثَرُ.

وَقَالَ ابنُ فارسٍ والزُّبيديُّ وغيرُهُمَا: «سُبُّوحٌ» هو اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

فَالْمُرَادُ بِـ«السُّبُّوحِ الْقُدُّوسِ»: الْمُسَبَّحُ الْمُقَدَّسُ؛ فَكَأَنَّهُ قَالَ: مُسَبَّحٌ مُقَدَّسٌ،

(١) أخرجه مسلمٌ في «صحيحِهِ» (١/ ٣٥٣) (برقمِ: ٤٨٧).

رَبُّ الْمَلَائِكَةِ والرُّوحِ.

ومعنَىٰ «سبُّوحٌ»: المبَرَّأُ من النقائصِ وَالشَّرِيكِ، وَكُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِالْإِلَهِيَّةِ.

وَ«**قُدُّوسٌ**»: الْمُطَهَّرُ مِنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِالْخَالِقِ.

وَقَالَ الْهَرَوِيُّ: قِيلَ: «الْقُدُّوسُ»: الْمُبَارَكُ.

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: وَقِيلَ فِيهِ: «**سُبُّوحًا قُدُّوسًا**» عَلَىٰ تَقْدِيرِ: أُسَبِّحُ سُبُّوحًا، أَوْ أَذْكُرُ، أَوْ أُعَظِّمُ، أَوْ أَعْبُدُ»[(١)].

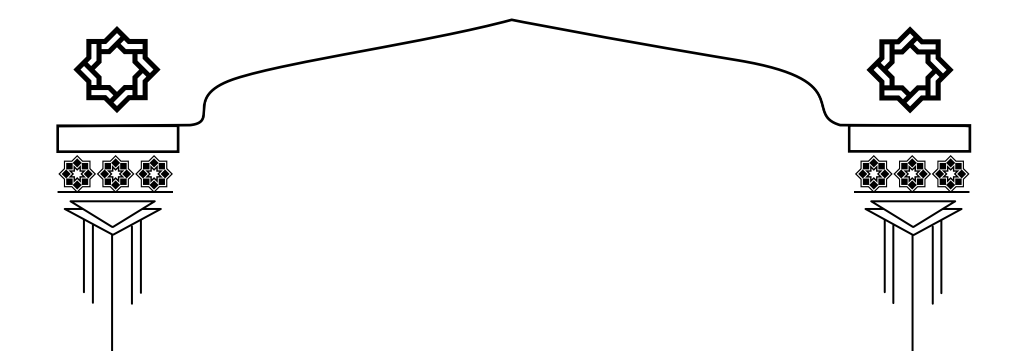
قَالَ شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

««**السَّلَامُ القدُّوسُ**»: الْمُسْتَحقُّ للتنزِيهِ عَن السوءِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ «سبُّوحٌ قدوسٌ»، يسبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَ«سُبْحَانَ اللهِ» كلمةٌ؛ كَمَا قَالَ مَيْمُونُ بنُ مهْرَانَ: هِيَ كلمةٌ يعظَّمُ بِهَا الربُّ ويُحاشَىٰ بِهَا من السوءِ، وَكَذَلِكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغيرُ وَاحِدٍ من السَّلَفِ: إِنَّهَا تَنْزِيهُ اللهِ من السوءِ»[(٢)].

---

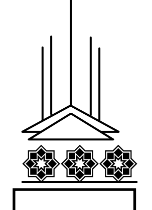
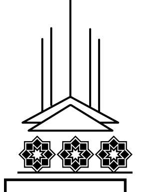
(١) «المِنْهاجُ شرحُ صحيحِ مسلمِ بنِ الحجَّاجِ» (٤/ ٢٠٤) للإمامِ النوويِّ.

(٢) «جامعُ الرسائلِ» (١/ ١٢٩).



المطلب السادس:

مِنْ صِفَاتِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ

تَوْطِئَةٌ

معْلُومٌ أنَّ دينَ الإسلامِ رفَعَ العلمَ وحثَّ عليه، وحرَّمَ الكلامَ فيه لغيرِ مختصٍّ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٩]؛ «بِالرَّحْمَنِ.

قَالَ الْكَلْبِيُّ: يَقُولُ: فَاسْأَلِ الْخَبِيرَ بِذَلِكَ؛ يَعْنِي: بِمَا ذَكَرَ من خلْقِ السمواتِ وَالْأَرْضِ، وَالِاسْتِوَاءِ عَلَىٰ الْعَرْشِ.

وَقِيلَ: الْخِطَابُ لِلرَّسُولِ، وَالْمُرَادُ مِنْهُ غَيْرُهُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مُصَدِّقًا بِهِ.

وَالْمَعْنَىٰ: أَيُّهَا الإنسانُ! لا ترجِعْ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ بِهَذَا إِلَىٰ غَيْرِي.

وَقِيلَ: الْبَاءُ بِمَعْنَىٰ «عَنْ»؛ أَيْ: فَاسْأَلْ عَنْهُ خَبِيرًا؛ وَهُوَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ. وَقِيلَ: جِبْرِيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ»(١).

وسواءٌ كان المقصودُ بقولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿خَبِيرٗا﴾؛ اللهَ، أو كانَ المقصودُ جبريلَ؛ ويكونُ الخطابُ موجَّهًا للنبيِّ ﷺ، أو كان المقصودُ به: سَلْ مَنْ هُو خبيرٌ باللهِ؛ يعني: جبريلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أو محمَّدا ﷺ، أو من علِمَ عنهما، ويكونُ الخطابُ لعمومِ الناسِ؛ سواءٌ ذلك أو ذاك؛ فإنه قد ثبتَ بالآيةِ أنَّه لا يحلُّ لمن أخذَ عن غيرِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ونبيِّه ﷺ أن يخبرَ عنه سُبحانَه.

---

(١) «تفسيرُ البغويِّ» (٦/ ٩١).

ولذلِكَ تخبَّطَ أهلُ الكلامِ في هذا البابِ تخبُّطًا فاحِشًا، وأَوْسَعَهم علماءُ الحديثِ والسنَّةِ رُدودًا، وقدْ خَلَفَ من بعدِهم خَلْفٌ لا هم بالمتكلِّمَةِ! وَلَا هُمْ بأهلِ السنَّةِ الخُلَّصِ، فاضطرَبُوا اضطرابًا شديدًا في بابِ الصفاتِ والإخبارِ عن اللهِ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ؛ فمنهم من توسَّعَ في بابِ وصفِ اللهِ تَعَالَىٰ حتىٰ وصفَهُ بما لا يليقُ به، ومنهم من جَعَلَ بابَ الإخبارِ عن اللهِ سُبحانَه كَبَابِ الأسماءِ والصفاتِ؛ فتهجَّمُوا علىٰ أهلِ العلمِ ونسبُوهم للضَّلالِ.

قَالَ العلَّامَةُ أبو العَوْنِ السَّفَارِينيُّ الحنبليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ مَا يَدْخُلُ فِي بَابِ الْإِخْبَارِ عَنْهُ تَعَالَىٰ أَوْسَعُ مِمَّا يَدْخُلُ فِي بَابِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، كَالشَّيْءِ وَالْمَوْجُودِ وَالْقَائِمِ بِنَفْسِهِ؛ فَإِنَّ هَذَا يُخْبَرُ بِهِ عَنْهُ، وَلَا يَدْخُلُ فِي أَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ وَصِفَاتِهِ الْعُلَىٰ»(١).

ولذلك قرَّرَ العلماءُ أنَّ «ما يجرِي صفةً أو خبَرًا على الربِّ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ **أقسامٌ:**

أحدُها: ما يرجعُ إلىٰ نفسِ الذاتِ؛ كقولِكَ: ذاتٌ، وموجودٌ، وشيءٌ.

الثانِي: ما يرجعُ إلىٰ صفاتٍ معنويَّةٍ؛ كالعليمِ، والقديرِ، والسميعِ.

الثالثُ: ما يرجعُ إلىٰ أفعالِهِ؛ نحوَ: الخالِقِ، والرزاقِ.

الرابعُ: ما يرجعُ إلىٰ التنزيهِ المحضِ، ولا بدَّ من تضمُّنِهِ ثبوتًا؛ إذ لا كمالَ في العدمِ المحضِ؛ كالقدُّوسِ والسلامِ.

---

(١) «لوامِعُ الأنوارِ» (١/ ١٢٤)، وانظرْ - غيرَ مأمورٍ -: «مجموعَ الفتاوَىٰ» (٦/ ١٤٢، ١٤٣)، و«الجوابَ الصحيحِ» (٣/ ٢٠٣)، و«بدائعَ الفوائدِ» (١/ ١٦١).

الخامسُ: ولم يذكره أكثرُ الناسِ، وهو الاسمُ الدالُّ علىٰ جملةِ أوصافٍ عديدةٍ، لا تختصُّ بصفةٍ معيَّنةٍ، بل هو دالٌّ علىٰ معناهُ لا علىٰ معنًىٰ مفرَدٍ؛ نحوَ المجيدِ العظيمِ الصمدِ؛ فإنَّ المَجِيدَ مَنِ اتَّصَفَ بصفاتٍ متعدِّدةٍ من صفاتِ الكمالِ، ولفظُهُ يدلُّ علىٰ هذا؛ فإنه موضوعٌ للسعةِ والكثرةِ والزيادةِ؛ فمنه ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ[(١)]﴾ [البروج: ١٥]؛ صفةٌ للعرشِ؛ لسعتِهِ وعِظَمِهِ وشرفِهِ.

وتأمَّلْ كَيْفَ جاءَ هذا الاسمُ مقترِنًا بطلبِ الصلاةِ مِنَ اللهِ علىٰ رسولِهِ ﷺ، كما علَّمَناهُ؛ لأنَّه في مقامِ طلبِ المزيدِ والتعرُّضِ لسعةِ العطاءِ وكثرتِهِ ودوامِهِ؛ فأتىٰ في هذا المطلوبِ باسمٍ يقتضِيهِ؛ كما تقولُ: «اغفرْ لِي وارحمْنِي، إنَّك أنت الغفورُ الرحيمُ»، ولا يحسن: «إنَّك أنت السميعُ البصيرُ»؛ فهو راجعٌ إلىٰ المتوسلِ إليه بأسمائِهِ وصفاتِهِ؛ وهو من أقربِ الوسائلِ وأحبِّها إليه.

ومنه الحديثُ الذي في «المسند» و«الترمذيِّ»: «أَلِظُّوا بِيَا ذَا الجَلَالِ والْإِكْرَامِ»، ومنه: «**اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، المَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ والْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ والْإِكْرَامِ**»؛ فهذا سؤالٌ له وتوسُّلٌ إليه وبحمدِهِ، وأنه الذي لا إلهَ إلا هو المنانُ، فهو توسُّلٌ إليه بأسمائِهِ وصفاتِهِ، وما أحقَّ ذلك بالإجابةِ وأعظمَهُ موقعًا عند المسئولِ!

---

(١) قال الدمياطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «إتحاف فضلاء البشر» (ص ٧٧١): اختلف في دال (**المجيد**) الآية (١٥)، فحمزة والكسائي وخلف بخفضها؛ نعتًا إما للعرش وإما لربك، في (**إن بطش ربك**)، وافقهم الحسن والأعمش، والباقون برفعها؛ خبر بعد خبر أو نعت (لذو).

وهذا بابٌ عظيمٌ من أبوابِ التوحيدِ، أشرنَا إليه إشارةً، وقد فُتحَ لمن بصَّرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ.

ولْنرجِعْ إلىٰ المقصودِ: وهو وصفُه تَعَالَىٰ بالاسمِ المتضمِّنِ لصفاتٍ عديدةٍ؛ فـ«العظيمُ» مَن اتصفَ بصفاتٍ كثيرةٍ مِن صفاتِ الكمالِ، وكذلك «الصمدُ»؛ قَالَ ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «هو السيِّدُ الذي كَمُلَ في سُؤْدُدِهِ».

وَقالَ ابنُ وائلٍ: «هو السيِّدُ الذي انتهَىٰ سؤْدُدُهُ».

وَقالَ عكرمةُ: «الذي ليسَ فوقَه أحدٌ»، وكذلك قَالَ الزجاجُ: «الذي ينتهِي إليه السؤددُ؛ فقدْ صَمَدَ له كلُّ شيءٍ».

وَقالَ ابنُ الأنباريِّ: «لا خلافَ بين أهلِ اللغةِ أنَّ «الصمدَ» السيِّدُ الذي ليس فوقَه أحدٌ، الذي يصمدُ إليه الناسُ في حوائجِهِم وأمورِهِمْ»، واشتقاقُهُ يدلُّ علىٰ هذا؛ فإنَّه من الجَمْعِ والقَصْدِ الذي اجتمَعَ القَصْدُ نحوَهُ، واجتمعَتْ فيه صفاتُ السؤددِ، وهذا أصلُه في اللغةِ؛ كما قَالَ:

أَلَا بَكَـرَ النـاعِي بخيـرِ بنـي أَسَـدْ ... بعمـرِو بـن يَرْبُـوعٍ وبالسـيِّدِ الصَّـمَدْ

والعربُ تسمِّي أشرافَها بالصمدِ؛ لاجتماعِ قصدِ القاصدِينَ إليهِ، واجتماعِ صفاتِ السيادةِ فيهِ.

السادسُ: صفةٌ تحصلُ من اقترانِ أحدِ الاسمينِ والوصفينِ بالآخرِ، وذلك قدْرٌ زائدٌ علىٰ مفردَيْهِما؛ نحوَ: «الغنيُّ الحميدُ»، «العفوُّ القديرُ»، «الحميدُ المجيدُ»، وهكذا عامَّةُ الصفاتِ المقترنةِ والأسماءِ المزدوجةِ في القرآنِ؛ فإن

الغنَىٰ صفةُ كمالٍ، والحمدَ كذلك، واجتماعَ الغنَىٰ مع الحمدِ كمالٌ آخَرُ، فله ثناءٌ من غناهُ، وثناءٌ من حمدِهِ، وثناءٌ من اجتماعِهِمَا.

وكذلك «العفوُّ القديرُ» و«الحميدُ المجيدُ» و«العزيزُ الحكيمُ»؛ فتأمَّلْه؛ فإنه من أشرفِ المعارِفِ.

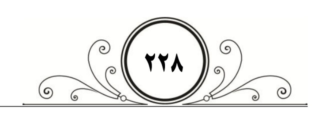
وأمَّا صفاتُ السلبِ المحضِ فلا تدخلُ في أوصافِهِ تَعَالَىٰ، إلَّا أن تكونَ متضمِّنةً لثبوتٍ، كـ«الأحدِ» المتضمِّنِ لانفرادِهِ بالربوبيَّةِ والإلهيَّةِ، و«السلامِ» المتضمِّنِ لبراءتِهِ من كلِّ نقصٍ يضادُّ كمالَهُ.

وكذلكَ الإخبارُ عنه بالسُّلوبِ هو لتضمُّنِها ثبوتًا؛ كقولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ فإنَّه متضمِّنٌ لكمالِ حياتِهِ وقيوميَّتِهِ، وكذلك قولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]؛ متضمِّنٌ لكمالِ قدرتِهِ، وكذلك قولُه: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ [يونس: ٦١]؛ متضمِّنٌ لكمالِ علْمِهِ.

وكذلك قولُه: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣]؛ متضمِّنٌ لكمالِ صمَدِيَّتِهِ وغناهُ، وكذلك قولُهُ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]؛ متضمِّنٌ لتفرُّدِهِ بكمالِهِ، وأنه لا نظيرَ لهُ، وكذلك قولُه تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؛ متضمِّنٌ لعظمتِهِ، وأنه جلَّ عن أن يُدرَكَ بحيثُ يحاطُ به، وهذا مطردٌ في كلِّ ما وَصَفَ به نفسَهُ من السُّلوبِ.

ويجبُ أن تُعْلَمَ هنا أمورٌ:

أحدُها: أنَّ ما يدخلُ في بابِ الإخبارِ عنه تَعَالَىٰ أوسعُ ممَّا يدخلُ في بابِ



أسمائِهِ وصفاتِهِ؛ كالشيءِ، والموجودِ، والقائمِ بنفسِهِ؛ فإنه يخبَرُ به عنه، ولا يدخلُ في أسمائِهِ الحسنَىٰ وصفاتِهِ العُليَا.

الثاني: أنَّ الصفةَ إذا كانت منقسمةً إلىٰ كمالٍ ونقصٍ؛ لم تدخلْ بمطلقِها في أسمائِهِ، بل يُطلَقُ عليه منها كمالُها، وهذا كـ«المريدِ، والفاعلِ، والصانعِ»؛ فإن هذه الألفاظَ لا تدخلُ في أسمائِهِ؛ ولهذا غلطَ من سمَّاه بـ«الصانعِ» عند الإطلاقِ، بل هو «الفعَّالُ لِمَا يريدُ»؛ فإنَّ الإرادةَ والفعلَ والصنعَ منقسمةٌ؛ ولهذا إنما أَطلَقَ علىٰ نفسِهِ من ذلك أكملَه فعلًا وخبَرًا.

الثالثُ: أنه لا يلزمُ من الإخبارِ عنه بالفعلِ مقيَّدًا أن يشتقَّ له منه اسمٌ مطلقٌ، كما غلِطَ فيه بعضُ المتأخِّرينَ، فجعلَ من أسمائِهِ الحسنَىٰ «المُضِلَّ، الفَاتِنَ، الماكِرَ»، تَعَالَىٰ اللهُ عن قولِهِ، فإنَّ هذه الأسماءَ لم يُطلَقْ عليه سُبحانَه منها إلَّا أفعالٌ مخصوصةٌ معيَّنةٌ؛ فلا يجوزُ أن يُسمَّىٰ بأسمائِهَا المطلقةِ، واللهُ أعلمُ.

الرابعُ: أنَّ أسماءَهُ عَزَّوَجَلَّ الحسنَىٰ هي أعلامٌ وأوصافٌ، والوصفُ بها لا ينافي العلميَّةَ، بخلافِ أوصافِ العبادِ؛ فإنها تنافي علميَّتَهم؛ لأن أوصافَهُم مشتركةٌ، فنافَتْهَا العلميةُ المختصةُ، بخلافِ أوصافِهِ تَعَالَىٰ.

الخامِسُ: أنَّ الاسمَ منْ أسمائِهِ له دلالاتٌ:

دلالةٌ علىٰ الذاتِ والصفةِ بالمطابقةِ.

ودلالةٌ علىٰ أحدِهما بالتضمُّنِ.

ودلالةٌ علىٰ الصفةِ الأُخرَىٰ باللزومِ.

السادسُ: أنَّ أسماءَه الحسنَى لها اعتبارَانِ:

اعتبارٌ من حيثُ الذاتِ.

واعتبارٌ من حيثُ الصفاتِ.

فهي بالاعتبارِ الأولِ مترادفةٌ، وبالاعتبارِ الثاني متباينةٌ.

السابعُ: أنَّ ما يطلقُ عليه في بابِ الأسماءِ والصفاتِ توقيفِيٌّ، وما يطلقُ عليه من الأخبارِ لا يجبُ أن يكونَ توقِيفًا؛ كـ«القديمِ، والشيءِ، والموجودِ، والقائمِ بنفسهِ»؛ فهذا فصلُ الخطابِ في مسألةِ أسمائِهِ؛ هلْ هي توقيفيَّةٌ، أو يجوزُ أن يطلقَ عليهِ منها بعضُ ما لم يَرِدْ به السمعُ.

الثامِنُ: أنَّ الاسمَ إذا أُطلِقَ عليه جازَ أن يُشتقَّ منه المصدَرُ والفعلُ، فيخبَرُ به عنه فعلًا ومصدرًا، ونحوُ «السميعِ، البصيرِ، القديرِ» يُطلقُ عليه منه: «السمعُ، والبصرُ، والقدْرةُ»، ويخبَرُ عنه بالأفعالِ من ذلك؛ نحوَ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ [المجادلة: ١]، ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣].

هذا إنْ كانَ الفعلُ متعدِيًا، فإنْ كانَ لازمًا لم يخبَرْ عنه بِهِ؛ نحوَ: «الحيِّ»، بل يطلقُ عليه الاسمُ والمصدرُ دون الفعلِ؛ فلا يقالُ: حَيَّ.

التاسعُ: أن أفعالَ الربِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ صادرةٌ عن أسمائِهِ وصفاتِهِ، وأسماءَ المخلوقِينَ صادرةٌ عن أفعالِهم؛ فالربُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِعَالُهُ عن كمالِهِ، والمخلوقُ كمالُه عن فِعَالِهِ، فاشْتُقَّتْ له الأسماءُ بعد أن كَمُلَ بالفعلِ.

فالربُّ لم يزلْ كاملًا؛ فحصلتْ أفعالُه عن كمالِهِ؛ لأنه كاملٌ بذاتِهِ وصفاتِهِ، فأفعالُه

صادرةٌ عن كمالِهِ؛ «كَمُلَ فَفَعَلَ»، والمخلوقُ «فَعَلَ فَكَمُلَ» الكمالَ اللائِقَ بِهِ.

العاشِرُ: إحصاءُ الأسماءِ الحسنَىٰ والعلمُ بها أصلٌ للعلمِ بكلِّ معلومٍ؛ فإن المعلوماتِ سواهُ إمَّا أن تكونَ خلقًا له تَعَالَىٰ، أو أمرًا؛ إما علمٌ بما كوَّنَهَ، أو علمٌ بما شرَعَهُ.

ومصدرُ الخلقِ والأمرِ عن أسمائِهِ الحسنَىٰ، وهما مرتبطَانِ بها ارتباطَ المقتضَىٰ بمقتضِيهِ؛ فالأمرُ كلُّه مصدرُهُ عن أسمائِهِ الحسنَىٰ، وهذا كلُّه حسنٌ، لا يخرُجُ عن مصالِحِ العبادِ والرأفةِ والرحمةِ بهم والإحسانِ إليهم بتكميلِهم بما أمرَهم بِهِ ونهَاهُم عنه.

فأمرُه كلُّه مصلحةٌ وحكمةٌ ولطفٌ وإحسانٌ؛ إذ مصدَرُهُ أسماؤُه الحسنَىٰ، وفعلُهُ كلُّه لا يخرجُ عن العدلِ والحكمةِ والمصلحةِ والرحمةِ؛ إذ مصدرُه أسماؤُه الحسنَىٰ؛ فلا تَفَاوُتَ في خلقِهِ ولا عَبَثَ، ولم يخلقْ خلقَهُ باطلًا ولا سدًىٰ ولا عبثًا.

وكما أَنَّ كلَّ موجودٍ سواهُ فبإيجادِهِ؛ فوجودُ مَنْ سواهُ تابعٌ لوجودِهِ تَبَعَ المفعولِ المخلوقِ لخالقِهِ؛ فكذلك العلمُ بها أصلٌ للعلمِ بكلِّ ما سواهُ، فالعلمُ بأسمائِهِ وإحصاؤُها أصلٌ لسائِرِ العلومِ، فمن أحصَىٰ أسماءَه كما ينبغِي للمخلوقِ أحصَىٰ جميعَ العلومِ؛ إذْ إحصاءُ أسمائِهِ أصلٌ لإحصاءِ كلِّ معلومٍ؛ لأنَّ المعلوماتِ هي من مقتضاها ومرتبطةٌ بها.

وتأمَّلْ صدورَ الخلْقِ والأمرِ عن علمِهِ وحكمتِهِ تَعَالَىٰ؛ ولهذا لا تجدُ فيها

خللًا ولا تفاوتًا؛ لأن الخلَلَ الواقِعَ فيما يأمرُ به العبدُ أو يفعلُه إمَّا أن يكونَ لجهلِه به أوْ لعدَمِ حكمتِهِ، وأمَّا الربُّ تَعَالَىٰ فهو العليمُ الحكيمُ، فلا يلحقُ فعلَهُ ولا أمرَهُ خللٌ ولا تفاوتٌ ولا تناقضٌ.

الحادِيَ عَشَرَ: أن أسماءَه كلَّها حسنَىٰ، ليس فيها اسمٌ غيرُ ذلكَ أصلًا.

وقدْ تقدَّمَ أنَّ مِنْ أسمائِهِ ما يُطلَقُ عليه باعتبارِ الفعلِ؛ نحوَ: «الخالقِ، والرازقِ، والمحيِي، والمميتِ»، وهذا يدلُّ علىٰ أن أفعالَه كلَّها خيراتٌ محضٌ لا شرَّ فيها؛ لأنه لو فعَلَ الشرَّ لاشتُقَّ له منه اسمٌ، ولم تكن أسماؤُه كلُّها حسنَىٰ، وهذا باطلٌ؛ فالشرُّ ليس إليه.

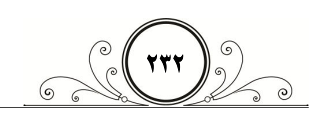
فكما لا يدخلُ في صفاتِهِ ولا يلحَقُ ذاتَهُ لا يدخلُ في أفعالِهِ، فالشرُّ لَيْسَ إليه؛ لا يضافُ إليه فعلًا ولا وصفًا، وإنَّما يدخلُ في مفعولاتِهِ، وفرقٌ بين الفعلِ والمفعولِ؛ فالشرُّ قائمٌ بمفعولِهِ المباينِ له، لا بفعلِهِ الذي هو فعلُه.

فتأمَّلْ هذا فإنَّه خَفِيَ علىٰ كثيرٍ من المتكلِّمينَ، وزلَّتْ فيه أقدامٌ، وضلَّتْ فيه أفهامٌ، وهَدَىٰ اللهُ أهلَ الحقِّ لما اختلفُوا فيه بإذنِهِ، واللهُ يهدِي مَن يشاءُ إلىٰ صراطٍ مستقيمٍ.

الثانِيَ عَشَرَ: في بيانِ مراتبِ إحصاءِ أسمائِهِ التي مَنْ أحصَاهَا دَخَلَ الجنَّةَ، وهذا هُوَ قُطْبُ السعادةِ، ومدارُ النجاةِ والفلاحِ:

المرتبةُ الأولَىٰ: إحصاءُ ألفاظِهَا، وعدَدِها.

المرتبةُ الثانيةُ: فهمُ معانِيها ومدلولِها.



المرتبةُ الثالثةُ: دعاؤُه بها؛ كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠]؛ **وهو مرتبتَانِ:**

إحدَاهُما: دعاءُ ثناءٍ وعبادةٍ.

والثاني: دعاءُ طلبٍ ومسألةٍ.

فلا يُثنَىٰ عليه إلا بأسمائِهِ الحسنَىٰ وصفاتِهِ العُلَىٰ، وكذلك لا يُسأَلُ إلا بها، فلا يقالُ: يا موجودُ، أوْ يا شيءُ أو يا ذاتُ، اغفرْ لي، وارحمْنِي. بلْ يسأَلُ في كلِّ مطلوبٍ باسمٍ يكونُ مقتضِيًا لذلك المطلوبِ؛ فيكونُ السائلُ متوسِّلًا إليه بذلك الاسمِ.

ومَنْ تأمَّلَ أدعيةَ الرسلِ - ولا سيَّما خاتمِهم وإمامِهم - وجدَها مطابقةً لهذا، وهذه العبارةُ أولىٰ من عبارةِ من قَالَ: «يتخلَّقُ بأسماءِ اللهِ»؛ فإنها ليست بعبارةٍ سديدةٍ، وهي منتزَعَةٌ من قولِ الفلاسفةِ بالتشبُّهِ بالإلهِ علىٰ قدرِ الطاقةِ.

وأحسنُ منها عبارةُ أبي الحَكَمِ بنِ بُرْهَانٍ؛ وهي «التعبُّدُ»، وأحسنُ منها العبارةُ المطابِقَةُ للقرآنِ؛ وهي «الدعاءُ المتضمِّنُ للتعبُّدِ والسؤالِ».

فمراتبُها أربعةٌ:

أشدُّها إنكارًا: عبارةُ الفلاسفةِ؛ وهي التشبُّهُ.

وأحسنُ منها: عبارةُ مَن قَالَ: التخلُّقُ.

وأحسنُ منها: عبارةُ مَن قَالَ: التعبُّدُ.

وأحسنُ من الجميعِ: الدعاءُ؛ وهي لفظُ القرآنِ.

الثالثَ عَشَرَ: اختلفَ النُّظَّارُ في الأسماءِ التي تُطلقُ علىٰ اللهِ وعلىٰ العِبَادِ؛

كـ«الحيِّ، والسميعِ، والبصيرِ، والعليمِ، والقديرِ، والمَلِكِ» ونحوِهَا:

فقالتَ طائفةٌ من المتكلِّمينَ: هي حقيقةٌ في العبدِ، مجازٌ في الربِّ؛ وهذا قولُ غُلاةِ الجهميةِ، وهو أخبثُ الأقوالِ وأشدُّها فسادًا.

الثاني: مقابلُهُ؛ وهو أنَّها حقيقةٌ في الربِّ، مجازٌ في العبدِ؛ وهذا قَولُ أَبِي العبَّاسِ الناشئِ.

الثالثُ: أنَّها حقيقةٌ فيهما؛ وهذا قولُ أهلِ السنَّةِ، وهو الصوابُ.

واختلافُ الحقيقَتَيْنِ فيهما لا يخرِجُها عن كونِها حقيقةً فيهما، وللربِّ تَعَالَىٰ منها ما يليقُ بجلالِهِ، وللعبدِ منها ما يليقُ به.

وليس هذا موضعَ التعرُّضِ لمأخذِ هذه الأقوالِ، وإبطالِ باطلِهَا، وتصحيحِ صحيحِها؛ فإن الغرضَ الإشارةُ إلىٰ أمورٍ ينبغي معرفَتُها في هذا البابِ، ولو كانَ المقصودُ بسطَهَا لاستَدْعَتْ سِفْرَيْنِ أو أكثرَ.

الرابعَ عَشَرَ: أن الاسمَ والصفةَ من هذا النوعِ له ثلاثةُ اعتباراتٍ:

اعتبارٌ من حيثُ هو، مع قَطْعِ النظَرِ عن تقييدِهِ بالربِّ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أو العبدِ.

اعتبارُه مضافًا إلىٰ الربِّ مختصًّا به.

اعتبارُه مضافًا إلىٰ العبدِ مقيَّدًا به.

فما لزِمَ الاسمَ لذاتِهِ وحقيقتِهِ كان ثابتًا للربِّ والعبدِ، وللربِّ منه ما يليقُ بكمالِهِ، وللعبدِ منه ما يليقُ بِهِ، وهذا كاسمِ «السميعِ» الذي يلزمه إدراكُ المسموعاتِ، و«البصيرِ» الذي يلزمُهُ رؤيةُ المبصَرَاتِ، و«العليمِ، والقديرِ»، وسائرِ

الأسماءِ؛ فإنَّ شرطَ صحةِ إطلاقِها حصولُ معانِيها وحقائِقِها للموصوفِ بِهَا.

فما لزِمَ هذه الأسماءَ لذاتِهَا؛ فإثباتُه للربِّ تَعَالَىٰ لا محذُورَ فيه بوجهٍ، بل ثَبَتَتْ له علىٰ وجهٍ لا يماثلُه فيه خلقُه ولا يشابِهُهم، فمَن نفَاهُ عنه لإطلاقِهِ علىٰ المخلوقِ؛ أَلْحَدَ في أسمائِهِ وجَحدَ صفاتِ كمالِهِ. ومَنْ أثبتَهُ له علىٰ وجهٍ يماثِلُ فيه خلقَهُ؛ فقد شبَّهَهُ بخلقِهِ، ومن شبَّهَ اللهَ بخلقِهِ فقد كَفَرَ. ومَنْ أثبتَهُ له علىٰ وجهٍ لا يماثلُ فيه خلقَه، بل كما يليقُ بجلالِهِ وعظمتِهِ؛ فقد برئَ من فَرْثِ التشبيهِ ودَمِ التعطيلِ، وهذا طريقُ أهلِ السنَّةِ.

ومَا لزمَ الصفةَ لإضافتِها إلىٰ العبدِ وَجَبَ نفيُه عن اللهِ، كما يلزمُ حياةَ العبدِ من النومِ والسِّنَةِ والحاجةِ إلىٰ الغذاءِ، ونحوِ ذلك. وكذلك ما يلزمُ إرادتَهُ من حركَةِ نفسِهِ في جلْبِ ما ينتفعُ به، ودفْعِ ما يتضرَّرُ به، وكذلك ما يلزمُ علوَّهُ من احتياجِهِ إلىٰ ما هو عالٍ عليه، وكونِهِ محمولًا به، مفتقرًا إليه، محاطًا به؛ كلُّ هذا يجبُ نفيُهُ عنِ القدُّوسِ السلامِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وما لزِم صفةً من جهةِ اختصاصِهِ تَعَالَىٰ بِهَا؛ فإنه لا يثبتُ للمخلوقِ بوجهٍ؛ كـ«علمِهِ» الذي يلزمُهُ القِدَمُ والوجوبُ والإحاطةُ بكلِّ معلومٍ، و«قدرتِهِ وإرادتِهِ» وسائرِ صفاتِهِ؛ فإن ما يختصُّ به منها لا يمكنُ إثباتُهُ للمخلوقِ.

فإذا أَحَطْتَ بهذه القاعدَةِ خُبْرًا، وعقلتَها كما ينبغِي؛ خلصْتَ من الآفتَيْنِ اللتين هما أصلُ بلاءِ المتكلِّمينِ؛ آفةِ التعطيلِ، وآفةِ التشبيهِ. فإنك إذا وفَّيتَ هذا المقامَ حقَّهُ من التصوُّرِ؛ أثبتَ للهِ الأسماءَ الحسنَىٰ والصفاتِ العُلَىٰ حقيقةً؛

فخلصْتَ من التعطيلِ. ونفيتَ عنها خصائصَ المخلوقِينَ ومشابهتَهم؛ فخلصْتَ من التشبيهِ.

فتدبَّرْ هذا الموضعَ، واجعلْهُ جنتَكَ التي ترجعُ إليها في هذا البابِ، واللهُ الموفِّقُ للصوابِ.

الخامسَ عَشَرَ: أنَّ الصفةَ متىٰ قامَتْ بموصوفٍ لزِمَهَا أمورٌ أربعةٌ؛ أمرانِ لفْظِيَّانِ، وأمرانِ معنويَّانِ:

فاللفظيَّانِ: ثبوتِيٌّ وسلبِيٌّ؛ **فالثبوتِيُّ**: أن يُشْتَقَّ للموصوفِ منها اسم. **والسلبيُّ**: أن يمتنع الاشتقاق لغيره، والمعنويان ثبوتي وسلبي، فالثبوتي أن يعود حكمها إلىٰ الموصوف ويخبر بها عنه والسلبي أن لا يعودَ حكمُها إلىٰ غيرِهِ، ولا يكونَ خبرًا عنه.

وهي قاعدةٌ عظيمةٌ في معرفةِ الأسماءِ والصفاتِ؛ فلنذكُرْ من ذلك مثالًا واحدًا؛ وهو «صفةُ الكلامِ»؛ فإنه إذا قامَتْ بمحلٍّ كانت هو المتكلمُ دون من لم تَقُمْ بهِ، وأُخْبِرَ عنه بها، وعاد حكمُها إليه دونَ غيرِهِ؛ فيقالُ: «قَالَ، وأَمَرَ، ونَهَىٰ، ونَادَىٰ، ونَاجَىٰ، وأخبَرَ، وخاطَبَ، وتكلَّمَ، وكلَّمَ»، ونحوُ ذلكَ. وامتنعَتْ هذه الأحكامُ لغيرِهِ.

فيُستدلُّ بهذه الأحكامِ والأسماءِ علىٰ قيامِ الصفةِ به، وسلبِها عن غيرِهِ علىٰ عدِمِ قيامِهَا به، وهذا هو أصلُ السنَّةِ الذي ردُّوا به علىٰ المعتزلةِ والجهميةِ، وهو من أصحِّ الأصولِ طردًا وعكسًا.

السادسَ عَشَرَ: أن الأسماءَ الحسنَىٰ لا تدخلُ تحْتَ حصرٍ ولا تُحَدُّ بعدَدٍ؛ فإنَّ للهِ تَعَالَىٰ أسماءً وصفاتٍ استأثَرَ بها في علمِ الغيبِ عنده لا يعلمُها مَلَكٌ مقرَّبٌ، ولا نبيٌّ مُرْسَلٌ؛ كما في الحديثِ الصحيحِ: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ**»؛ [صحيحٌ علىٰ الراجِحِ].

فجَعَلَ أسماءَه ثلاثةَ أقسامٍ:

قسمٌ سمَّىٰ به نفسَهُ، فأظهرَهُ لمن شاءَ من ملائكتِهِ أو غيرِهِمْ، ولم يُنزلْ به كتابَه.

وقسمٌ أَنزلَ به كتابَه، فتعرَّفَ به إلىٰ عبادِهِ.

وقسمٌ استأثَرَ به في علمِ غيبِهِ، فلم يطلعْ عليه أحدٌ من خلقِهِ؛ ولهذا قَالَ: «**استأثَرْتَ به**»؛ أي: انفردْتَ بعلمِهِ، وليس المرادُ انفرادَه بالتسمِّي بِهِ؛ لأن هذا الانفرادَ ثابتٌ في الأسماءِ التي أنزلَ اللهُ بها كتابَهَ.

ومن هذا قولُ النبيِّ ﷺ في حديثِ الشفاعَةِ: «**فَيَفتَحُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ بِمَا لَا أُحْسِنُهُ الْآنَ**» رواه البخاريُّ ومسلمٌ، وتلك المحامدُ تَفِي بأسمائِهِ وصفاتِهِ.

ومنه قولُه: «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ**»، رواهُ مسلمٌ وأبُو داودَ وغيرُهما.

وأَمَّا قولُهُ ﷺ: «**إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»، رواهُ البخاريُّ ومسلمٌ، فالكلامُ جملةٌ واحدةٌ، وقولُهُ: «**مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**» صفةٌ لا خبرٌ مستقبلٌ، والمعنَىٰ: له أسماءٌ متعددةٌ من شأنِها أنَّ من أحصَاهَا دخلَ

الجنةَ، وهذا لا ينفِي أن يكونَ له أسماءٌ غيرُها.

وهذا كما تقولُ: لفلانٍ مائةُ مملوكٍ، وقد أعدَّهُم للجهادِ. فلا ينفِي هذا أنْ يكونَ له مماليكُ سواهُم معدُّونَ لغيرِ الجهادِ، وهذا لا خلافَ بين العلماءِ فيهِ.

السابعَ عَشَرَ: أنَّ أسماءَه تَعَالَىٰ منها ما يُطلقُ عليه مفرَدًا ومقتَرِنًا بغيرِهِ، وهو غالبُ الأسماءِ؛ كَـ«القديرِ، والسميعِ، والبصيرِ، والعزيزِ، والحكيمِ»، وهذا يسوغُ أن يُدعَىٰ به مفرَدًا ومقتَرِنًا بغيرِهِ؛ فتقولُ: «يا عزيزُ، يا حليمُ، يا غفورُ، يا رحيمُ»، وأنْ يفرَدَ كلُّ اسمٍ.

وكذلك في الثناءِ عليهِ والخبَرِ عنه بما يسوغُ؛ لك الإفرادُ والجمعُ.

ومنها ما لا يُطلَقُ عليه بمفردِهِ، بل مقرونًا بمقابلِهِ؛ كـ«المانِعِ، والضارِّ، والمنتقِمِ»؛ فلا يجوزُ أن يُفْرَدَ هذا عن مقابِلِهِ؛ فإنه مقرونٌ بـ«المعطِي، والنافعِ والعفُوِّ»؛ فهو «المعطِي المانعُ، الضارُّ النافعُ، المنتقِمُ العفوُّ، المعزُّ المذِلُّ»؛ لأنَّ الكمالَ في اقترانِ كلِّ اسمٍ من هذه بما يقابلُهُ؛ لأنه يرادُ به أنه المنفرِدُ بالربوبيَّةِ وتدبيرِ الخلْقِ والتصرُّفِ فيهم؛ عطاءً ومنعًا، ونفعًا وضرًّا، وعفوًا وانتقامًا.

وأمَّا أن يُثْنَىٰ عليه بمجرَّدِ المنعِ والانتقامِ والإضرارِ فلا يسوغُ؛ فهذه الأسماءُ المزدوجةُ تجرِي الأسماءُ منها مجرَىٰ الاسمِ الواحدِ الذي يمتنِعُ فصلُ بعضِ حروفِهِ عن بعضٍ؛ فهي - وإن تعدَّدَتْ - جاريةٌ مجرَىٰ الاسمِ الواحدِ؛ ولذلك لم تجِئْ مفردةً، ولم تُطلَقْ عليه إلا مقترنةً؛ فاعلَمْهُ! فلو قلتَ: «يا مُذِلُّ، يا ضارُّ، يا مانِعُ»، وأخبَرْتَ بذلك؛ لم تكنْ مثنيًا عليه، ولا حامدًا له حتىٰ تذكُرَ مقابِلَها.

الثامِنَ عَشَرَ: أن الصفاتِ ثلاثةُ أنواعٍ: صفاتُ كمالٍ، وصفاتُ نقصٍ، وصفاتٌ لا تقتضِي كمالًا ولا نقصًا.

وإن كانت القسمةُ التقديريَّةُ تقتضِي قِسْمًا رابعًا: وهو ما يكون كمالًا ونقصًا باعتبارَيْنِ.

والربُّ تَعَالَىٰ منزَّهٌ عن الأقسامِ الثلاثةِ، وموصوفٌ بالقسمِ الأوَّلِ، وصفاتُه كلُّها صفاتُ كمالٍ محضٍ؛ فهو موصوفٌ من الصفاتِ بأكملِها، وله من الكمالِ أكملُه، وهكذا أسماؤُه الدالَّةُ علىٰ صفاتِهِ هي أحسنُ الأسماءِ وأكملُها؛ فليس في الأسماءِ أحسنُ منها، ولا يقومُ غيرُها مقامَها، ولا يؤدِّي معنَاهَا، وتفسيرُ الاسمِ منها بغيرِه ليس تفسيرًا بمرادِفٍ محضٍ، بل هو علىٰ سبيلِ التقريبِ والتفهيمِ.

وإذا عرفْتَ هذا فله من كلِّ صفةِ كمالٍ أحسنُ اسمٍ وأكملُه وأتمُّه معنًىٰ، وأبعدُه وأنزهُه عن شائبةِ عيبٍ أو نقصٍ؛ فله من صفةِ الإِدْرَاكَاتِ «العليمُ، الخبيرُ»، دونَ العاقِلِ الفقيهِ، و«السميعُ، البصيرُ»، دونَ السامعِ والباصرِ والناظرِ.

ومِنْ صفاتِ الإحسانِ «البَرُّ، الرحيمُ، الودودُ»، دونَ الرفيقِ والشفوقِ ونحوِهِمَا، وكذلك «العليُّ، العظيمُ»، دونَ الرفيعِ الشريفِ، وكذلك «الكريمُ»، دونَ السخِيِّ، و«الخالِقُ، البارئُ، المصوِّرُ»، دونَ الفاعِلِ الصانِعِ المشَكِّلِ، و«الغفورُ، العفوُّ»، دونَ الصفوحِ الساتِرِ.

وكذلك سائرُ أسمائِهِ تَعَالَىٰ يجرِي علىٰ نفسِهِ منها أكملُها وأحسنُها، وما لا يقومُ غيرُه مقامَه، فتأَمَّلْ ذلك!

فأسماؤُه أحسنُ الأسماءِ، كما أنَّ صفاتِه أكملُ الصفاتِ؛ فلا تعدِلْ عمَّا سمَّىٰ به نفسَه إلىٰ غيرِه، كما لا تتجاوَزْ ما وصفَ به نفسَهَ ووصفَه به رسولُه إلىٰ ما وصفَهُ به المُبْطِلُون والمعطِّلُون.

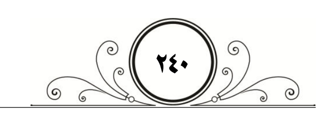
التاسعَ عشَرَ: أنَّ من أسمائِهِ الحُسنَىٰ ما يكونُ دالًّا علىٰ عدَّةِ صفاتٍ، ويكونُ ذلك الاسمُ متناوِلًا لجميعِها تناولَ الاسمِ الدالِّ علىٰ الصفةِ الواحدةِ لها، كما تقدَّم بيانُه؛ كاسمِهِ «العظيمِ، والمجيدِ، والصمدِ».

كما قَالَ ابنُ عباسٍ - فيما رواهُ عنه ابنُ أبي حاتِمٍ في «تفسيرِهِ» -: «**الصمدُ**: السيِّدُ الذي قد كَمُلَ في سؤدُدِهِ، والشريفُ الذي قد كَمُلَ في شرفِهِ، والعظيمُ الذي قد كَمُلَ في عظمتِهِ، والحليمُ الذي قد كَمُلَ في حلمِهِ، والعليمُ الذي قد كَمُلَ في علمِهِ، والحكيمُ الذي قد كَمُلَ في حكمتِهِ، وهو الذي قد كَمُلَ في أنواعِ شرفِهِ وسؤددِهِ، وهو اللهُ سُبحانَه، [إسنادُهُ ضعيفٌ].

هذه صفتُهُ لا تنبغِي إلَّا لَهُ، ليس له كُفُوًا أحدٌ، وليس كمثلِهِ شيءٌ، سبحانَ اللهِ الواحدِ القهَّارِ»، هذا لفظُهُ، وهذا ممَّا خفِيَ علىٰ كثيرٍ ممَّن تعاطَىٰ الكلامَ في تفسيرِ الأسماءِ الحُسنَىٰ، ففسَّرَ الاسمَ بدونِ معناهُ، ونقصَهُ من حيثُ لا يعلَمُ، فمن لم يحطْ بهذا علمًا؛ بَخَسَ الاسمَ الأعظمَ حقَّهُ وهضَمَهُ معناهُ، فتدبَّرْهُ!

العشرُونَ: وهي الجامعةُ لما تقدَّمَ من الوجوهِ؛ وهي معرفةُ الإلحادِ في أسمائِهِ حتىٰ لا يقعَ فيه:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ



سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، **والإلحادُ في أسمائِهِ**: هو العدولُ بها وبحقائِقِها ومعانِيها عن الحقِّ الثابتِ لها، وهو مأخوذٌ من المَيْلِ، كما يدلُّ عليه مادتُهُ (ل ح د)؛ فمنه اللحْدُ؛ وهو الشقُّ في جانبِ القبْرِ الذي قد مالَ عن الوسطِ، ومنه الملحِدُ في الدِّينِ؛ المائلُ عن الحقِّ إلىٰ الباطلِ.

قَالَ ابنُ السِّكِّيتِ: «الملحِدُ: المائلُ عن الحقِّ، المدخلُ فيه ما ليس منهُ»، ومنه المُلْتَحَدُ: وهو مُفْتَعَلٌ من ذلك، وقولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧]؛ أيْ: من تعدلُ إليه، وتهربُ إليه، وتلتجِئُ إليه، وتبتهِلُ؛ فتميلُ إليه عن غيرِهِ. تقولُ العربُ: الْتَحَدَ فلانٌ إلىٰ فلانٍ؛ إذا عدَلَ إليه.

إذا عُرِفَ هذا فالإلحَادُ في أسمائِهِ تَعَالَى أنواعٌ:

أحدُها: أن يسمَّىٰ الأصنامُ بها؛ كتسمِيَتِهم (اللاتَ) من الإلهيَّةِ و(العُزَّىٰ) من العزيزِ، وتسمِيَتِهم الصَّنَمَ إلهًا؛ وهذا إلحادٌ حقيقةً؛ فإنهم عَدَلُوا بأسمائِهِ إلىٰ أوثانِهم وآلهتِهم الباطلةِ.

الثاني: تسميتُه بما لا يليقُ بجلالِهِ؛ كتسميةِ النصارىٰ له (أبًا)، وتسميةِ الفلاسفةِ له (موجَبًا بذاتِهِ)، أو (علَّةً فاعلِةً بالطبْعِ)، ونحوِ ذلك.

وثالثُها: وصفُهُ بما يتعالَىٰ عنه ويتقدَّسُ من النقائصِ؛ كقولِ أخبثِ اليهودِ: إنه فقيرٌ. وقولِهم: إنه استراحَ بعد أن خلق خلقَهُ. وقولِهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾ [المائدة: ٦٤]. وأمثالِ ذلك ممَّا هو إلحادٌ في أسمائِهِ وصفاتِهِ.

ورابعُها: تعطيلُ الأسماءِ عن معانِيها، وجحدُ حقائِقِها؛ كقولِ من يقولُ من

الجهميةِ وأتباعِهم: إنها ألفاظٌ مجرَّدةٌ، لا تتضمَّنُ صفاتٍ ولا معانِيَ. فيطلقُونَ عليه اسمَ «السميعِ، والبصيرِ، والحيِّ، والرحيمِ، والمتكلِّمِ، والمُرِيدِ»، ويقولون: لا حياةَ له، ولا سمعَ، ولا بصرَ، ولا كلامَ، ولا إرادةَ تقومُ به.

وهذا مِن أعظمِ الإلحادِ فيها عقلًا وشرعًا ولغةً وفطْرةً، وهو يقابلُ إلحادَ المشركِينَ؛ فإن أولئكِ أعطَوْا أسماءَه وصفاتِهِ لآلهتِهِم، وهؤلاء سلَبُوه صفاتَ كمالِهِ وجحدُوهَا وعطَّلُوها؛ فكلاهما ملحدٌ في أسمائِهِ.

ثمَّ الجهميةُ وفُرُوخُهم متفاوِتُون في هذا الإلحادِ؛ فمنهم الغَالِي والمتوسِّطُ والمنكوبُ. وكلُّ من جَحَدَ شيئًا ممَّا وصفَ اللهُ به نفسَهُ أو وصفَهُ به رسولُهُ؛ فقد ألحَدَ في ذلك، فليستقِلَّ أو ليستكثِرْ.

وخامسُها: تشبيهُ صفاتِهِ بصفاتِ خلْقِهِ، تَعَالَىٰ اللهُ عمَّا يقولُ المشبِّهُون علوًّا كبيرًا، فهذا الإلحادُ في مقابلَةِ إلحادِ المعطِّلَةِ؛ فإنَّ أولئكَ نفَوْا صفةَ كمالِهِ وجحدُوَها، وهؤلاءِ شبَّهُوها بصفاتِ خلقِهِ؛ فجمعَهُم الإلحادُ، وتفرَّقَتْ بهم طرقُهُ.

وبَرَّأَ اللهُ أتباعَ رسولِهِ وورثَتِهِ القائِمِينَ بسنَّتِهِ عن ذلِكَ كلِّه؛ فلم يصفُوه إلا بما وصفَ به نفسَهُ، ولم يجحَدُوا صفاتِهِ، ولم يشبِّهُوها بصفاتِ خلْقِهِ، ولم يعدِلُوا بها عمَّا أُنْزِلَتْ عليه لفظًا ولا معنًىٰ، بل أثبتُوا له الأسماءَ والصفاتِ، ونفَوْا عنه مشابهةَ المخلوقاتِ؛ فكان إثباتُهم بريئًا من التشبيهِ، وتنزيهُهم خَلِيًّا من التعطيلِ، لا كَمَنْ شَبَّهَ حتىٰ كأنَّه يعبُدُ صنمًا، أو عطَّلَ حتىٰ كأنه لا يعبدُ إلا عدمًا.

وأهلُ السنَّةِ وسطٌ في النِّحَلِ، كما أن أهلَ الإسلامِ وسطٌ في المِلَلِ، تُوقَدُ مصابيحُ

معارِفِهم مِنْ ﴿شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٣٥]، فنسألُ اللهَ تَعَالَىٰ أن يهدينا لنورِه، ويسهِّلَ لنا السبيلَ إلىٰ الوصولِ إلىٰ مرضاتِه، ومتابعةِ رسولِه، إنَّه قريبٌ مُجيبٌ»[١].

فمَنْ تأمَّلَ هذه القواعِدَ والتزمَها؛ كان علىٰ الطريقَةِ المُثلَىٰ، والصراطِ المستقيمِ في معرفةِ ربِّه جَلَّوَعَلَا؛ بلا غُلُوِّ الغلاةِ مِنَ المجسِّمَةِ والممثِّلَةِ، والمعطِّلَةِ والمؤولِّةِ المحرِّفَةِ، فلا يصحُّ للعبدِ معرفةٌ إلَّا علىٰ طريقةِ الرسولِ ﷺ، وأصحابِهِ والأئمَّةِ من بعدِهم، رضوانُ اللهِ عليهم أجمعِينَ.

فإذا استَحْضَرْتَ هذه القواعدَ حالَ سماعِكَ عن اللهِ جَلَّوَعَلَا من كتابِهِ سُبحانَه وكلامِ نبيِّه ﷺ، عرَفْتَ مَن تَعْبُدُ؛ ولذلك قدَّمْتُها قبل الكلامِ عن صفاتِهِ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ لأنَّه قد وقع فيه اللغطُ، وكَثُرَ فيه الضلالُ والقيلُ والقالُ، وأكثرُ الفِرَقِ إنَّما زَلَّتْ فِيهِ.

---

(١) «بدائعُ الفوائدِ» (١/ ١٦٠، وما بعدَها)، للإمامِ ابنِ قيِّمِ الجوزيَّةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



مِنْ صِفَاتِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ

منْ تأمَّلَ صفاتِ اللهِ الواردةَ في كتابِهِ، أو علىٰ لسانِ نبيِّهِ ﷺ؛ شاهَدَ صفاتِ «الهيبةِ وَالْعَظَمَةِ والجلالِ؛ فتخضَعُ الْأَعْنَاقُ، وتنكسِرُ النُّفُوسُ، وتخشَعُ الْأَصْوَاتُ، ويذوبُ الْكِبْرُ كَمَا يذوبُ الْمِلْحُ فِي المَاءِ.

[فإذا قرأتَ قولَ اللهِ تعالَىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

وقولَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقولَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠]]؛ يتجلَّىٰ [لَكَ] فِي صِفَاتِ الْجمالِ والكمالِ؛ وَهُوَ كَمَالُ الْأَسْمَاءِ، وجمالُ الصِّفَاتِ، وجمالُ الْأَفْعَالِ الدَّالُ علىٰ كَمَالِ الذَّاتِ؛ فيستنفدُ حبُّه من قلبِ العَبْدِ قُوَّةَ الْحبِّ كلَّهَا، بحسبِ مَا عرَفَهُ من صِفَاتِ جمالِهِ ونعوتِ كَمَالِهِ، فَيُصْبِحُ فؤادُ عَبدِهِ فَارغًا إِلَّا مِنْ محبَّتِهِ، فَإِذا أَرَادَ مِنْهُ الغيرُ أنْ يعلِّقَ تِلْكَ الْمحبَّةَ بِهِ؛ أَبَىٰ قلبُهُ وأحشاؤُهُ ذَلِك كلَّ الإباءِ؛ كَمَا قيل:

يُـرَادُ مِـنَ الْقلْـبِ نِسْـيَانُكم ... وتَـأْبَىٰ الطِّبَـاعُ علـىٰ النَّاقِـلِ

فَتبقَىٰ الْمحبَّةُ لَهُ طبعًا لَا تكلُّفًا.

[وإِذَا قرأْتَ قولَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ

مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام: ٥٤].

وقوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ - فِي حقِّ بعضِ المكذِّبينَ رسلَهُ - عليهم الصلاةُ والسلامُ -: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا﴾ [الكهف: ٥٨].

وقولَ اللهِ تعالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠]]؛ يتجلَّىٰ [لَكَ] بِصِفَاتِ الرَّحْمَةِ وَالْبِرِّ واللُّطْفِ وَالإِحْسَانِ؛ انبعثتْ قُوَّةُ الرَّجَاءِ من العَبْدِ، وانبسَطَ أملُهُ، وَقَوِيَ طَمَعُهُ، وَسَارَ إِلَىٰ ربِّهِ وحادِي الرَّجَاءِ يَحْدُو رِكَابَ سيرِهِ، وَكلما قِوِيَ الرَّجَاءُ جدَّ فِي الْعَمَلِ، كَمَا أَن الباذِرَ كلما قويَ طمعُه فِي الْمَغَلِّ؛ غلَّقَ أرضه بالبذرِ، وَإِذا ضعفُ رجاؤُه قصَّرَ فِي الْبذرِ.

[وإذا قرأْتَ قولَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقولَ اللهِ تعالَىٰ: ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأعراف: ١٣٥، ١٣٦].

وقولَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ [الزخرف: ٥٥]]؛ تجلَّىٰ [لكَ] بِصِفَاتِ الْعدْلِ والانتقامِ وَالْغَضَبِ والسخطِ والعقوبةِ؛ انقمعَتِ النَّفسُ الأمَّارَةُ، وَبطلَتْ أَو ضَعُفَتْ قواهَا من الشَّهْوَةِ وَالْغَضَبِ وَاللَّهْوِ واللعبِ، والحرصِ علىٰ الْمُحرمَاتِ، وانقبضَتْ أَعِنَّةُ رُعُونَاتِهَا؛ فأحضَرَتِ المطيَّةُ حظَّهَا

من الْخَوْفِ والخشيةِ والحذرِ.

[وإذا قرأتَ قولَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

وقولَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٣٨]؛

تجلَّىٰ [لكَ] بِصِفَاتِ الْأَمرِ وَالنَّهْيِ والعهْدِ وَالْوَصِيَّةِ، وإرسالِ الرُّسُلِ، وإنزالِ الْكتبِ وشرعِ الشَّرَائِعِ؛ انبعثَتْ مِنْهَا قُوَّةُ الِامْتِثَالِ والتنفيذِ لأوامرِهِ، والتبليغِ لَهَا والتواصِي بِهَا، وَذكرِهَا وتذكُّرِها، والتصديقِ بالْخبَرِ، والامتثالِ للطلبِ، والاجتنابِ للنَّهْيِ.

[وإذا قرأتَ قولَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١].

وقولَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٦١].

وقوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾﴾ [لقمان: ٢٣]]؛ تجلَّىٰ [لكَ] بِصفةِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْعِلْمِ؛ انْبَعَثَ من العَبْدِ قُوَّةُ الْحياءِ، فيستحِي [منْ] ربِّهِ أَن يرَاهُ علىٰ مَا يكرَهُ، أَو يسمعَ مِنْهُ مَا يكرَهُ، أَو يُخفِي فِي سَرِيرَتِهِ مَا يمقتُهُ عَلَيْهِ؛ فَتبقَىٰ حركاتُه وأقوالُه وخواطرُه موزونةً بميزانِ الشَّرْعِ، غيرَ مُهْملَةٍ وَلَا مُرْسلَةٍ تَحتَ حكمِ الطبيعةِ والهوَىٰ.

[وإذا قرأتَ قولَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزُّمَرُ: ٣٦].

وقولَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤]؛ يعنِي: اللهُ حسبُكَ وحسبُ من اتبعَكَ من المؤمِنِينَ.

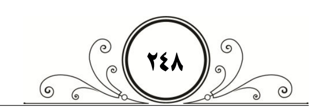
وقولَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦]؛ تجلَّىٰ [لكَ] بِصِفَاتِ الْكِفَايَةِ والحسبِ وَالْقِيَامِ بمصالِحِ الْعبادِ وسَوْقِ أَرْزَاقِهم إِلَيْهِم، وَدفعِ المصائبِ عَنْهُم، وَنَصرِهِ لأوليائِهِ، وحمايتِهِ لَهُم، ومعيَّتِهِ الْخَاصَّةِ لَهُم؛ انبعثَتْ من العَبْدِ قُوَّةُ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ والتفويضِ إِلَيْهِ وَالرِّضَا بِهِ فِي كلِّ مَا يُجْرِيهِ علىٰ عَبدِهِ، ويقيمُهُ فيه؛ مِمَّا يرضَىٰ بِهِ هُوَ سُبْحَانَهُ.

والتوكلُ معنًىٰ يلتئِمُ من علمِ العَبْدِ بكفايةِ اللهِ، وَحسنِ اخْتِيَارِهِ لعَبْدِهِ، وثقتِهِ بِهِ، وَرضَاهُ بِمَا يَفْعَلُه بِهِ ويختارُه لَهُ.

[**وإذَا قرأْتَ قولَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:** ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠].

وقوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦، ٣٧]]؛ تجلَّىٰ [لك] بِصِفَاتِ الْعِزِّ والكبرياءِ؛ أَعْطَتْ نَفسُه المطمئنَّةُ مَا وصلَتْ إِلَيْهِ من الذُّلِّ لعظمتِهِ، والانكسارِ لعزَّتِهِ، والخضوعِ لكبريائِهِ، وخشوعِ الْقلبِ والجوارحِ لَهُ؛ فتعلُوه السكينَةُ وَالْوَقارُ فِي قلبِهِ وَلسَانِهِ وجوارِحِهِ وسَمْتِهِ، وَيذْهبُ طيشُهُ وقوَّتُهُ وحدَّتُهُ.

وجماعُ ذَلِك: أَنه سُبْحَانَهُ يتعرَّفُ إِلَىٰ العَبْدِ بِصِفَاتِ إلهيَّتِهِ تارَةً، وبصفاتِ ربوبيَّتِهِ تَارَةً؛ فَيُوجِبُ لَهُ شُهُودُ صِفَاتِ الإلهيَّةِ الْمحبَّةَ الْخَاصَّةَ، والشوقَ إِلَىٰ



لِقَائِهِ، والأُنْسَ والفرحَ بِهِ، وَالسُّرُورَ بخدمتِهِ، والمنافسَةَ فِي قربِهِ، والتودُّدَ إِلَيْهِ بطَاعَتِهِ، واللَّهَجَ بِذكرِهِ، والفرارَ من الْخلقِ إِلَيْهِ، وَيصيرُ هُوَ وَحدَه همَّه دونَ مَا سواهُ.

وَيُوجِبُ لَهُ شُهُودُ صِفَاتِ الرُّبوبيةِ التَّوَكُّلَ عَلَيْهِ، والافتقارَ إِلَيْهِ، والاستِعَانَةَ بِهِ، والذلَّ والخضوعَ والانكِسارَ لَهُ.

وَكَمَالُ ذَلِك: أَن يشْهدَ ربوبيتَهُ فِي إلهيَّتِهِ، وإلهيَّتَهُ فِي ربوبيتِهِ، وحمدَهُ فِي ملكِهِ، وعزَّهُ فِي عَفوِهِ، وحكمتَهُ فِي قَضَائِهِ وَقدرِهِ، وَنعمتَهُ فِي بلائِهِ، وعطاءَه فِي مَنعِهِ، وبرَّهُ ولطفَهُ وإحسانَهُ وَرَحمتَهُ فِي قيوميتِهِ، وعدلَهُ فِي انتقامِهِ، وجودَهُ وَكَرمَهُ فِي مغفرتِهِ وسترِهِ وتجاوزِهِ، وَيشْهدَ حكمتَهُ وَنعمتَهُ فِي أمرِهِ وَنَهْيِهِ، وعزَّهُ فِي رِضَاهُ وغضبِهِ، وحلمَهُ فِي إمهالِهِ، وَكَرمَهُ فِي إقبالِهِ، وغنَاهُ فِي إعراضِهِ.

وَأَنت إِذا تدبَّرْتَ الْقُرْآنَ، وأَجَرْتَهُ من التحريفِ، وَأَن تقضِيَ عَلَيْهِ بآراءِ الْمُتَكَلِّمِينَ، وأفكارِ المتكلِّفِينَ؛ أشهدَكَ مَلِكًا قَيُّومًا فَوقَ سمَواتِهِ علىٰ عَرْشِهِ، يدبِّرُ أَمرَ عبادِهِ؛ يَأْمرُ وَيَنْهَىٰ، وَيُرْسلُ الرُّسُلَ، وَيُنزلُ الْكتبَ، ويَرضَىٰ ويغضَبُ، ويُثِيبُ ويعاقِبُ، وَيُعْطِي وَيمْنَعُ، ويعزُّ ويذلُّ، ويخفِضُ وَيرْفَعُ.

يَرَىٰ من فَوقِ سَبْعٍ وَيسمعُ، وَيعلمُ السِّرَّ وَالْعَلَانِيَةَ، فعَّالٌ لما يُرِيدُ، مَوْصُوفٌ بِكُلِّ كَمَالٍ، منزَّهٌ عَن كلِّ عيبٍ، لَا تتحرَّكُ ذرَّةٌ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا تسْقطُ ورقةٌ إِلَّا بعِلْمِهِ، وَلَا يشفَعُ أحدٌ عِنْدَهُ إِلَّا بإِذْنِهِ، لَيْسَ لِعِبَادِهِ من دونِهِ وليٌّ وَلَا شَفِيعٌ»[١].

❀❀❀

---

(١) «الفوائِدُ» (صحيفةُ: ٦٩) للإمامِ ابنِ قيمِ الجوزيَّةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ - بتصرُّفٍ، وبَسْطٍ! -.

خَاتِمَةٌ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢].

فَسَبَّحَ نَفْسَهُ ونزَّهَها عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ؛ من اتخاذِ الصاحِبَةِ والولَدِ، والمعاونِ والظهيرِ والسنَدِ، ومِنْ نِفْيِ كمالاتِهِ؛ فنفَوْا سمعَهُ وبصرَه ووصفُوا يدَهُ بأنَّها مغلولةٌ، ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

وَسَلَّمَ عَلَىٰ الْمُرْسَلِينَ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ؛ فإنهم مبلِّغُون عن اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كما وصفَهُم: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

ثم حمَدَ نفسَهُ سُبحانَه، وإنما يُحْمَدُ لكمالِ أفعالِهِ، وعظيمِ صفاتِهِ، وجمالِ ذاتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ، وعلىٰ أبوَيْهِ إبراهيمَ وإسماعيلَ، وسائرِ الأنبياءِ وَالْمُرْسَلِينَ.

وَكَتَبَ

مَحْمُودُ بْنُ حُسَيْنٍ آلُ عوضٍ

الفَقيرُ إلى عفوِ ربِّهِ ومرضَاتِهِ



الفهـــرس

فهرس المحتويات



من إصداراتنا







في هذا الكتاب

بيان لأهمية دارسة الأسماء والصفات ، وجميل أثرها على المتعبد لله بها ، مع بيان لأسماء الله الحسنى وصفاته المثلى مع ذكر أدلتها من الكتاب وصحيح السنة وبيان شيء من معانيها ، وما يلزم المتعبد بها .

قال شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله: «وليست حاجة الأرواح قط إلى شيءٍ أعظم منها إلى معرفة باريها وفاطرها، ومحبته وذكره والابتهاج به، وطلب الوسيلة إليه والزلفى عنده ولا سبيل إلى هذا إلا بمعرفة أوصافه وأسمائه فكلما كان العبد بها أعلم كان بالله أعرف وله أطلب وإليه أقرب، وكلما كان لها أنكر كان بالله أجهل وإليه أكره ومنه أبعد، والله ينزل العبد من نفسه حيث ينزله العبد من نفسه » أهـ

المؤلف



